الأبناء، والشاكريّة تُظهر أنّها تطلب الأرزاق، وكان ذلك أوّل صفر، ففتحوا السجون، وأخرجوا من فيها، وأحرقوا أحد الجسرَيْن وقطعوا الآخر، وانتهبوا دار بشر وإبراهيم ابنَيْ هارون، كاتِبَيْ محمّد بن عبد اللّه، ثم أخرج أهل اليسار من بغداد وسامرّا أموالاً كثيرة، ففرّقوها فيمن نهض إلى الثغور، وأقبلت العامّة من نواحي الجبال، وفارس، والأهواز، وغيرها لغزو الروم، فلم يأمر الخليفة في ذلك بشيء ولم يوجّه عسكره.

ذكر الفتنة بسامرّا

وفيها في ربيع الأوّل وثب نفر من الناس لا يُدرى مَنْ هم بسامرّا، ففتحوا السجن، وأخرجوا من فيه، فبعث في طلبهم جماعة من الموالي، فوثب العامّة بهم فهزموهم، فركب بُغا وأتامش ووصيف وعامّة الأتراك، فقتلوا من (١٢٣/٧) العامّة جماعة، فرُمي وصيف بحجر، فأمر بإحراق ذلك المكان، وانتهب المغاربة، ثمّ سكن ذلك آخر النهار.

ذكر قتل أتامش

في هذه السنة قُتل أتامش وكاتبه شجاع؛ وكان سبب ذلك أنّ المستعين أطلق يد والدته، ويد أتامش، وشاهك الخادم في بيوت الأموال، وأباحهم فعل ما أرادوا، فكانت الأموال التي ترد من الآفاق يصير معظمها إلى هؤلاء الثلاثة؛ فأخذ أتامش أكثر ما في بيوت الأموال، وكان في حجره العبّاس بن المستعين، وكان ما فضل من هؤلاء الثلاثة أخذه أتامش للعبّاس فصرفه في نفقاته، وكانت الموالي تنظر إلى الأموال تؤخذ وهم في ضيقة، ووصيف وبُغا بمعزل من ذلك، فأغريا الموالي بأتامش، وأحكما أمره، فاجتمعت الأتراك والفراغنة عليه، وخرج إليه منهم أهل الدور والكرخ، فعسكروا في ربيع الآخر، وزحفوا إليه وهو في الجوسق مع المستعين، وبلغه الخبر، فأراد الهرب، فلم يمكنه،واستجار بالمستعين فلم يجرْه، فأقاموا على ذلك يومين ثمّ دخلوا الجوسق، وأخذوا أتامش فقتلوه، وقتلوا كاتبه شجاعاً، ونُهبت دور أتامش، فأخذوا منه أموالاً جمّة وغير ذلك.

فلمّا قُتل استوزر المستعين أبا صالح عبد اللّه بن محمّد بن يزداد، وعزل (١٢٤/٧) الفضل بن مروان عن ديوان الخراج، وولاّه عيسى بن فرخانشاه، ووليَ وصيف الأهواز، وبُغا الصغير فلسطين، ثمّ غضب بُغا الصغير على أبي صالح، فهرب إلى بغداد، فاستوزر المستعينُ محمّدَ بن الفضل الجرجرائيَّ، فجعل على ديوان الرسائل سعيد بن حميد، فقال الحمدونيُّ:

لبِسَ السيفَ سعيدٌ بعدَما ... كان ذا طِمْرَينِ لا توبةَ لَهْ
إنّ للّه لآياتٍ، وذا ... آيةٌ للّهِ فينا مُنْزَلَهْ

ذكر عدّة حوادث

فيها قُتل عليُّ بن الجهم بن بدر الشاعر بقرب حلب، كان توجّه إلى الثغر، فلقيه خيل لكلب، فقتلوه وأخذوا ما معه، فقال وهو في السّياق:

أزيدَ في الليلِ ليلُ ... أم سالَ في الصُّبحِ سَيْلُ
ذكرتُ أهلَ دُجَيْلٍ ... وأينَ منّي دُجَيْلُ

وكان منزله بشارع دُجيل.

وفيها عُزل جعفر بن عبد الواحد عن القضاء، ووَلِيَهُ جعفر بن محمّد ابن عثمان البرجميُّ الكوفيُّ، وقيل كان ذلك سنة خمسين ومائتين.

وفيها أصاب أهلَ الريّ زلزلة شديدة ورجفة تهدمت[منها] الدور، ومات خلق من أهلها، وهرب الباقون فنزلوا ظاهر المدينة، وحجّ بالناس هذه (١٢٥/٧) السنة عبد الصمد بن موسى بن محمّد بن إبراهيم الإمام، وهو والي مكّة.

وفيها سيّر محمّد، صاحب الأندلس، جيشاً مع ابنه إلى مدينة ألبة والقلاع من بلد الفرنج، فجالت الخيل في ذلك الثغر، وغنمت، وافتتحت بها حصوناً منيعة.

وفيها توفّي أبو إبراهيم أحمد بن محمّد بن الأغلب، صاحب إفريقية، ثالث عشر ذي القعدة، فلمّا مات وليَ أخوه زيادة اللّه بن محمّد بن الأغلب، فلمّا وليَ زيادة اللّه أرسل إلى خفاجة بن سُفيان، أمير صِقِلّيّة، يعرّفه موت أخيه، وأمره أن يقيم على ولايته. (١٢٦/٧)

سنة خمسين ومائتين

ذكر ظهور يحيى بن عمر الطالبيّ ومقتله

في هذه السنة ظهر يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب المكنّى بأبي الحسين، عليه السّلام، بالكوفة، وكانت أمّه فاطمة بنت الحسين بن عبد اللّه بن إسماعيل بن عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب، رضي اللّه عنهم.

وكان سبب ذلك أنّ أبا الحسين نالته ضيقة، ولزمه دَيْن ضاق به ذرعاً، فلقي عمر بن فرج، وهو يتولّى أمر الطالبيين، عند مَقدمه من خُراسان، أيّام المتوكّل، فكلّمه في صِلته، فأغلظ له عمر القول، وحبسه، فلم يزل محبوساً حتّى كفله أهله، فأُطلق، فسار إلى بغداد، فأقام بها بحال سيّئة، ثمّ رجع إلى سامرّا، فلقي وصيفاً في رزق يُجرى له، فأغلظ له وصيف وقال: لأي شيء يُجرى على مثلك؟

فانصرف عنه إلى الكوفة، وبها أيّوب بن الحسن بن موسى بن

جعفر بن سليمان الهاشميُّ، عامل محمّد بن عبد اللّه بن طاهر، فجمع أبو الحسين جمعاً كثيراً من الأعراب وأهل الكوفة وأتى الفلّوجة، فكتب صاحب البريد (١٢٧/٧) بخبره إلى محمّد بن عبد اللّه بن طاهر، فكتب محمّد إلى أيّوب وعبد اللّه بن محمودالسَّرْخَسيّ، عامله على معاون السواد، يأمرهما بالاجتماع على محاربة يحيى بن عمر، فمضى يحيى بن عمر إلى بيت مال الكوفة يأخذُ الذي فيه، وكان فيما قيل الفَيْ دينار وسبعين ألف درهم، وأظهر أمره بالكوفة، وفتح السجون وأخرج مَنْ فيها، وأخرج العُمّال عنها، فلقيه عبد اللّه بن محمود السَّرْخَسيُّ، فيمن معه، فضربه يحيى بن عمر ضربة على وجهه أثخنه بها، فانهزم عبد اللّه، وأخذ أصحابُ يحيى ما كان معهم من الدوابّ والمال.

وخرج يحيى إلى سواد الكوفة، وتبعه جماعة من الزيديّة، وجماعة من أهل تلك النواحي إلى ظهر واسط، وأقام بالبُستان، فكثر جمعه، فوجّه محمّدُ بن عبد اللّه إلى محاربته الحسينَ بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسين بن مُصْعَب في جمع من أهل النجدة والقوّة، فسار إليه فنزل في وجهه لم يقدم عليه، فسار يحيى والحسين في أثره، حتّى نزل الكوفة ولقيه عبد الرحمن بن الخطّاب المعروف بوجه الفَلْس، قبل دخولها، فقاتله، وانهزم عبد الرحمن إلى ناحية شاهي، ووافاه الحسين، فنزلا بشاهي.

واجتمعت الزيديّة إلى يحيى بن عمر، ودعا بالكوفة إلى الرضى من آل محمّد، فاجتمع الناس إليه، وأحبّوه، وتولاّه العامّة من أهل بغداد، ولا يُعلم أنّهم يولّون أحداً من بيته سواه، وبايعه جماعة من أهل الكوفة ممّن له تدبير وبصيرة في تشيّعهم، ودخل فيهم أخلاط لا ديانة لهم.

وأقام الحسين بن إسماعيل بشاهي، واستراح، واتّصلت بهم الأمداد، (١٢٨/٧) وأقام يحيى بالكوفة يعدّ العُدد، ويُصلح السلاح، فأشار عليه جماعة من الزيديّة، ممّن لا علم لهم بالحرب، بمعاجلة الحسين بن إسماعيل، وألحّوا عليه، فزحف إليه ليلة الاثنين لثلاث عشرة خلت من رجب،ومعه الهيصم العِجليُّ وغيره، ورجّالة من أهل الكوفة ليس لهم علم ولا شجاعة، وأسْرَوْا ليلتهم،وصبّحوا الحسين وهو مستريح، فثاروا بهم في الغلس، وحمل عليهم أصحاب الحسين فانهزموا، ووضعوا فيهم السيف، وكان أوّل أسير الهيصم العِجليّ، وانهزم رجّالة أهل الكوفة، وأكثرهم بغير سلاح، فداستهم الخيل.

وانكشف العسكر عن يحيى بن عمر،وعليه جوشن، قد تقطّر به فرسه، فوقف عليه ابن لخالد بن عمران، فقال له: خير، فلم يعرفه، وظنّه رجلاً من أهل خُراسان لمّا رأى عليه الجوشن، فأمر رجلاً، فنزل إليه، فأخذ رأسه، وعرفه رجل كان معه، وسيّر الرأس إلى محمّد بن عبد اللّه بن طاهر، وادّعى قتله غير واحد، فسيّر محمّد الرأس إلى المستعين، فنُصب بسامرًا لحظة، ثمّ حَطّه، وردّه إلى بغداد ليُنصب بها، فلم يقدر محمّد على ذلك لكثرة مَن اجتمع من الناس، فخاف أن يأخذوه فلم ينصبه، وجعله في صندوق في بيت السلاح.

ووجّه الحسينُ بن إسماعيل برؤوس مَنْ قُتل، وبالأسرى فحُبسوا ببغداد، وكتب محمّد بن عبد اللّه يسأل العفو عنهم، فأمر بتخليتهم، وأن تُدْفَن الرؤوس ولا تُنْصَب، ففعل ذلك. (١٢٩/٧) ولمّا وصل الخبر بقتل يحيى جلس محمّد بن عبد اللّه يُهنّأ بذلك، فدخل عليه داود بن الهيثم أبو هاشم الجعفريُّ، فقال: أيّها الأمير! إنّك لتهنّأ بقتْل رجل لو كان رسول اللّهﷺ حيّاً لعُزّي به. فما ردّ عليه محمّد شيئاً، فخرج داود وهو يقول:

يا بني طاهرٍ كُلُوه وبيئاً ... إنّ لحم النبيّ غيرُ مَريّ
إنّ وِتراً يكون طالبه اللّـ ... ـه لوِترٌ نجاحُه بالحريّ

وأكثر الشعراء مراثي يحيى لما كان عليه من حسن السيرة والديانة، فمن ذلك قول بعضهم:

بكت الخيلُ شَجْوها بعدَ يحيى ... وبكاه المهنّدُ المَصقولُ
وبكتْهُ العِراقُ شَرقاً وغَرباً ... وبكاه الكتابُ والتَّنْزيلُ
والمُصلّى والبيتُ والرُكنُ والحِجْـ ... ـرُ جميعاً لـهُ عليهِ عَويلُ
كيفَ لم تَسقطِ السّماءُ علَينا ... يومَ قالوا: أبوالحُسين قَتيلُ
وبناتُ النبيّ يُبْدِينَ شَجواً ... مُوجَعاتٍ دموعُهُنّ هُمولُ
قطعَتْ وجهَه سيوفُ الأعادي ... بأبي وَجهُهُ الوسيمُ، الجميلُ
إنّ يحيى أبْقى بقلبي غَليلاً ... سوف يُودي بالجسمِ ذاك الغَليلُ
(١٣٠/٧)
قَتْلُهُ مُذكِرٌ لقتلِ عليّ ... وحُسين، ويوم أُودي الرّسولُ
صَلَواتُ الإلهِ وقفاً عليهم ... ما بكى مُوجَعٌ وحَنّت ثَكُولُ

ذكر ظهور الحسن بن زيد العلويّ

وفيها ظهر الحسن بن زيد بن محمّد بن إسماعيل بن زيد بن الحسن بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، عليه السّلام، بطبرِستان.

وكان سبب ظهوره أنّ محمّد بن عبد اللّه بن طاهر لمّا ظفر بيحيى بن عمر أقطعه المستعين من ضواحي السلطان بطَبرِستان قطائع منها قطيعة قرب ثغر الدَّيلم، وهما كُلار وشالوس، وكان بحذائهما أرض يحتطب منها أهل تلك الناحية، وترعى فيها مواشيهم، ليس لأحد عليها ملك، إنّما هي موات، وهي ذات غياض، وأشجار، وكلأ، فوجّه محمّد بن عبد اللّه نائبه لحيازة ما أُقطع، واسمه جابر بن هارون النصرانيُّ، وعاملُ طبرستان يومئذ سليمان بن عبد اللّه بن طاهر بن عبد اللّه بن طاهر، وكان الغالب على أمر سليمان محمّد بن أوس البلخيّ، وقد فرّق محمّد هذا

أولاده في مدن طبرستان، وهم أحداث، سفهاء، فتأذّى بهم الرعيّة (١٣١/٧) وشكَوا منهم، ومن أبيهم، ومن سليمان سوء السيرة.

ثمّ إنّ محمّد بن أوس دخل بلاد الدّيلم، وهم مسالمون لأهل طَبرستان، فسبىمنهم وقتل،فساء ذلك أهل طَبرستان، فلمّا قدم جابر بن هارون لحيازة ما أقطعه محمّد بن عبد الله، عمد فحاز فيه ما اتّصل به من أرض موات يرتفق بها الناس، وفيها حاز كُلار وشالوس.

وكان في تلك الناحية يومئذ أخوان لهما بأس ونجدة يضبطانها ممن رامها من الديلم، مذكوران بإطعام الطعام وبالإفضال، يقال لأحدهما محمّد، وللآخر جعفر، وهما ابنا رستم، فأنكرا ما فعل جابر من حيازة الموات، وكانا مطاعَين في تلك الناحية، فاستنهضا من أطاعهما لمنع جابر من حيازة ذلك الموات، فخافهما جابر، فهرب منهما، فلحق بسليمان بن عبد الله، وخاف محمّد وجعفر ومن معهما من عامل طَبرستان، فراسلوا جيرانهم من الديلم يذكّرونهم العهد الذي بينهم ويعتذرون فيما فعله محمّد بن أوس بهم من السبي والقتل، فاتّفقوا على المعاونة والمساعدة على حرب سليمان بن عبد الله وغيره.

ثمّ أرسل ابنا رستم ومن [وافقهما] إلى رجل من الطالبيّين اسمه محمّد بن إبراهيم، كان بطبَرستان، يدعونه إلى البيعة له، فامتنع عليهم، وقال: لكنّي أدلّكم على رجل منّا هو أقوم بهذا الأمر منّي، فدلّهم على الحسن بن زيد، وهو (١٣٢/٧) بالرّيّ، فوجّهوا إليه، عن رسالة محمّد بن إبراهيم، يدعونه إلى طَبَرستان، فشخص إليها، فأتاهم وقد صارت كلمة الديلم وأهل كُلار وشالوس والرويان على بيعته، فبايعوه كلّهم، وطردوا عُمّال ابن أوس عنهم، فلحقوا بسليمان بن عبد الله، وانضمّ إلى الحسن بن زيد أيضاً جبال طَبرستان كأصمّغان، وقادوسيان، وليث بن قَتّاد، وجماعة من أهل السفح.

ثمّ تقدّم الحسن ومن معه نحو مدينة آمل، وهي أقرب المدن إليهم، وأقبل ابن أوس من سارية ليدفعه عنها، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وخالف الحسن بن زيد في جماعة إلى آمل فدخلها.

فلمّا سمع ابن أوس الخبر، وهو مشغول بحرب مَنْ يقاتله من أصحاب الحسن بن زيد، لم يكن له همّة إلاّ النجاء بنفسه، فهرب، ولحق بسليمان إلى سارية، فلمّا استولى الحسن على آمل كثر جمعه، وأتاه كلّ طالب نهب وفتنة، وأقام بآمل أيّاماً، ثمّ سار نحو سارية لحرب سليمان بن عبد الله، فخرج إليه سليمان، فالتقوا خارج مدينة سارية، ونشبت الحرب بينهم، فسار بعض قوّاد الحسن نحو سارية فدخلها، فلمّا سمع سليمان الخبر انهزم هو ومن معه، وترك أهله وعياله وثَقَله وكلّ ما له بسارية، واستولى الحسن وأصحابه على ذلك جميعه، فأمّا الحُرَم والأولاد فجعلهم الحسن في مركب وسيّرهم إلى سليمان بجُرجان، وأمّا المال فكان قد نُهب وتفرّق.

وقيل إنّ سليمان انهزم اختياراً لأنّ الطاهريّة كلّها كانت تتشيّع، فلمّا أقبل الحسن بن زيد إلى طبرستان تأثّم سليمان من قتاله لشدّته في التشيّع، (١٣٣/٧) وقال:

نُبِّئتُ خيلَ ابنِ زيدٍ أقبلتْ حَبَباً ... تُريدُنا لتُحَسِّينا الأمَرِّينا
يا قومُ إن كانتِ الأنباءُ صادقةً ... فالويل لي ولجميع الطّاهريّينا
أمّا أنا فإذا اصطفّت كتائبُنا ... أكون من بينهم رأسَ المُوالينا
فالعُذر عندَ رسولِ اللّه مُنبسِطٌ ... إذا احتسبتُ دِماء الفاطِميّينا

فلمّا التقوا انهزم سليمان؛ فلمّا اجتمعت طَبرستان للحسن وجّه إلى الرّيّ جنداً مع رجل من أهله، يقال له الحسن بن زيد أيضاً، فملكها، وطرد عنها عامل الطّاهريّة، فاستخلف بها رجلاً من العلويّين يقال له محمّد بن جعفر، وانصرف عنها.

وورد الخبر على المستعين، ومدبّرُ أمره يومئذٍ وصيفٌ، وكاتبه أحمد بن صالح بن شيرزاد، فوجّه إسماعيل بن فراشة في جند إلى همَذَان، وأمره بالمقام بها ليمنع خيل الحسن عنها، وأمّا ما عداها فإلى محمّد بن عبد الله بن طاهر وعليه الذبّ عنه.

فلمّا استقرّ محمّد بن جعفر الطّالبيُّ بالرّيّ ظهرت منه أمور كرهها أهل الرّيّ، ووجّه محمّد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر قائداً من عنده يقال له محمّد بن ميكال في جمع من الجند إلى الرّيّ، وهو أخو الشاه بن ميكال، فالتقى هو ومحمّد بن جعفر الطالبيُّ خارج الرّيّ، فأُسر محمّد بن جعفر، وانهزم (١٣٤/٧) جيشه، ودخل ابن ميكال الرّيّ، فأقام بها، فوجّه الحسن بن زيد عسكراً عليه قائد يقال له واجن، فلمّا صار إلى الرّيّ خرج إليه محمّد بن ميكال، فالتقوا، فاقتتلوا، فانهزم ابن ميكال، والتجأ إلى الرّيّ معتصماً بها، فاتبعه واجن وأصحابه حتّى قتلوه، وصارت الرّيّ إلى أصحاب الحسن بن زيد.

فلمّا كان هذه السنة يوم عَرَفة ظهر بالرّيّ أحمد بن عيسى بن حُسين الصغير بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، رضي اللّه عنه وإدريس ابن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، فصلّى أحمد بن عيسى بأهل الرّيّ صلاة العيد، ودعا للرضى من آل محمّد، فحاربه محمّد بن عليّ بن طاهر، فانهزم محمّد بن عليّ وسار إلى قزوين.

ذكر عدّة حوادث

وفيها غضب المستعين على جعفر بن عبد الواحد لأنّه [كان]بعث إلى الشاكريّة، فزعم وصيف أنّه أفسدهم، فنُفي إلى البصرة في ربيع الأوّل.

وفيها أُسقطت مرتبة مَنْ كانت له مرتبة في دار العامّة من بني أميّة كأبي الشوارب والعثمانيين، وأُخرج الحسن بن الأفشين من الحبس.

وفيها عُقد لجعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى المعروف ببشاشات على مكّة.

وفيها وثب أهل حمص، وقوم من كلب، بعاملهم، وهو الفضل بن (١٣٥/٧) قارن أخو مازيار بن قارن، فقتلوه، فوجّه المستعين إلى حمص موسى بن بُغا في رمضان، فلقيه أهلها فيما بين حمص والرَّستَن، وحاربوه، فهزمهم، وافتتح حمص، وقتل من أهلها مقتلة عظيمة، وأحرقها وأسر جماعة من أهلها الأعيان.

وفيها مات جعفر بن أحمد بن عمّار القاضي، وأحمد بن عبد الكريم الحورانيُّ التيميُّ، قاضي البصرة.

وفيها وليَ أحمد بن الوزير قضاء سامرّا.

وفيها وثب الشاكريّة والجند بفارس بعبد اللّه بن إسحاق بن إبراهيم، فانتهبوا منزله، وقتلوا محمّد بن الحسن بن قارن، وهرب عبد اللّه بن إسحاق.

وفيها وجّه محمّد بن طاهر [من خُراسان] بفيلَيْن وأصنام أُتيَ بها من كابُل، وحجّ بالناس جعفر بن الفضل بشاشات، وهو والي مكّة.

وفيها توفّي زيادة اللّه بن محمّد بن الأغلب، أمير إفريقية، وكانت ولايته سنة واحدة وستّة أيّام، ولمّا مات ملك بعده ابن أخيه محمّد بن أبي إبراهيم أحمد بن محمّد بن الأغلب.

وفيها توفّي محمّد بن الفضل الجرجرائيُّ، وزير المتوكّل، والفضل بن مروان، وزير المعتصم، وكان موته بُسرّ من رأى؛ والخليع الشاعر الحسين (١٣٦/٧) بن الضَّحّاك، وكان مولده سنة اثنتين وستّين ومائة، وهو مشهور الأخبار والأشعار.

وفيها توفّي الحارث بن مسكين قاضي مصر في ربيع الأوّل، وهو من ولد أبي بكر الثَّقَفيّ؛ ونصر بن عليّ بن نصر بن عليّ الجهضميُّ الحافظ.

وفيها توفّي أبو حاتم سهل بن محمّد السِّجِسْتاني اللغويُّ، روى عن أبي زيد، والأصمعيّ، وأبي عبيدة، وقيل توفّي قبل سنة خمسين [ومائتين] ، واللّه تعالى بالغَيب أعلم. (١٣٧/٧)

سنة إحدى وخمسين ومائتين

ذكر قتل باغر التركيّ

وفي هذه السنة قُتل باغر التركيُّ، قتله وصيف وبُغا.

وكان سبب ذلك أنّ باغراً كان أحد قتلة المتوكّل، فزِيدَ في أرزاقه، فأُقطع قطائع، فكان ممّا أُقطع قُرى بسواد الكوفة، فتضمنها رجل من أهل باروسما بألفَيْ دينار، فوثب رجل من أهل تلك الناحية، يقال له ابن مارمُتَه، بوكيل لباغر، وتناوله، فحُبس ابن مارمُتَه، وقُيِّد، ثمّ تخلّص، وسار إلى سامرّا، فلقي دليل بن يعقوب النصرانيَّ، وهو يومئذ صاحب أمر بُغا الشرابيّ والحاكمُ في الدولة، وكان ابن مارمُتَه صديقاً له، وكان باغر أحد قوّاد بُغا، فمنعه دليل من ظلم أحمد بن مارمُتَه، فانتصف له منه، فغضب باغر وباين دليلاً.

وكان باغر شجاعاً يتّقيه بُغا وغيره، فحضر عند بُغا في ذي الحجّة من سنة خمسين [ومائتين] وهو سكران، وبُغا في الحمّام، فدخل إليه وقال: (١٣٨/٧) من قتل دليلاً يُقتَل به؛ فقال له بُغا: لو أردتَ ولدي ما منعتُك منه. ولكن اصبرْ، فإنّ أمور الخلافة بيد دليل، وأقيم غيره، ثمّ افعلْ به ما تريد.

وأرسل بُغا إلى دليل يأمره ألاّ يركب، وعرّفه الخبر، وأقام في كتابته غيره، وتوهّم باغر أنّه قد عزله، فسكن باغر، ثمّ أصلح بينهما بُغا، وباغر يتهدّده، ولزم باغر خدمة المستعين، فقيل ذلك للمستعين.

فلمّا كان يوم نوبة بُغا في منزله قال المستعين: أيّ شيء كان إلى إيتاخ من الخدمة؟ فأخبره وصيف، فقال: ينبغي أن تجعل هذه الأعمال إلى باغر. وسمع دليل ذلك، فركب إلى بُغا فقال له: أنت في بيتك، وهم في تدبير عزلك، فإذا عُزلتَ قُتلتَ.

فركب بُغا إلى دار الخليفة في يومه، وقال لوصيف: أردتَ أن تعزلني؟ فحلف أنّه ما علم ما أراد الخليفة، فتعاقدا على تنحية باغر من الدار والحيلة عليه، فأرجفا له أنّه يؤمَّر، ويُخلع عليه، ويكون موضع بُغا ووصيف؛ فأحسّ باغر ومن معه بالشرّ، فجمع إليه الجماعة الذين كانوا بايعوه على قتل المتوكّل، ومعهم غيرهم، فجدّد العهد عليهم في قتل المستعين وبُغا ووصيف، وقال: نبايع على ابن المعتصم، أو ابن الواثق، ويكون الأمر لنا كما هو لهذَيْن، (١٣٩/٧) فأجابوه إلى ذلك.

وانتهى الخبر إلى المستعين، فبعث إلى بُغا ووصيف، وقال لهما: أنتما جعلتماني خليفة، ثمّ تريدان قتلي؟ فحلفا أنّهما ما علما بذلك، فأعلمهما الخبر، فاتّفق رأيهم على أخذ باغر ورجلَيْن من الأتراك معه، وحبْسهم، فأحضروا باغراً فأقبل في عدّة، فعُدل به إلى حمّام وحُبس فيه.

وبلغ الخبر الأتراكَ، فوثبوا على إصطبل الخليفة، فانتهبوه وركبوا ما فيه، وحصروا الجوسق بالسلاح، فأمر بُغا ووصيف بقتل باغر فقُتل.

ذكر مسير المستعين إلى بغداد

فلمّا قُتل باغر وانتهى خبر قتله إلى الأتراك المِشْغَبين أقاموا على ما هم عليه، فانحدر المستعين وبُغا ووصيف وشاهك الخادم وأحمد بن صالح بن شيرزاد ودليل إلى بغداد في حرّاقة؛ فركب جماعة من قوّاد الأتراك إلى هؤلاء المِشْغَبين فسألوهم الانصراف، فلم يفعلوا، فلمّا علموا بانحدار المستعين وبُغا ووصيف ندموا، ثمّ قصدوا دار دليل، ودور أهله وجيرانه، فنهبوها، حتّى صاروا إلى أخذ الخشب وعليق الدوابّ؛ فلمّا قدموا بغداد مرض ابن مارمّة، فعاده دليل وقال له: ما سبب علّتك؟ قال: انتقض عَقْر القَيد؛ فقال دليل: لئن عقرك القيد لقد نقضتَ الخلافة، وبغيتَ الفتنة؛ ومات ابن مارمّة في تلك (١٤٠/٧) الأيّام، وقال بعض الشعراء في ذلك:

لعَمْري لَئِنْ قتلوا باغراً — لقد هاجَ باغرُ حرباً طحونا
وفَرّ الخليفةُ والقائدا — ن باللّيل يلتَمِسون السَّفينا
وصاحُوا بِمنشارِ مَلاّحِهِمْ، — فَجاءهُمُ يَسْبِقُ النّاظِرِينَ
فَألزَمَهم بطنَ حَرّاقةٍ — وصوتَ مَجاذيفِهم سائرينا
وما كانَ قَدرُ ابنِ مارمّة — فنكسِبَ فيه الحُروبَ الزّبونا
ولكنْ دليلٌ سعَى سَعيَةً — فأخزى الإلهُ بها العالَمينا
فحلّ بِبغدادَ قبلَ الشُّروقِ — فَحَلَّ بها منه ما يَكرهُونا
فليتَ السَّفينةَ لم تأتِنا — وغَرّقها اللّه والرّاكِبينا
وأقبلتِ التُّرْكُ والمَغرِبونَ — وجاء الفَراغنةُ الدّارِعُونا
تسيرُ كراديسُهم في السّلاح — يَرجُون خَيلاً ورَجْلاً بَنِينا
فقام بحربِهم عالِمٌ — بأمرِ الحُروبِ تَولاّهُ حِينا
فجدّدَ سُوراً على الجانبَيـ — ـنِ حتّى أحاطَهُمُ أجمَعينا
(١٤١/٧)
وأحكمَ أبوابَها المُصمَتاتِ — على السُّورِ يحمي بها المُستَعِينا
وهَيّا مَجانيقَ خطّارةً — تُفِيتُ النُّفُوسَ وتَحمي العرينا

ومنع الأتراكُ النّاسَ من الانحدار إلى بغداد، وأخذوا ملاّحاً قد أكرى سفينته، فضربوه، وصلبوه على دَقَلها، فامتنع أصحاب السفن من الانحدار إلاّ سرّاً.

وكان وصول المستعين إلى بغداد لخمس خلون من المحرّم من هذه السنة، فنزل على محمّد بن عبد الله بن طاهر في داره، ثمّ وافى بغدادَ القوّادُ، سوى جعفر الخيّاط، وسليمان بن يحيى بن معاذ، وقدمها جلّة الكتّاب والعُمّال وبني هاشم، وجماعة من أصحاب بُغا ووصيف.

ذكر البيعة للمعتزّ بالله

وفي هذه السنة بويع للمعتزّ بالله؛ وكان سبب البيعة له أنّه لمّا استقرّ المستعين ببغداد أتاه جماعة من قوّاد الأتراك المِشْغَبين، فدخلوا عليه، وألقوا أنفسهم بين يديه، وجعلوا مناطقهم في أعناقهم تذلُّلاً وخضوعاً، وسألوه الصفح عنهم والرضا. (١٤٢/٧)

قال لهم: أنتم أهل بغي وفساد، واستقلال للنعم، ألم ترفعوا إليّ في أولادكم فأُلحقهم بكم، وهم نحو من ألفَيْ غلام، وفي بناتكم فأمرتُ بتصييرهنّ في عداد المتزوّجات، وهنّ نحو من أربعة آلاف، وغير ذلك كلّه أجبتُكم إليه، وأدررتُ عليكم الأرزاق، فعملتم آنية الذهب والفضّة، ومنعتُ نفسي لذّتها وشهوتها إرادة لصلاحكم ورضاكم، وأنتم تزدادون بغياًوفساداً؛ فعادوا وتضرّعوا، وسألوه العفو، فقال المستعين: قد عفوتُ عنكم ورضيتُ.

فقال له أحدهم، واسمه بابي بك: فإن كنتَ قد رضيتَ فقمْ فاركبْ معنا إلى سامرّا، فإنّ الأتراك ينتظرونك. فأمر محمّدُ بن عبد الله بعض أصحابه فقام إليه فضربه، وقال محمّد: هكذا يقال لأمير المؤمنين قمْ فاركبْ معنا! فضحك المستعين وقال: هؤلاء قوم عجم لا يعرفون حدود الكلام؛ وقال لهم المستعين: ترجعون إلى سامرّا، فإنّ أرزاقكم دارّة عليكم، وانظر أنا في أمري. فانصرفوا آيسين منه، وأغضبهم ما كان من محمّد بن عبد الله إلى بابي بك، وأخبروا مَنْ وراءهم خبرهم، وزادوا، وحرّفوا تحريضاً لهم على خلعه، فاجتمع رأيهم على إخراج المعتزّ، وكان هو والمؤيّد في حبس الجوسق، وعليهما من يحفظهما، فأخرجوا المعتزّ من الحبس، وأخذوا من شعره، وكان قد كثر، وبايعوا له بالخلافة، وأمر للناس برزق عشرة أشهر (١٤٣/٧) للبيعة، فلم يتمّ المال، فأعطوا شهرَيْن لقلّة المال عندهم.

وكان المستعين خلّف بيت المال بسامرّا فيه نحو خمس مائة ألف دينار، وفي بيت مال أمّ المستعين قيمة ألف ألف دينار، وفي بيت مال العباس قيمة ستّمائة ألف دينار. وكان فيمن أُحضر للبيعة أبو أحمد بن الرشيد وبه نِقْرِسٌ، في محفّة محمولاً، فأمر بالبيعة فامتنع، وقال للمعتزّ: خرجتَ إلينا طائعاً، فخلعتها وزعمت أنّك لا تقوم بها؛ فقال المعتزّ: أُكرهتُ على ذلك، وخفتُ السيف. فقال أبو أحمد: ما علمنا أنّك أُكرهتَ، وقد بايعنا هذا الرجل، فنريد أن تطلق نساءنا، وتخرج عن أموالنا، ولا ندري ما يكون إن تركتني على أمري حتّى يجتمع الناسُ، وإلاّ فهذا السيف. فتركه المعتزّ.

وكان ممّن بايع إبراهيم الديرج، وعتّاب بن عتّاب، فأمّا عتّاب فهرب إلى بغداد، وأمّا الديرج فأُقرّ على الشُّرَط، واستعمل على الدواوين وبيت المال والكتابة وغير ذلك.

ولمّا اتّصل بمحمّد بن عبد الله خبر بَيعة المعتزّ وتوجيه العُمّال

أمر بقطع الميرة عن أهل سامرّا، وكتب إلى مالك بن طَوْق في المسير إلى بغداد هو وأهل بيته وجنده، وكتب إلى نجوبة بن قيس وهو على الأنبار في الاحتشاد والجمع، وإلى سليمان بن عِمران الموصليّ في منع السفن والميرة عن سامرّا، فأُخذتْ سفينة ببغداد فيها أرزٌ وغيره، فهرب الملاّح وبقيت السفينة حتّى غرقت.

وأمر المستعينُ محمّدَ بن عبد الله بتحصين بغداد، فتقدّم في ذلك، فادير عليها السور من دجلة من باب الشّمّاسيّة إلى سوق الثّلاثاء، حتّى أورده دجلة، وأمر بحفر الخنادق من الجانبَيْن جميعاً، وجعل على كلّ باب قائداً، فبلغت النفقة على ذلك جميعه ثلاثمائة ألف وثلاثين ألف دينار؛ ونصب على الأبواب (١٤٤/٧) المنجَنيقات والعَرّادات وشحن الأسوار، وفرض فرضاً للعيّارين وجعل عليهم عريفاً اسمه ينْوَيه، وعمل لهم تراساً من البواري المُقيّرة، وأعطاهم المخالي ليجعلوا فيها الحجارة للرمي، وفرض أيضاً لقوم من خُراسان قدموا حُجّاجاً فسُئِلوا المعونة فأعانوا.

وكتب المستعين إلى عُمّال الخراج بكلّ بلدة أن يكون حملهم الخراج والأموال إلى بغداد، لا يُحمل منها إلى سامرّا شيء، وكتب إلى الأتراك، والجند الذين بسامرّا، يأمرهم بنقض بيعة المعتزّ، ومراجعة الوفاء له، ويذكّرهم أياديه عندهم، وينهاهم عن المعصية والنكث.

ثمّ جرت بين المعتزّ ومحمّد بن عبد الله مكاتبات ومراسلات يدعو المعتزّ محمّداً إلى المبايعة ويذكّره ما كان المتوكّل أخذ له عليه من البيعة بعد المنتصر، ومحمّد يدعو المعتزّ إلى الرجوع إلى طاعة المستعين، واحتجّ كلّ واحد منهما على صاحبه.

وأمر محمّد بكسر القناطر، وشقّ المياه بسطوح الأنبار وبادوريا ليقطع الأتراك عن الأنبار، وكتب المستعين والمعتزّ إلى موسى بن بُغا، كلٌّ واحد منهما يدعوه إلى نفسه، وكان بأطراف الشام، كان خرج لقتال أهل حمص، فانصرف إلى المعتزّ، وصار معه، وقدم عبد الله بن بُغا الصغير من سامرّا إلى المستعين، وكان قد تخلّف بعد أبيه، فاعتذر، وقال لأبيه: إنّما قدمتُ لأموت تحت ركابك. فأقام ببغداد أيّاماً، ثمّ هرب إلى سامرّا، فاعتذر إلى المعتزّ، وقال: إنّما سرتُ إلى بغداد لأعلم أخبارهم وآتيك بها. فقبله المعتزّ، وردّه إلى خدمته. (١٤٥/٧)

وورد الحسن بن الأفشين بغدادَ، فخلع عليه المستعين، وضمّ إليه جمعاً من الأُشروسَنيّة وغيرهم.

ذكر حصار المستعين ببغداد

ثمّ إنّ المعتزّ عقد لأخيه أبي أحمد بن المتوكّل، وهو الموفّق، لسبع بقين من المحرّم، على حرب المستعين، ومحمّد بن عبد الله، وولاّه ذلك، وضمّ إليه الجيش، وجعل إليه الأمور كلّها، وجعل التدبير إلى كلباتكين التركيّ، فسار في خمسين ألفاً من الأتراك والفراعنة، والفَيْن من المغاربة، فلمّا بلغ عُكْبرا صلّى بها، وخطب للمعتزّ، وكتب بذلك إلى المعتزّ، فذكر أهل عُكْبرا أنّهم كانوا على خوف شديد من مسير محمّد بن عبد الله إليهم، ومحاربتهم، فانتهبوا القرى ما بين عُكْبرا وبغداد، فخربت الضّياع، وأخذ الناس في الطريق.

ولمّا وصل أبو أحمد إلى عُكْبرا هرب إليه جماعة كبيرة من أصحاب بُغا الصغير، ووصل أبو أحمد وعسكره باب الشّمّاسيّة لسبع خلون من صفر، فقال بعض البصريّين، يُعرف بباذنجانة:

يا بني طاهرٍ أتتكم جُنودُ الـ ـلّـهِ والموتُ بينَها مَشهورُ
وجيوشٌ إمامُهم أبو أحـ ـمَدَ نِعْمَ المَولَى ونِعمَ النَّصِيرُ

ولما نزل أبو أحمد بباب الشّماسيّة ولّى المستعينُ بابَ الشّماسيّة الحسينَ (١٤٦/٧) ابن إسماعيل، وجعل مَن هناك من القوّاد تحت يده، فلم يزل هناك مدّة الحرب إلى أن ساروا إلى الأنبار؛ فلمّا كان عاشر صفر وافت طلائع الأتراك إلى باب الشّمّاسيّة، فوقفوا بالقرب منه، فوجّه محمّدُ بن عبدالله: الحسينَ بن إسماعيل، والشاه بن ميكال، وبندار الطَّبَريّ، فيمن معهم، وعزم على الركوب لقتالهم، فأتاه الشاه فأعلمه أنّ الأتراك لمّا عاينوا الأعلام والرايات قد أقبلت نحوهم رجعوا إلى معسكرهم، فترك محمّد الركوب.

فلمّا كان الغد عزم محمّد على توجيه الجيوش إلى القُفْص ليعرضهم هناك، وليرهب الأتراك، وركب ومعه وصيف وبُغا في الدروع، ومضى معه الفقهاء والقضاة، وبعث إليهم يدعوهم إلى الرجوع عمّا هم عليه من الطغيان والعصيان، ويبذل لهم الأمان على أن يكون المعتزّ وليَّ العهد بعد المستعين، فلم يجيبوا، ومضى نحو باب قُطْرُبُل، فنزل على شاطئ دجلة هو ووصيف وبُغا، ولم يمكنه التقدّم لكثرة الناس فانصرف.

فلمّا كان من الغد أتاه رسل وجه الفلس، وغيره من القوّاد، يعلمونه أنّ الترك قد دنَوا، وضربوا مضاربهم برَقّة الشّمّاسيّة، وأرسل إليهم: لا تبدؤوهم بقتال، وإن قاتلوكم فلا تقاتلوهم، وادفعوهم اليوم؛ فوافى بابَ الشّمّاسيّة منهم اثنا عشر فارساً فرموا بالسهام، ولم يُقاتلهم أحد، فلمّا طال مُقامهم رماهم المِنجنيقيُّ بحجر، فقتل منهم رجلاً، فأخذوه ورجعوا.

وفد عُبيد الله بن سليمان خليفة وصيف التركيّ من مكّة في ثلاثمائة رجل، فخلع عليه محمّد بن عبد الله؛ ووافى الأتراكُ في هذا اليوم باب الشّمّاسيّة، فخرج الحسين بن إسماعيل ومن معه من القوّاد لمحاربتهم، فاقتتلوا وقُتل من (١٤٧/٧) الفريقَيْن، وجُرح،

وكانوا في القتلى والجرحى على السواء، وانهزم أهل بغداد، وثبت أصحاب البواري ثمّ انصرفوا، وأحضر الأتراك منجنيقاً، فغلبهم عليه العامّة، فأخذوه.

ثمّ سار جماعة من الأتراك إلى ناحية النّهروان، فوجّه محمّد بن عبد اللّه قائدين من أصحابه في جماعة، وأمرهما بالمُقام بتلك الناحية، وحفظها من الأتراك، فسار إليهم الأتراك، فقاتلوهم، فانهزم أصحاب محمّد إلى بغداد، وأُخذتْ دوابّهم، فدخلوا بغداد منهزمين، ووجّه الأتراك برؤوس القتلى إلى سامرّا، واستولوا على طريق خراسان، وانقطع الطريق عن بغداد.

ووجّه المعتزّ عسكراً في الجانب الغربيّ فساروا إلى بغداد، وجازوا قُطْرَبُّل، فضربوا عسكرهم هناك، وذلك لاثنتي عشرة خلت من صفر؛ فلمّا كان من الغد وجّه محمّد بن عبد اللّه عسكراً إليهم، فلقيهم الشاه بن ميكال، فتحاربوا فانهزم أصحاب المعتزّ، خرج عليهم كمين لمحمّد بن عبد اللّه، فانهزموا ووضع أصحاب محمّد فيهم السيف، فقتلوهم أكثر قتل، ولم يفلت منهم إلاّ القليل، ونُهب عسكرهم جميعه، ومن سلم من القتل ألقى نفسه في دجلة ليعبر إلى عسكر أبي أحمد، فأخذه أصحاب السُّفن، وحملوا الأسرى والرؤوس في الزواريق، فنُصب بعضها ببغداد.

وأمر محمّد لمن أبلى في هذا اليوم بالأسْورة، والخِلَع، والأموال، وطُلِبت المنهزمةُ، فبلغ بعضهم أوانا، وبعضهم بلغ سَامرّا، وكان عسكر المعتزّ أربعة آلاف، فقُتل منهم ألفان، وغرق منهم جماعة، وأُسر جماعة، فخلع محمّد على جميع القُوّاد، على كلّ قائد أربعَ خلع، وطوقاً وسِواراً من ذهب، (١٤٨/٧) وكان عود أهل بغداد عنهم مع المغرب، وكان أكثر العمل في هذا اليوم للعيّارين.

وركب محمّد بن عبد اللّه بن طاهر لاثنتي عشرة بقيت من صفر إلى الشّمّاسيّة، فأمر بهدم ما وراء سورها من الدور، والحوانيت، والبساتين، من باب الشّمّاسيّة إلى ثلاثة أبواب، ليتّسع على من يحارب.

وقدم مال من فارس والأهواز مع منكجور الأشروسَنيّ، فوجّه أبو أحمد الأتراك لأخذه، فوجّه محمّد بن عبد اللّه جماعة لحفظ المال، فعدلوا به عن الأتراك، فقدموا به بغداذ، فلمّا علم الأتراك بذلك عدلوا نحو النهروان، فقتلوا وأحرقوا سفن الجسر، وهي عشرون سفينة، ورجعوا إلى سامرّا.

وقدم محمّد بن خالد بن يزيد بن مَزْيَد، وكان المستعين قلّده إمرة الثغور الجزَريّة، كان بمدينة بَلَد ينتظر الجنود والمال ليسير إلى الثغور، فلمّا كان من أمر المستعين والأتراك ما ذكرنا، سار من بَلَد إلى بغداد على طريق الرقّة في أصحابه وخاصّته، وهم زُهاء أربع مائة، فخلع عليه محمّد بن عبد اللّه خمس خلع، ثمّ وجّهه في جيش كثيف لمحاربة أيّوب بن أحمد، فأخذ على طريق الفرات، فحاربه في نفر يسير، فهُزم محمّد وصار إلى ضيعته بالسواد، فلمّا سمع محمّد بهزيمته قال: لا يُفلح أحد من العرب إلاّ أن يكون معه نبيّ ينصره اللّه به.

وكانت للأتراك وقعة بباب الشّمّاسيّة، فقاتلوا عليه قتالاً شديداً، حتّى كشفوا من عليه ورمَوا به المِنجَنيق بالنار والنّفط، فلم يحرقه، ثمّ كثر الجند على الباب، فأزالهم عن موقفهم بعد قتلى وجرحى؛ ووجّه محمّد العَرّادات في السفن فرموهم بها رمياً شديداً، فقتلوا منهم نحو مائة؛ وكان بعض المغاربة قد صار إلى السور، فرمى بكلاّب، فتعلّق به، فأخذه الموكّلون (١٤٩/٧) بالسور ورفعوه فقتلوه، وألقوا رأسه إلى الأتراك، فرجعوا إلى معسكرهم.

وأراد بعض الموكّلين بالسور أن يصيح: يا مستعين، يا منصور، فصاح: يا معتزّ، يا منصور، فظنّوه من المغاربة فقتلوه.

وتقدّم الأتراك، في بعض الأيّام، إلى باب الشّمّاسيّة، فرُمي الدرغمان، مقدّمُ المغاربة، بحجر مِنجَنيق فقتله، وكان شجاعاً، وكان بعض المغاربة يجيء فيكشف استه، ويصيح، ويضرط، ثمّ يرجع، فرماه بعض أصحاب محمّد بسهم في دبره، فجُرح من خلفه فخرّ ميتاً.

واجتمعت العامّة بسامرّا ونهبوا سوقي الجوهريّين والصيارفة وغيرهما، فشكا التُّجّار ذلك إلى إبراهيم المؤيّد، فقال لهم: كان ينبغي أن تحوّلوا متاعكم إلى منازلكم. ولم يصنع شيئاً، ولا أنكر ذلك.

وقدم لثمان بقين من صفر جماعة من أهل الثغور يشكون بلكاجور، ويزعمون أن بيعة المعتزّ وردت عليه، فدعا الناس إلى بيعته، وأخذ الناس بذلك، فمن امتنع ضربه وحبسه، وأنّهم امتنعوا وهربوا، فقال وصيف: ما أظنّه إلاّ ظنّ أنّ المستعين مات وقام المعتزّ؛ فقالوا: ما فعله إلاّ عن عمد؛ فورد كتاب بلكاجور لأربع بقين من صفر يذكر أنّه كان بايع المعتزّ، فلمّا ورد كتاب المستعين بصحّة الأمر جدّد له البيعة، وأنّه على السمع والطاعة، فأراد موسى بن بُغا أن يسير إلى المستعين، فامتنع أصحابه الأتراك من موافقته على ذلك، وحاربوه، فقُتل بينهم قتلى.

وقدم من البصرة عشر سفائن بحريّة، في كلّ سفينة خمسة وأربعون رجلاً ما بين نفّاط وغيره، فمرّت إلى ناحية الشّمّاسيّة، فرمَى من فيها بالنيران إلى عسكر أبي أحمد، فانتقلوا إلى موضع لا ينالهم شيء من النار. (١٥٠/٧).

ولليلة بقيت من صفر تقدّم الأتراك إلى أبواب بغداد، فقاتلوا عليها، فقُتل من الفريقَيْن جماعة كثيرة، ودام القتال إلى العصر.

وفي ربيع الأوّل عمل محمّد بن عبد اللّه كافركونات وفرّقها على العيّارين، فخرجوا بها إلى أبواب بغداد، وقتلوا من الأتراك نحواً من خمسين رجلاً؛ ولأربع عشرة خلت من ربيع الأوّل قدم مُزاحم بن خاقان من ناحية الرَّقة، فتلقّاه الناس ومعه زهاء ألف رجل، فلمّا وصل خُلع عليه سبع خلع، وقُلّد سيفاً.

ووجّه المعتزّ عسكراً يبلغون ثلاثة آلاف، فعسكروا بإزاء عسكر أبي أحمد بباب قُطْرُبُل، وركب محمّد بن عبد اللّه في عسكره، وخرج من النظّارة خلق كثير، فحاذى عسكر أبي أحمد، فكانت بينهم في الماء جولة، وقُتل من أصحاب أبي أحمد أكثر من خمسين رجلاً، ومضى النظّارة فجازوا العسكر بنصف فرسخ، فعبرت إليهم سفن لأبي أحمد، فنالت منهم، ورجع محمّد بن عبد اللّه، وأمر ابن أبي عون بردّ الناس، فأمرهم بالعَود، فأغلظوا له، فشتمهم وشتموه، وضرب رجلاً منهم فقتله، فحملت عليه العامّة، فانكشف من بين أيديهم، فأخذ أصحاب أبي أحمد أربع سفائن، وأحرقوا سفينة فيها عَرّادة لأهل بغداد.

وسار العامّة إلى دار ابن أبي عون لينهبوها، وقالوا مايَلَ الأتراك، فانهزم أصحابه، وكلّموا محمّداً في صرفه، فصرفه، ومنعهم من أخذ ماله.

ولإحدى عشرة خلت من ربيع الأوّل وصل عسكر المعتزّ الذي سيّره إلى مقابل عسكر أخيه أبي أحمد عند عُكْبَرا، فأخرج إليهم ابن طاهر عسكراً، فمضوا حتّى بلغوا قُطْرُبُل وبها كمين الأتراك، فأوقع بهم، ونشبت (١٥١/٧) الحرب بينهم، وقُتل بينهم جماعة، واندفع أصحاب محمّد قليلاً إلى باب قُطْرُبُل، والأتراك معهم، فخرج الناس إليهم، فدفعوا الأتراك حتّى نحّوهم، ثمّ رجعوا إلى أهل بغداد فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وقُتل من الأتراك أيضاً خلق كثير، ثمّ تقدّم الأتراك إلى باب القطيعة، فنقبوا السُّور، فقتل أهل بغداد أوّل خارج منه، وكان القتل ذلك اليوم أكثره في الأتراك، والجراح بالسهام في أهل بغداد.

وندب عبد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر الناس، فخرجوا معه، وأمر الموكّل بباب قُطْرُبُل ألاّ يدع منهزماً يدخله، ونشبت الحرب، فانهزم أصحاب عبد اللّه، وثبت أسد بن داود حتّى قُتل، وكان إغلاق الباب على المنهزمين أشدّ من الأتراك، فأخذوا منهم الأسرى، وقتلوا فأكثروا، وحملوا الأسرى والرؤوس إلى سامرّا، فلمّا قربوا منها غطوا رؤوس الأسرى، فلمّا رآهم أهل سامرّا بكوا وضجّوا، وارتفعت أصواتهم، وأصوات نسائهم، فبلغ ذلك المعتزّ فكره أن تغلظ قلوب الناس عليه، فأمر لكلّ أسير بدينار، وأمر بالرؤوس فدُفنت.

وقدم أبو الساج من طريق مكّة لأربع بقين من ربيع الأوّل، فخُلع عليه؛ وفي سلخ ربيع الأوّل جاء نفر من الأتراك إلى باب الشمّاسيّة، ومعهم كتاب من المعتزّ إلى محمّد بن عبد اللّه، فاستأذنه أصحابه في أخذه، فأذن لهم، فإذا فيه تذكير محمد بما يجب عليه من حفظ العهد القديم، وأنّ الواجب (١٥٢/٧) كان عليه أنْ يكون أوّل من يسعى في أمره ويؤكّد خلافته. فما ردّ عليه محمّد جواب الكتاب، وكانت وقعة بينهم لسبع خلون من ربيع الآخر، قُتل من الأتراك سبع مائة ومن أصحاب محمّد ثلاثمائة.

وفي منتصف ربيع الآخر أمر أبو الساج، وعليُّ بن فراشة، وعليُّ بن حفص، بالمسير إلى المدائن، فقال أبو الساج لمحمّد بن عبد اللّه: إن كنتَ تريد الجدّ مع هؤلاء القوم فلا تفرّق قوّادك، واجمعهم، حتّى تهزم هذا العسكر المقيم بإزائك، فإذا فرغتَ منهم فما أقدرك على من بعدهم؛ فقال: إنّ لي تدبيراً، ويكفي اللّه إن شاء اللّه؛ فقال أبو الساج: السمع والطاعة! وسار إلى المدائن وحفر خندقها، وأمدّه محمّد بثلاثة آلاف فارس وألفَيْ راجل، وكتب المعتزّ إلى أخيه أبي أحمد يلومه للتقصير في قتال أهل بغداد، فكتب إليه في الجواب:

لأمرِ المَنايا علينا طريقُ ... وللدهرِ فينا اتّساعٌ وضيقُ
وأيامُنا عِبْرَةٌ للأنامِ ... فمنها البُكور ومنها الطُّروقُ
ومنها هناتٌ تُشيب الوليد ... ويُخذَل فيها الصَّديقُ الصَّدوقُ
وفتنةُ دينٍ لها ذُروةٌ ... تفوق العُيونَ، وبحرٌ عميقُ
قتالٌ متينٌ، وسيفٌ عتيدٌ ... وخوفٌ شديدٌ، وحِصنٌ وثيقُ
وطولُ صياحٍ لداعي الصباحِ الـ ... ـسلاحَ السلاحَ فما يستفيقُ
فهذا طريحٌ وهذا جَريحٌ ... وهذا حَريقٌ وهذا غَريقُ
وهذا قتيلٌ وهذا تَليلٌ ... وآخرُ يَشدَخُهُ المِنجَنيقُ

(١٥٣/٧)

هناك اغتصابٌ وثَمّ انتهابٌ ... ودُورٌ خَرابٌ كانت تَرُوقُ
إذا ما سَرَعنا إلى مسلَكٍ ... وجدناه قد سُدّ عنّا الطريقُ
فباللّه نَبلُغُ ما نرتجي ... وباللّه نَدفَعُ ما لا نُطيقُ

وهذه الأبيات لعليّ بن أميّة في فتنة الأمين والمأمون.

ذكر حال الأنبار

وسيّر محمّد بن عبد اللّه إلى الأنبار نجوبةَ بن قيس، فأقام بها، وجمع بها نحواً من ألفَيْ رجل، وأمدّه محمّد بن عبد اللّه بألف وخمس مائة، وشقّ الماءَ من الفرات إلى خندقها، ففاض على الصحاري، فصار بطيحة واحدة، وقطع القناطر، وسيّر المعتزُّ جنداً مع عليّ الإسحاقيّ نحو الأنبار، فوصلوا ساعة وصلها مددُ محمّد وقد نزلوا ظاهرها، فاقتتلوا أشدّ قتال، فانهزم مدد محمّد بن عبد اللّه، ورجعوا في الطريق الذي جاؤوا فيه إلى بغداد.

وكان نجوبةُ بالأنبار لم يخرج منها، فلمّا بلغه هزيمة مدده،

ومسير الأتراك إليه، عبر إلى الجانب الغربيّ، وقطع الجسر وسار نحو بغداد، فاختار محمّد بن عبد الله إنفاذ الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم إلى الأنبار في جماعة من القوّاد والجند، فجهزهم، وأخرج لهم رزق أربعة أشهر، وخرج الجند، (١٥٤/٧) وعرضهم الحسين، وسار عن بغداد يومَ الخميس لسبع بقين من جمادى الأولى، وتبعه الناس، والقوّاد، وبنو هاشم إلى الياسريّة.

وكان أهل الأنبار لمّا دخلها الأتراك قد أمّنوهم، ففتحوا دكاكينهم، وأسواقهم، ووافاهم سُفن من الرَّقّة تحمل الدقيقَ والزيتَ وغير ذلك، فانتهبها الأتراك وحملوها إلى منازلهم بسامرّا، ووجّهوا بالأسرى وبالرؤوس معها.

وسار الحسين حتّى نزل دِمَمّا، ووافته طلائع الأتراك فوق دِمَمّا، فصفّ أصحابه مقابل الأتراك، بينهما نهر، وكان عسكره عشرة آلاف رجل، وكان الأتراك فوق دِمَمّا، فصفّ أصحابه؛ وكان الأتراك زهاء ألف رجل، فتراموا بالسهام، فجُرح بينهم عدد، وعاد الأتراك إلى الأنبار، وتقدّم الحسين فنزل بمكان يُعرف بالقطيعة، واسع يحمل العسكر، فأقام فيه يومه، ثمّ عزم على الرحيل إلى قرب الأنبار، فأشار عليه القوّاد أن يُنزل عسكره بهذا المكان بالقطيعة لسعته وحصانته، ويسير هو وجنده جريدة، فإن كان الأمر له كان قادراً على نقل عسكره، وإن كان عليه رجع إلى عسكره وعاود عدوّه، فلم يقبل منهم وسار من مكانه.

فلمّا بلغ المكان الذي يريد النزول به أمر الناسَ بالنزول، فأتت الأتراكَ جواسيسُهم، وأعلموهم بمسيره وضيق مكانه، فأتاهم الأتراك والناس يحطّون أثقالهم، فثار أهل العسكر وقاتلوهم فقُتل بينهم قتلى من الفريقَين، وحمل أصحاب الحسين عليهم فكشفوهم، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وغرق (١٥٥/٧) منهم خلق كثير. وكان الأتراك قد كمّنوا لهم كميناً، فخرج الكمين على بقية العسكر، فلم يكن لهم ملجأ إلاّ الفُرات، وغرق من أصحابه خلق كثير، وقُتل جماعة وأُسر جماعة.

وأمّا الفرسان فهربوا لا يلوون على شيء، والقوّاد ينادونهم: الرجْعة، فلم يرجع أحد، فخافوا على نفوسهم، فرجعوا يحمون أصحابهم، وأخذ الأتراك عسكر الحسين بما فيه من الأموال والخِلَع التي كانت معه، وسَلِم ما كان معه من سلاح في السُّفن، لأنّ الملاحين حذروا السفن، فسلم ما معهم من سلاح وغير ذلك، ووصل المنهزمون إلى الياسريّة لستّ خلون من جمادى الآخرة، ولقي الحسينَ رجل من التجار ممّن ذهبت أموالهم، فقال: الحمد لله الذي بيّض وجهك، أصعَدتَ في اثني عشر يوماً، وانصرفتَ في يوم واحد! فتغافل عنه.

ولمّا اتّصل خبر الهزيمة بمحمّد بن عبد الله بن طاهر منع المنهزمين من دخول بغداد، ونادى: من وجدناه ببغداد من عسكر الحسين، بعد ثلاثة أيّام، وضُرب ثلاثمائة سوط، وأُسقط من الديوان؛ فخرج الناس إلى الحسين بالياسريّة، وأخرج إليهم [ابن]عبد الله جنداً آخر، وأعطاهم الأرزاق، وأمر بعض الناس ليعلم من قُتل، ومن غرق، ومن سلم، ففعلوا ذلك.

وأتاهم كتاب بعض عيونهم من الأنبار يخبرهم أنّ القتلى كانت من الترك أكثر من مائتين، والجرحى نحو أربع مائة، وأنّ جميع من أسره الأتراك مائتان وعشرون رجلاً، وأنّه عدّ رؤوس القتلى فكانت سبعين رأساً، وكانوا (١٥٦/٧) أخذوا جماعة من أهل الأسواق فأطلقوهم؛ فرحل الحسين لاثني عشرة بقيت من جمادى الآخرة، وسار حتّى عبر نهر أرْبَق، فلمّا كان السبت لثمان خلون من رجب أتاه إنسان فأعلمه أنّ الأتراك يريدون العبور إليه في عدّة مخاضات، فضربه، ووكّل بمواضع المخاض رجلاً من قوّاده يقال له الحسين بن عليّ بن يحيى الأرمنيُّ في مائتَيْ رجل، فأتى الأتراك المخاضة، فرأوا الموكّل بها، فتركوها إلى مخاضة أخرى، فقاتلوهم، وصبر الحسين بن عليّ وبعث إلى الحسين بن إسماعيل أنّ الأتراك قد وافوا المخاضة، فقيل للرسول: الأمير نائم، فأرسل آخر، فقيل له: الأمير في المخرج، فأرسل آخر، فقيل [له] : الأمير قد عاد فنام، فعبر الأتراك، فقعد الحسين بن عليّ في زورق وانحدر، وهرب أصحابه منهزمين، وقتل الأتراك منهم وأسروا نحو مائتين، وانحدرت عامّة السفن فسلمت، ووضع الأتراك السيف، وغرق خلق كثير من الناس، فوصل المنهزمون بغداد نصف الليل، ووافى بقيّتهم في النّهار، واستولى الأتراك على أثقالهم وأموالهم، وقُتل عدّة من قوّاد الحسين، فقال الهِنْدُوانيُّ في الحسين:

يـا أحـزَمَ النـاس رأيـاً فـي تَخَلُّفِـهِ عنِ القتالِ خَلَطتَ الصَّفوَ بالكَدَرِ
لمّـا رأيـتَ سـيوفَ التُّركِ مُصْلَتـةً علمتَ ما في سيوفِ التُّركِ مِن قَدَرِ
فصِـرتَ مُضْجِـراً ذُلاً ومَنْقَصَـةً والنُّجحُ يَذهَبُ بينَ العَجزِ والضَّجَرِ

ولحق فيها جماعة من الكتّاب والقوّاد وبني هاشم بالمعتزّ، فمن بني هاشم عليٌّ ومحمّد ابنا الواثق وغيرهما، ثمّ كانت بينهم عدّة وقعات، وقُتل فيها من الفريقَين جماعة، ودخل الأتراك في بعض تلك الحروب إلى بغداد، ثمّ (١٥٧/٧) تكاثر الناس عليهم فأخرجوهم منها.

وجرى بين أبي الساج وجماعة من الأتراك وقعة فهزمهم أبو الساج، ثمّ واقعوه أخرى فتخلّى عنه بعض أصحابه فانهزم، ودخل الأتراك المدائن؛ وخرجت الأتراك الذين بالأنبار في سواد بغداد من الجانب الغربيّ، حتّى بلغوا صَرْصَر وقصْرَ ابن هبيرة.

وفي ذي القعدة كانت وقعة عظيمة، خرج محمّد بن عبد الله بن طاهر في جميع القوّاد والعسكر، ونصب له قبّة وجلس فيها،

واقتتل الناس قتالاً شديداً، فانهزمت الأتراك، ودخل أهلُ بغداد عسكرهم، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وهربوا على وجوههم لا يلوون على شيء؛ فكلّما جيء برأس يقول بُغا: ذهبت الموالي، وساء ذلك من مع بُغا ووصيف من الأتراك.

ووقف أبو أحمد بن المتوكّل يردّ الأتراك، ويخبرهم أنّهم إن لم يرجعوا لم يبق لهم بقيّة، وتبعهم أهل بغداد إلى سامرّا، فتراجعوا إليه، وإن بعض أهل بغداد رجعوا عن المنهزمين، فرأى أصحابهم أعلامهم، فظنّوها أعلام الأتراك قد عادت، فانهزموا نحو بغداد مزدحمين، وتراجع الأتراك إلى عسكرهم، ولم يعلموا بهزيمة أهل بغداد، فتحمّلوا عليهم.

وفي ذي الحجة وجّه أبو أحمد خمس سفائن مملوءة طعاماً ودقيقاً إلى ابن طاهر؛ وفي ذي الحجّة علم الناس بما عليه ابن طاهر من خلع المستعين والبيعة للمعتزّ، ووجّه قوّاده إلى أبي أحمد، فبايعوه للمعتزّ، وكانت العامّة تظنّ أنّ الصلح جرى على أنّ الخليفة المستعينُ والمعتزّ وليّ عهده. (١٥٨/٧)

وفي ذي الحجّة أيضاً خرج رشيد بن كاوس أخو الأفشين، وكان موكّلاً بباب السلامة، إلى الأتراك، وسار معهم إلى أبي أحمد، ثمّ عاد إلى أبواب بغداد يقول للناس: إنّ أمير المؤمنين المعتزّ، وأبا أحمد يقرآن عليكم السلام، ويقولان: من أطاعنا وصلناه، ومَنْ أبى فهو أعلم.

فشتمه الناس، وعلموا بما عليه محمّد بن عبد اللّه بن طاهر، فعبرت العامّة إلى الجزيرة التي حِذاء داره، فشتموه أقبح شتم، ثمّ ساروا إلى باب داره ففعلوا به مثل ذلك، وقاتلوا من على بابه حتّى كشفوهم، ودخلوا دهليز داره، وأرادوا إحراق داره فلم يجدوا ناراً، وبات منهم بالجزيرة جماعة يشتمونه وهو يسمع، فلمّا ذكروا اسم أمّه ضحك وقال: ما أدري كيف عرفوه وقد كان أكثر جواري أبي لا يعرفون اسمها. فلمّا كان الغد فعلوا مثل ذلك، فسار محمّد إلى المستعين وسأله أن يطلع إليهم ويسكّنهم، ففعل، وقال لهم: إنّ محمّداً لم يَخلع ولم أتّهمه، ووعدهم أن يصلّي بهم الجمعة، فانصرفوا.

ثمّ تردّدت الرسل بين محمّد بن عبد اللّه وبين أبي أحمد مع حمّاد بن إسحاق بن حمّاد بن يزيد، وثار قوم من رجّالة الجند، وكثير من العامّة، فطلب الجند أرزاقهم، وشكت العامّة سوء الحال، وغلاء السعر، وقالوا: إمّا خرجتَ فقابلتَ، وإمّا تركتنا؛ فوعدهم الخروج، أو فتح باب الصلح، ثمّ جعل على الجسور وبالجزيرة وبباب داره الرجال والخيل، فحضر الجزيرة بشر كثير، فطردوا من كان به، وقاتلوا الناس.

وأرسل محمّد بن عبد اللّه إلى الجند يعدهم رزق شهرَيْن، وأمرهم بالنزول، (١٥٩/٧) فأبوا وقالوا: لا نفعل حتّى نعلم نحن والعامّة على أيّ شيء نحن؛ فخرج إليهم بنفسه، فقالوا له: إنّ العامّة قد اتّهموك في خلع المستعين، والبَيعَة للمعتزّ، وتوجيهك القوّاد بعد القوّاد، ويخافون دخول الأتراك والمغاربة إليهم، فإن يفعلوا بهم كما عملوا في المدائن والأنبار، فهم يخافون على أنفسهم وأولادهم وأموالهم، وسألوا إخراج الخليفة إليهم ليَرَوْهُ ويكذبوا ما بلغهم، فلمّا رأى محمّد ذلك سأل المستعين الخروج إليهم، فخرج إلى دار العامّة، ودخل إليه جماعة من الناس، فنظروا إليه وخرجوا فأعلموا الناس الخبر، فلم ينتفعوا بذلك، فأمر المستعين بإغلاق الأبواب، وصعد سطح دار العامّة، ومحمّد بن عبد اللّه معه، فرآه الناس وعليه البُردة وبيده القضيب، فكلّم الناس، وأقسم عليهم بحقّ صاحب البُردة إلاّ انصرفوا فإنّه آمِن لا بأس عليه من محمّد، فسألوه الركوب معهم والخروج من دار محمّد لأنّهم لا يأمنونه عليه، فوعدهم ذلك.

فلمّا رأى ابن طاهر فعلهم عزم على النقلة عن بغداد إلى المدائن، فأتاه وجوه الناس، وسألوه الصَّفح، واعتذروا بأنّ ذلك فعل الغوغاء والسفهاء، فردّ عليهم ردّاً جميلاً، وانتقل المستعين عن داره في ذي الحجّة، وأقام بدار رزق الخادم بالرُّصافة، وسار بين يديه محمّد بن عبد اللّه بالحربة، فلمّا كان من الغد اجتمع الناس بالرُّصافة فأمروا القوّاد وبني هاشم بالمسير إلى دار محمّد بن عبد اللّه والعود منه إذا ركب، ففعلوا ذلك، فركب محمّد في جمع وتعبئة، ووقف للناس وعاتبهم، وحلف أنّه ما يريد للمستعين، (١٦٠/٧) ولا لوليّ له، ولا لأحد من الناس سوءاً، وأنّه ما يريد إلاّ إصلاح أحوالهم، حتّى بكى الناس ودعوا له.

وسار إلى المستعين، وكان ابن طاهر مجدّاً في أمر المستعين، حتّى غيّره عبيد اللّه بن يحيى بن خاقان، وقال له: إنّ هذا الذي تنصرُه، وتجدّ في أمره، من أشدّ الناس نفاقاً، وأخبثهم ديناً، واللّه لقد أمر وصيفاً وبُغا بقتْلك، فاستعظما ذلك ولم يفعلاه، وإن كنتَ شاكّاً في قولي فسلْ فسلْ تخبره، وإن من ظاهر نفاقه أنّه كان بسامرّا لا يجهر ببسم اللّه الرحمن الرحيم في صلاته، فلمّا صار إليك جهر بها مُراءاة لك، وترك نصرة وليّك، وصهرك، وتربيتك، ونحو ذلك من كلام كلّمه به، فقال محمّد: أخزَى اللّه هذا، ما يصلح لدين ولا لدنيا! ثمّ ظاهر عبيد اللّه بن يحيى بأحمد بن إسرائيل، والحسن بن مخلد.

فلمّا كان يوم الأضحى صلّى المستعين بالناس، ثمّ حضر محمّد بن عبد اللّه عند المستعين وعنده الفقهاء والقضاة، فقال له: قد كنتَ فارقتَني على أن تنفذ أمري في كلّ ما أعزم عليه، وخطّك عندي بذلك؛ فقال المستعين: أحضِر الرقعة، فأحضرها، فإذا فيها ذكر الصلح، وليس فيها ذكر الخلع، فقال: نعم أمضِ الصلح،

فخرج محمّد إلى ظاهر باب الشّمّاسيّة، فضُرب له مضرِب فنزل إليه ومعه جماعة من أصحابه، وجاء أبو أحمد في سُمَيريّة، (١٦١/٧) فصعد إليه، فتناظرا طويلاً، ثمّ خرجا، فجاء ابن طاهر إلى المستعين فأخبره أنّه بذل له خمسين ألف دينار، يقطع عليه ثلاثين ألف دينار، وعلى أن يكون مُقامه بالمدينة، يتردّد منها إلى مكّة، ويخلع نفسه من الخلافة، وأن يعطى بُغا ولاية الحجاز جميعه، ويولّى وصيف الجبل وما والاه، ويكون ثُلث ما يجبى من المال لمحمّد بن عبد اللّه وجُند بغداد، والثُلْثان للموالي والأتراك، فامتنع المستعين من الإجابة إلى الخلع، وظنّ أنّ وصيفاً وبُغا معه يكاشفانِه، فقال: النطع والسيف؛ فقال له ابن طاهر: أمّا أنا فأقعد، ولا بدّ لك من خلعها طائعاً أو مكرهاً! فأجاب إلى الخلع.

وكان سبب إجابته إلى الخلع أنّ محمّداً وبُغا ووصيفاً لمّا ناظروه في الخلع أغلظ عليهم فقال وصيف: أنت أمرتنا بقتل باغر، فصرنا إلى ما نحن فيه، وأنت أمرتنا بقتل أتامش، وقلت إنّ محمّداً ليس بناصح؛ ومازالوا يفزّعونه؛ وقال محمّد: وقد قلتَ لي إن أمرنا لا يصلح إلاّ باستراحتنا من هذَيْن الاثنين؛ فلمّا رأى ذلك أذعن بالخلع، وكتب بما أراد لنفسه من الشروط، وذلك لإحدى عشرة خلت من ذي الحجّة، وجمع محمّد الفقهاء والقضاة، وأدخلهم على المستعين، وأشهدهم عليه أنّه قد صيّر أمره إلى محمّد بن عبد اللّه، ثمّ أخذ منه جوهر الخلافة.

وبعث ابن طاهر إلى قوّاده ليوافوه، ومع كلّ قائد عشرة نفر من وجوه أصحابه، فأتوه فمنّاهم، وقال لهم: ما أردتُ بما فعلتُ إلاّ صلاحكم وحقن (١٦٢/٧) الدماء. وأمرهم بالخروج إلى المعتزّ في الشروط التي شرطها المستعين لنفسه ولقوّاده، ليوقّع المعتزّ عليها بخطّه، ثمّ أخرجهم إلى المعتزّ، فمضوا إليه، فأجاب إلى ما طلبوا، ووقّع عليه بخطّه، وشهدوا على إقراره، وخلع عليهم، ووجّه معهم من يأخذ البيعة على المستعين، وحمل إلى المستعين أمّه وعياله، بعدما فتّشوا، وأخذوا ما معهم. وكان دخول الرسل بغداد من عند المعتزّ لستّ خلون من المحرّم سنة اثنتين وخمسين ومائتين.

ذكر غزو الفرنج بالأندلس

في هذه السنة سيّر محمّد بن عبد الرحمن الأمويُّ، صاحب الأندلس، جيشاً مع ابنه المنذر إلى بلاد المشركين في جمادى الآخرة، فساروا، وقصدوا الملاّحة، وكانت أموال لُذريق بناحية ألْبّة والقلاع، فلمّا عمّ المسلمون بلدهم بالخراب والنهب، جمع لذريق عساكره، وسار يريدهم، فالتقوا بموضع يقال له فج المركوين، وبه تُعرف هذه الغزاة، فاقتتلوا، فانهزم المشركون، إلاّ أنّهم لم يبعدوا، واجتمعوا بهضبة بالقرب من موضع المعركة، فتبعهم المسلمون، وحملوا عليهم، واشتدّ القتال، فولّى الفرنج منهزمين لا يلوون على شيء. وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون.

وكانت هذه الوقعة ثاني عشر رجب، وكان عدد ما أُخذ من رؤوس (١٦٣/٧) المشركين ألفَيْن وأربع مائة واثنين وتسعين رأساً، وكان فتحاً عظيماً وعاد المسلمون.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة رجع سليمان بن محمّد، صرفه عبد اللّه بن طاهر، إلى طَبَرستان من جُرجان بجمع كثير، وخيل وسلاح، فتنحّى الحسن بن زيد عن طَبَرستان، ولحق بالدّيلم، ودخلها سليمان، وقصد سارية، أتاه ابنان لقارن بن شهريار، وأتاه أهل آمل وغيرهم، مُنيبين مُظهرين الندم، يسألون الصَّفح، فلقيهم بما أرادوا، ونهى أصحابه عن القتل والنهب والأذى.

وورد كتاب أسد بن جندان إلى محمّد بن عبد اللّه يخبره أنّه لقي عليَّ ابن عبد اللّه الطالبيَّ المسمّى بالمَرْعَشِيّ، فيمن معه من رؤساء الجبل، فهزمه ودخل مدينة آمل.

وفيها ظهر بأرمينية رجلان، فقاتلهما العلاء، بن أحمد عامل بُغا الشرابيّ، فهزمهما، فصعدا قلعة هناك، فحصرهما، ونصب عليها المجانيق، فهُزما منها، وخفي أمرهما عليه وملك القلعة.

وفيها حارب عيسى بن الشيخ الموفَّقَ الخارجيَّ فهزمه وأسر الموفَّق.

وفيها ورد كتاب محمّد بن طاهر بن عبد اللّه بخبر الطالبيّ الذي ظهر بالرّيّ، وما أعدّ له من العساكر المسيَّرة إليه، وظفر به، واسمه محمّد بن جعفر، (١٦٤/٧) فأخذه أسيراً، ثمّ سار إلى الرّيّ بعد أسْر محمّد بن جعفر بن أحمد بن عيسى بن الحسين الصغير ابن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، عليه السّلام، وإدريس بن موسى بن عبد اللّه بن موسى بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، عليه السلام.

وفيها انهزم الحسن بن زيد من محمّد بن طاهر، وكان لقيه في ثلاثين ألفاً، وقُتل من أصحابه أعيان الحسن ثلاثمائة رجل وأربعون رجلاً.

وفيها خرج إسماعيل بن يوسف العلويُّ ابن أخت موسى بن عبد اللّه الحسنيّ.

وفيها كانت وقعة بين محمّد بن خالد بن يزيد، وأحمد المولّد، وأيّوب ابن أحمد بالسلير من أرض بني تغلِب، فقُتل بينهما جماعة كثيرة، فانهزم محمّد ونُهب متاعه.

وفيها غزا بلكاجور الروم، ففتح مطمورة، وغنم غنيمة كثيرة،

وأسر جماعة من الروم.

وفيها ظهر بالكوفة رجل من الطالبيّين اسمه الحسين بن أحمد بن حمزة ابن عبد اللَّه بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، عليه السّلام، واستخلف بها محمّد بن جعفر بن حسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، عليه السّلام، يكنّى أبا أحمد، فوجّه إليه المستعينُ مزاحمَ بن خاقان، وكان العلويُّ بسواد الكوفة في جماعة من بني أسد ومن الزيديّة، وأجلى عنها عامل الخليفة وهو أحمد بن نُصير بن حمزة بن مالك الخزاعيُّ إلى قصر ابن هُبيرة، واجتمع مزاحم وهِشام بن أبي دُلَف العِجليُّ، فسار مُزاحم إلى الكوفة، فحمل أهل الكوفة العلويّة على قتالهما، ووعدهم النُصرة، فتقدّم مزاحم (١٦٥/٧) وقاتلهم، وكان قد سيّر قائداً معه جماعة، فأتى أهل الكوفة من ورائهم، فأطبقوا عليهم، فلم يفلت منهم واحد، ودخل الكوفة، فرماه أهلها بالحجارة، فأحرقها بالنار، فاحترق منها سبعة أسواق حتّى خرجت النار إلى السُّبيع، ثمّ هجم على الدار التي فيها العلويّ، فهرب، وأقام مزاحم بالكوفة، فأتاه كتاب المعتزّ يدعوه إليه، فسار إليه.

وفيها ظهر إنسان علويٌّ بناحية نِينَوى من أرض العراق، فلقيه هشام بن أبي دُلَف في شهر رمضان، فقتل من أصحاب العلويّ جماعة وهرب فدخل الكوفة.

وفيها ظهر الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمّد بن إسماعيل الأرقط بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ، المعروف بالكركيّ، بناحية قزوين، وزنجان، فطرد عُمّال طاهر عنها.

وفيها قطعت بنو عُقَيل طريق جُدّة، فحاربهم جعفر بشاشات ففُتل من أهل مكّة نحو ثلاثمائة رجل، فغلت الأسعار بمكّة، وأغارت الأعراب على القرى.

وفيها ظهر إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد اللَّه بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب بمكّة، فهرب جعفر بشاشات، وانتهب إسماعيل منزله ومنازل أصحاب السلطان، وقتل الجند وجماعة من أهل مكّة، وأخذ ما كان حُمل لإصلاح القبر من المال وما في الكعبة وخزائنها من الذهب والفضّة وغير ذلك، وأخذ كُسوة الكعبة، وأخذ من الناس نحواً من مائتَيْ ألف دينار، وخرج منها بعد أن نهبها، وأحرق بعضها في ربيع الأوّل بعد خمسين يوماً (١٦٦/٧) وسار إلى المدينة، فتوارى عاملها، ثمّ رجع إسماعيل إلى مكّة في رجب فحصرهم حتّى تماوت أهلها جوعاً وعطشاً، وبلغ الخبز ثلاث أواق بدرهم، واللحم رطل بأربعة دراهم، وشربة ماء بثلاثة دراهم، ولَقي أهل مكّة منه كلّ بلاء.

ثمّ سار إلى جُدّة بعد مقام سبعة وخمسين يوماً، فحبس عن الناس الطعام وأخذ الأموال التي للتجار وأصحاب المراكب، ثمّ وافى إسماعيل عرَفَة وبها محمّد بن أحمد بن عيسى بن المنصور الملقّب بكعب البقر، وعيسى بن محمّد المخزوميُّ صاحب جيش مكّة، كان المعتزّ وجّههما إليها، فقاتلهما إسماعيل، وقُتل من الحاجّ نحو ألف ومائة، وسُلب الناس، وهربوا إلى مكّة لم يقفوا بعَرَفة ليلاً ولا نهاراً، ووقف إسماعيل وأصحابه، ثمّ رجع إلى جُدّة فأفنى أموالها.

وفيها مات سريٌّ السُّقطيُّ الزاهد، وإسحاق بن منصور بن بهرام أبو يعقوب الكوسج، الحافظ النَّيسابوريُّ، توفّي في جمادى الأولى، وله مُسند يُروى عنه. (١٦٧/٧)

سنة اثنتين وخمسين ومائتين

ذكر خلع المستعين

في هذه السنة خَلع المستعينُ أحمدُ بن محمّد بن المعتصم نفسه من الخلافة، وبايع للمعتزّ باللَّه بن المتوكّل، وخُطب للمعتزّ ببغداد يوم الجُمعة لأربع خلون من المحرّم، وأخذ له البيعة على كلّ من بها من الجند.

وكان ابن طاهر قد دخل على المستعين ومعه سعيد بن حُمَيْد، وقد كتب شروط الأمان، فقال له: يا أمير المؤمنين! قد كتب سعيد كتاب الشروط، فأكّده غاية التوكيد، فنقرأه عليك لتسمعه. فقال المستعين: لا حاجة لي إلى توكيدها، فما القوم بأعلم باللَّه منك، ولقد أكّدتَ على نفسك قبلهم فكان ما علمتَ. فما ردّ عليه محمّد شيئاً.

فلمّا بايع المستعين للمعتزّ، وأشهد عليه بذلك، نُقل من الرُّصافة إلى قصر الحسن بن سهل بالمحرّم ومعه عياله وأهله جميعاً، ووكّل بهم، وأخذ منه البردة، والقضيب، والخاتم، ووجّه مع عبد اللَّه بن طاهر، ومنع المستعين من الخروج إلى مكّة، فاختار المُقام بالبصرة، فقيل له: إنّ البصرة وبيّة، فقال: هي أوبأ أو ترك الخلافة!.

ولستّ خلون من المحرّم دخل بغداد أكثر من مائتَيْ سفينة فيها صنوف (١٦٨/٧) التجارات وغنم كثير.

وفيها سُيّر المستعين إلى واسط، واستوزر المعتزُّ أحمدَ بن أبي إسرائيل، وخلع عليه، ورجع أبو أحمد إلى سامرّا لاثنتي عشرة خلت من المحرّم، فقال بعض الشعراء في خلع المستعين:

خُلِعَ الخليفةُ أحمدُ بن مُحمّد ... وسَيُقْتَلُ التالي لَهُ أو يُخلَعُ
ويزول مُلكُ بني أبيهِ ولا يُرَى ... أحدٌ تَمَلَّكَ مِنْهُم يَستَمتِعُ
إيهاً بني العبّاس إنّ سبيلَكم ... في قتل أعبُدِكم سَبيلٌ مَهيَعُ
رَقّعتمُ دُنياكُمُ فتمزّقتْ ... بكمُ الحياةُ تمزّقاً لا يُرقَعُ

وقال الشعراء في خلعه كالبحتريّ، ومحمّد بن مروان بن أبي الجنوب وغيرهما فأكثروا.

وفيها لسبع بقين من المحرّم انصرف أبو الساج ديوداد بن ديودست إلى بغداد، فقلّده محمّد بن عبد اللّه معاون ما سقى الفُرات من السواد، فسيّر نوّابه إليها لطرق الأتراك والمغاربة عنها، ثمّ سار أبو الساج إلى الكوفة.

ذكر حال وصيف وبُغا

وفيها كتب المعتزّ إلى محمّد بن عبد اللّه في إسقاط اسم وصيف وبُغا ومن معهما من الدواوين؛ وكان محمّد بن أبي عون، وهو أحد قوّاد محمّد بن عبد اللّه، قد وعد أبا أحمد أن يقتل بُغا ووصيفاً، فعقد له المعتزّ على اليَمامة، والبحرين، والبصرة، فكتب قوم من أصحاب بُغا ووصيف إليهما بذلك، (١٦٩/٧) وحذّروهما محمّدَ بن عبد اللّه، فركبا إلى محمّد، وعرّفاه ما ضمنه ابن أبي عون من قتلهما، وقال بُغا: إنّ القوم قد غدروا، وخالفوا ما فارقونا عليه، واللّه لو أرادوا أن يقتلونا ما قدروا عليه.

فكفّه وصيف وقال: نحن نقعد في بيوتنا حتّى يجيء من يقتلنا! ورجعا إلى منازلهما، وجمعا جندهما، ووجّه وصيف أخته سُعاد إلى المؤيّد، وكان في حجرها، فكلّم المؤيّدُ المعتزّ في الرضاء عنه، فرضي عن وصيف، وكتب إليه بذلك؛ وتكلّم أبو أحمد بن المتوكّل في بُغا، فكتب إليه بالرضاء عنه، وهما ببغداد، ثمّ تكلّم الأتراك بإحضارهما إلى سامرّا، فكتب إليهما بذلك، وكتب إلى محمّد بن عبد اللّه ليمنعهما من ذلك، فأتاهما كتاب إحضارهما، فأرسلاه إلى محمّد بن عبد اللّه يستأذنانه، وخرج وصيف وبُغا وفرسانهما وأولادهما في نحو أربع مائة إنسان، وخلّفا الثّقل والعيال، فوجّه ابن طاهر إلى باب الشّمّاسيّة من يمنعهم، فمضوا إلى باب خُراسان، وخرجوا منه، ووصلا سامرّا، ورجعا إلى منزلهما من الخدمة، وخلع عليهما، وعقد لهما على أعمالهما، وردّ البريد إلى موسى بن بُغا الكبير.

ذكر الفتنة بين جند بغداد ومحمّد بن عبد اللّه

وفي هذه السنة كانت وقعة بين جند بغداد وأصحاب محمّد بن عبد اللّه بن طاهر.

وكان سبب ذلك أنّ الشاكريّة وأصحاب الفروض اجتمعوا إلى دار محمّد يطلبون أرزاقهم في رمضان، فقال لهم: إنّي كتبتُ إلى أمير المؤمنين (١٧٠/٧) في إطلاق أرزاقكم، فكتب في الجواب: إن كنتَ تريد الجند لنفسك فأعطهم أرزاقهم، وإن كنتَ تريدهم لنا فلا حاجة لنا فيهم؛ فشغبوا عليه، وأخرج لهم ألفَيْ دينار، ففُرّقتْ فيهم، فسكتوا.

ثم اجتمعوا في رمضان أيضاً، ومعهم الأعلام والطبول، وضربوا الخيام على باب حرب، وعلى باب الشّمّاسيّة وغيرهما، وبنوا بيوتاً من بواريّ وقصب، وباتوا ليلتهم، فلمّا أصبحوا كثر جمعهم، وأحضر محمّد أصحابه، فباتوا في داره، وشحن داره بالرجال، واجتمع إلى أولئك المِشْغَبين خلق كثير، بباب حرب، بالسلاح والأعلام والطبول، ورئيسهم أبو القاسم عبدون بن الموفّق، وكان من نوّاب عُبيد اللّه بن يحيى بن خاقان، فحثّهم على طلب أرزاقهم وفاتتهم.

فلمّا كان يوم الجُمعة أرادوا أن يمنعوا الخطيب من الدعاء للمعتزّ، فعلم الخطيب بذلك، فاعتذر بمرض لحقه، ولم يخطب، فمضوا يريدون الجسر، فوجّه إليهم ابن طاهر عدّة من قوّاده في جماعة من الفرسان والرجال، فاقتتلوا، فقُتل بينهم قتلى، ودفعوا أصحاب ابن طاهر عن الجسر؛ فلمّا رأى الذين بالجانب الشرقيّ أنّ أصحابهم أزالوا أصحاب ابن طاهر عن الجسر حملوا يريدون العبور إلى أصحابهم، وكان ابن طاهر قد أعدّ سفينة فيها شوك وقصب، فألقى فيها النار، وأرسلها إلى الجسر الأعلى فأحرقت سُفنه، وقطعته، وصارت إلى الجسر الآخر، فأدركها أهل الجانب الغربيّ، فغرّقوها، وعبر من[في] الجانب الشرقيّ إلى الغربيّ، ودفعوا أصحاب ابن طاهر إلى باب داره، وقُتل بينهم نحو (١٧١/٧) عشرة أنفس، ونهب العامّة مجلس الشُّرَط، وأخذوا منه شيئاً كثيراً من أصناف المتاع.

ولمّا رأى ابن طاهر أنّ الجند قد ظهروا على أصحابه أمر بالحوانيت التي على باب الجسر أن تُحْرَق، فاحترق للتجار متاع كثير، فحالت النار بين الفريقَيْن، ورجع الجند إلى معسكرهم بباب حرب، وجمع ابن طاهر عامّة أصحابه، وعبّأهم تعبئة الحرب خوفاً من رجعة الجند، فلم يكن لهم عودة. فأتاه في بعض الأيام رجلان من الجند، فدلاّه على عورة القوم، فأمر لهما بمائتي دينار، وأمر الشاه بن ميكال وغيره من القوّاد في جماعة بالمسير إليهم، فسار إلى تلك الناحية، وكان أبو القاسم، وابن الخليل، وهما المقدّمان على الجند، قد خافا بمضي ذينك الرجلين، وقد تفرّق الناس عنهما، فسار كلّ واحد منهما إلى ناحية؛ وأمّا ابن الخليل فإنّه لقي الشاه بن ميكال ومن معه، فصاح بهم، وصالح به أصحاب محمّد، وصار في وسطهم، فقُتل؛ وأمّا أبو القاسم فإنّه اختفى، فدُلّ عليه فأُخذ وحُمل إلى ابن طاهر، وتفرّق الجند من باب حرب، ورجعوا إلى منازلهم، وقُيّد أبو القاسم وضُرب ضرباً مبرّحاً، فمات منه في رمضان.

ذكر خلع المؤيّد وموته

في رجب خلع المعتزّ أخاه المؤيّد من ولاية العهد بعده كان

سببه أنّ العلاء بن أحمد، عامل أرمينية، بعث إلى المؤيّد بخمسة آلاف دينار ليصلح بها (١٧٢/٧) أمره، فبعث عيسى بن فرخانشاه إليها فأخذها، فأغرى المؤيّد الأتراك بعيسى، وخالفهم المغاربة، فبعث المعتزّ إلى المؤيّد وأبي أحمد، فأخذهما وحبسهما، وقيّد المؤيّد، وأدرّ العطاء للأتراك والمغاربة.

وقيل إنه ضربه أربعين مقرعة، وخلعه بسامرّا، وأخذ خطّه بخلع نفسه، وكانت وفاته أيضاً في رجب لثمان بقين من الشهر .

وكان سبب موته أنّ امرأة من نساء الأتراك أعلمت محمّد بن راشد أنّ الأتراك يريدون إخراج المؤيّد من الحبس، فأنهى ذلك إلى المعتزّ، فذكر موسى ابن بُغا عنه فقال: ما أرادوه، إنّما أرادوا أن يُخرجوا أبا أحمد بن المتوكّل لأنسهم به وكان في الحرب التي كانت؛ فلمّا كان من الغد دعا بالقضاة والفقهاء والوجوه، فأخرج المؤيّد إليهم ميّتاً لا أثر به، ولا جرح، وحُمل إلى أمّه، ومعه كفنه، وأمرت بدفنه؛ فقيل إنّه أُدرج في لحاف سَمّور ومُسك طرفاه حتّى مات؛ وقيل إنّه أُقعِدَ في الثلج، وجُعل على رأسه منه كثير، فجمد برداً؛ ولمّا مات المؤيّد نُقل أخوه أبو أحمد إلى محبسه، وكانا لأب وأمّ.

ذكر قتل المستعين

ولما أراد المعتزّ قتل المستعين أحمد بن محمّد بن المعتصم، كتب إلى محمّد ابن عبد اللّه يأمره بتسليم المستعين إلى سيما الخادم، فكتب محمّد إلى الموكّليين (١٧٣/٧) بالمستعين بواسط في تسليمه إليه، وأرسل أحمد بن طولون في تسليمه، فأخذه أحمد وسار به إلى القاطول، فسلّمه إلى سعيد بن صالح، فأدخله سعيد منزله، وضربه حتّى مات.

وقيل: بل جعل في رجله حجراً وألقاه في دجلة، وقيل: كان قد حمل معه داية له تعادله، فلمّا أخذه سعيد ضربه بالسيف، فصاح، وصاحت دايته، ثمّ قُتل وقُتلت المرأة معه، وحُمل رأسه إلى المعتزّ، وهو يلعب بالشِّطْرَنْج، فقيل: هذا رأس المخلوع! فقال: ضعوه حتّى أفرغ من الدَّست! فلمّا فرغ نظر إليه، وأمر بدفنه، وأمر لسعيد بخمسين ألف درهم، وولاّه معونة البصرة.

ذكر الفتنة بين الأتراك والمغاربة

وفي هذه السنة مستهلّ رجب كانت الفتنة بين الأتراك والمغاربة.

وسببها أنّ الأتراك وثبوا بعيسى بن فرخانشاه، فضربوه، وأخذوا دابّته، واجتمعت المغاربة مع محمّد بن راشد، ونصر بن سعد، وغلبوا الأتراك على الجوسق، وأخرجوهم منه، وقالوا لهم: كلّ يوم تقتلون خليفة، وتخلعون آخر، وتعملون وزيراً.

وصار الجوسق وبيت المال في أيدي المغاربة، وأخذوا الدوابّ التي كان تركها الأتراك، فاجتمع الأتراك وأرسلوا إلى من بالكرخ والدور منهم، فاجتمعوا (١٧٤/٧) وتلاقوا هم والمغاربة، وأعان الغوغاء والشاكريّة المغاربة، فضعف الأتراك وانقادوا، فأصلح جعفر بن عبد الواحد بينهم؛ على أن لا يُحدثوا شيئاً، وكلّ موضع يكون فيه رجل من الفريقَيْن يكون فيه رجل من الفريق الآخر؛ فمكثوا مُدَيْدةً، ثمّ اجتمع الأتراك وقالوا: نطلب هذَيْن الرأسين، فإن ظفرنا بهما فلا أحد ينطق، فبلغ الخبر باجتماع الأتراك إلى محمّد بن راشد ونصر بن سعد، فخرجا إلى منزل محمّد بن غرون ليكونا عنده حتّى يسكن الأتراك ثمّ يرجعا إلى جمعهما، فغمز بهما إلى الأتراك، فأخذوهما فقتلوهما، فبلغ ذلك المعتزّ، فأراد قتل ابن غرون، فكُلّم فيه فنفاه إلى بغداد.

ذكر خروج مُساور بالبوازيج

في هذه السنة في رجب خرج مُساور بن عبد الحميد بن مُساور الشاري البَجَليُّ الموصليُّ بالبوازيج، وإلى جَدّه يُنسب فُنْدق مساور بالموصل.

وكان سبب خروجه أن شُرطة الموصل، وكان يتولاّها لبني عِمران، وامراء الموصل، لزموا إنساناً اسمه حسين بن بكير، فأخذ ابناً لمُساور هذا اسمه خَوثرة، فحبسه بالحَديثَة، وكان خوثرة جميلاً، فكان حسين هذا يُخرجه من الحبس ليلاً ويُحضره عنده، ويردّه إلى الحبس نهاراً، فكتب خَوثَرة إلى أبيه مُساور، وهو بالبوازيج، يقول له: أنا بالنهار محبوس وبالليل (١٧٥/٧) عروس، فغضب لذلك، وقلق، وخرج وبايعه جماعة، وقصد الحديثة، فاختفى حسين بن بكير، وأخرج مساور ابنه خوثرة من الحبس، وكثر جمعه من الأكراد والأعراب، وسار إلى الموصل فنزل بالجانب الشرقيّ.

وكان الوالي عليها عُقبة بن محمّد بن جعفر بن محمّد بن الأشعث بن أهبان الخزاعيّ، وأهبان يقال إنّه مكلّم الذئب، وله صحبة، فوافقه عُقبة من الجانب الغربيّ، فعبر دجلة رجلان من أهل الموصل إلى مُساور، فقاتلا، فقُتلا، وعاد مساور، وكره القتال؛ وكان خوثرة بن مُساور معهم فسُمع يقول:

أنا الغُلامُ البَجَليُّ الشاري أخرجني جوركُمُ من داري

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة حُمل محمّد بن عليّ بن خلف العطّار، وجماعة من الطالبيّين، إلى سامرّا، فيهم: أبو أحمد محمّد بن جعفر بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وأبو هاشم داود بن القاسم الجعفريُّ في شعبان.

وكان سبب ذلك أنّ رجلاً من الطالبيّين سار من بغداد في

جماعة من الشاكرية إلى ناحية الكوفة، وكانت من أعمال أبي الساج، وكان مقيماً ببغداد، فأمر محمّد بن عبد اللّه بالمسير إلى الكوفة، فقدّم بين يديه خليفته عبد الرحمن إلى الكوفة، فلمّا صار إليها رُمي بالحجارة، وظنّوه جاء لحرب العلويّ، (١٧٦/٧) فقال: لستُ بعامل، إنّما أنا رجل وُجّهتُ لحرب الأعراب؛ فكفّوا عنه.

وكان أبو أحمد الطالبيُّ المذكور قد ولاّه المعتزّ الكوفة، بعدما هزم مزاحم بن خاقان العلويَّ الذي كان وُجّه لقتاله بها، وقد تقدّم ذكره، فعاث أبو أحمد فيها، وآذى الناس، وأخذ أموالهم وضياعهم، فلمّا أقام عبد الرحمن بالكوفة لاطفه واستماله، حتّى خالطه أبو أحمد، وآكله وشاربه، حتّى سار به ثمّ خرج متنزّهاً إلى بستان، فأمسى وقد عبّأ له عبد الرحمن أصحابه، فقيّده، وسيّره إلى بغداد في ربيع الآخر، ووُجدت مع ابن أخ لمحمّد بن عليّ بن خلق العطّار كُتب من الحسن بن زيد، فكتب بخبره إلى المعتزّ، فكتب إلى محمّد بن عبد اللّه بحمله وحمّل الطالبيّين المذكورين إلى سامرّا، فحُملوا جميعاً.

وفيها وليَ الحسين بن أبي الشوارب قضاء القضاة.

وفيها توجّه أبو الساج إلى طريق خُراسان من قبل محمّد بن عبد اللّه.

وفيها عُقد لعيسى بن الشيخ على الرملة وأنفذ خليفته أبا المغرا إليها، وعيسى هذا شيبانيٌّ، وهو عيسى بن الشيخ بن السَّليل، من ولَد جسّاس بن مُرّة بن ذُهل بن شَيبان، واستولى على فلسطين جميعها، فلمّا كان من الأتراك بالعراق ما ذكرناه تغلّب على دمشق وأعمالها، وقطع ما كان يُحمل من الشام إلى الخليفة، واستبدّ بالأموال.

وفيها كتب وصيف إلى عبد العزيز بن أبي دُلَف العِجليّ بتوليته الجبل، وبعث إليه بخلع، فتولّى ذلك من قبله.

وفيها قُتل محمّد بن عمرو الشاري بديار ربيعة، قتله خليفة لأيّوب بن (١٧٧/٧) أحمد في ذي القعدة.

وفيها أغار جستان صاحب الدَّيلم مع أحمد بن عيسى بن أحمد العلويّ، والحسين بن أحمد الكوكبيّ، على الرّيّ فقتلوا وسبوا، وكان بها عبداللّه بن عُزَير، فهرب منها، فصالحهم أهل الريّ على ألفَيْ درهم، فارتحلوا عنها، وعاد ابن عُزَير فأخذ أحمد بن عيسى وبعث به إلى نَيسابور.

وفيها مات إسماعيل بن يوسف الطالبيُّ الذي كان فعل بمكّة ما فعل.

وفيها حجّ بالناس محمّد بن أحمد بن عيسى بن المنصور.

وفيها سيّر محمّد بن [عبد الرحمن] صاحب الأندلس جيشاً إلى بلاد العدوّ، فقصدوا البَبّة، والقلاع، ومدينة مايه وقتلوا من أهلها عدداً كثيراً، ثمّ قفل الجيش سالمين.

وفيها توفّي محمّد بن بشّار بندار، وأبو موسى محمّد بن المُثَنّى الزّمن البصريّان، وهما من مشايخ البخاريّ، ومسلم، في الصحيح، وكان مولد بندار سنة سبع وستّين ومائة. (١٧٨/٧)

سنة ثلاث وخمسين ومائتين

ذكر أخذ كَرَج من أبي دُلَف

فيها عقد المعتزّ لموسى بن بُغا الكبير في رجب على الجبل، فسار على مقدّمته مُفلِح، فلقيه عبد العزيز بن أبي دُلَف خارج هَمَذان، فتحاربا، وكان مع عبد العزيز أكثر من عشرين ألفاً من الصعاليك وغيرهم، فانهزم عبد العزيز وقُتل أصحابه.

فلمّا كان في رمضان سار مفلِح نحو كَرَج، وجعل له كمينَيْن، ووجّه عبد العزيز عسكراً فيه أربعة آلاف، فقاتلهم مُفلح، وخرج الكمينان على أصحاب عبد العزيز، فانهزموا، وقُتلوا، وأُسروا، وأقبل عبد العزيز ليُعين أصحابه، فانهزم بانهزامهم، وترك كَرَج، ومضى إلى قلعة له يقال لها زُرّ، فتحصّن بها، ودخل مُفلح كَرَج فأخذ أهلَ عبد العزيز وفيهم والدته.

ذكر قتل وصيف

وفيها قُتل وصيف؛ وكان سبب قتله أنّ الأتراك والفراغنة والأشروسَنيّة شغبوا، وطلبوا أرزاقهم لأربعة أشهر، فخرج إليهم بُغا ووصيف وسيما، (١٧٩/٧) فكلّمهم وصيف فقال لهم: خذوا التراب، ليس عندنا مال. وقال بُغا: نعم! نسأل أمير المؤمنين ونتناظر في دار أشناس. فدخلوا دار أشناس.

ومضى سيما وبُغا إلى المعتزّ، وبقي وصيف في أيديهم، فوثب عليه بعضهم فضربه بالسيف، ووجأه آخر بسكّين، ثمّ ضربوه بالطبرزينات حتّى قتلوه، وأخذوا رأسه ونصبوه على مِحْراك تنّور؛ وجعل المعتزّ ما كان إلى وصيف إلى بُغا الشرابيّ، وهو بُغا الصغير، وألبسه التاج والوشاحَيْن.

ذكر قتل بُندار الطَّبَريّ

وفيها قُتل بُندار الطبريُّ، وكان سبب قتله أنّ مُساور بن عبد الحميد الموصليَّ الخارجيَّ لمّا خرج بالبوازيج، كما ذكرنا، وكان طريق خُراسان إلى بُندار، ومظفر بن سيسل، وكانا بالدسكرة، أتى الخبر إلى بُندار بمسير مُساور إلى كرخ حدان، فقال المظفر في المسير إليه؛ فقال للمظفّر: قد أمسينا، وغداً العيد، فإذا قضينا العيد سرنا إليه. فسار بُندار طمعاً في أن يكون الظفر له، فسار ليلاً، حتّى

أشرف على عسكر مُساور، فأشار عليه بعض أصحابه أن يبيّتهم، فأبى وقال: حتّى أراهم ويروني، فأحسّ به الخوارج، فركبوا، واقتتلوا.

وكان مع بُنْدار ثلاثمائة فارس، ومع الخوارج سبع مائة فاشتدّ القتال بينهم، وحمل الخوارج حملة اقتطعوا من أصحاب بُنْدار أكثر من مائة، (١٨٠/٧) فصبروا لهم، وقاتلوهم، حتّى قُتلوا جميعاً، فانهزم بُنْدار وأصحابه، وجعل الخوارج يقطعونهم قطعة بعد قطعة، فقتلوهم.

وأمعن بُنْدار في الهرب، فطلبوه، فلحقوه، فقتلوه، ونصبوا رأسه ونجا من أصحابه نحو من خمسين رجلاً وقُتل مائة.

وأتى الخبر إلى المظفّر، فرحل نحو بغداد، وسار مساور نحو حُلوان، فقاتله أهلها، فقُتل منهم أربع مائة إنسان، وقتلوا من أصحابه جماعة، وقُتل عدّة من حُجّاج خُراسان كانوا بحُلوان، وأعانوا أهلها، ثمّ انصرفوا عنه. وقال ابنُ مساور في ذلك:

فَجَعتُ العِراقَ بِبُنْدارِها ... وحُزتُ البِلادَ بأقطارِها
وحُلوانُ صَبَّحتُها غارةً ... فقتَّلتُ أغرارَ غُرّارِها
وعُقبةُ بالموصِلِ أحْجَرْتُه ... وطَوّقتُه الذُّلَّ في كارِها

ذكر موت محمّد بن عبد الله بن طاهر

وفي ليلة أربع عشرة من ذي الحجّة انخسف القمر جميعه، ومع انتهاء خسوفه مات محمّد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين، وكانت علّته التي مات بها قروحاً أصابته في حلقه ورأسه فذبحته، وكانت تُدخل فيها الفتايل.

ولمّا اشتدّ مرضه كتب إلى عُمّاله وأصحابه بتفويض ما إليه من الولاية إلى (١٨١/٧) أخيه عُبيد الله بن طاهر، فلمّا مات تنازع ابنه طاهر وأخوه عبيد الله الصلاة عليه، فصلّى عليه ابنه، وتنازع عبيد الله وأصحاب طاهر، حتّى سلّوا السيوف، ورموا بالحجارة، ومال العامّة مع أصحاب طاهر، وعبر عُبيد الله إلى داره بالجانب الشرقيّ، فعبر معه القوّاد لاستخلاف محمّد، فكان أوصاه على أعماله، ثمّ وجّه المعتزّ بعد ذلك الخلع إلى عُبيد الله، فأمر عبيد الله للذي أتاه بالخلع بخمسين ألف درهم.

ذكر الفتنة بأعمال الموصل

في هذه السنة كانت حرب بين سليمان بن عِمران الأزديّ وبين عنزة.

وسببها أن سليمان اشترى ناحية من المَرج، فطلب منه إنسان من عنزة اسمه برهونة الشفعة، فلم يجبه إليها، فسار برهونة إلى عنزة، وهم بين الزابَيْن، فاستجار بهم وببني شيبان، واجتمع معه جمع كثير، ونهبوا الأعمال فأسرفوا.

وجمع سليمان لهم بالموصل، وسار إليهم، فعبر الزاب، وكانت بينهم حرب شديدة، وقُتل فيها كثير، وكان الظفر لسليمان، فقتل منهم بباب شمعون مقتلة عظيمة، وأدخل من رؤوسهم إلى الموصل أكثر من مائتَيْ رأس، (١٨٢/٧) فقال حفص بن عمرو الباهليُّ قصيدة يذكر فيها الوقعة أوّلها:

شَهِدَت مَواقِفَنا نِزارُ فأحمَدَت ... كَرّاتِ كلِّ سَمَيْدعٍ قَمْقامِ
جاؤوا وجئنا لا نفيتُم صلّنا ... ضرباً يُطيح جَماجمَ الأجسامِ

وهي طويلة.

وفيها كان أيضاً بأعمال الموصل فتنة وحرب قُتل فيها الحبّاب بن بكير التليديُّ؛ وسبب ذلك أنّ محمّد بن عبد الله بن السيّد بن أَنَس التليديّ الأزديّ كان اشترى قَريتَيْن [كان]رهنهما محمّد بن عليّ التليديُّ عنده، وكره صاحبهما أن يشتريهما، فشكا ذلك إلى الحبّاب بن بكير، فقال الحبّاب له: ائتني بكتاب من بُغا لأمنع عنهما؛ وأعطاه دوابّ ونفقة، وانحدر إلى سُرّ من رأى، وأحضر كتاباً من بُغا إلى الحبّاب يأمره بكفّ يد محمّد بن عبد الله بن السيّد عن القريتَيْن، ففعل ذلك، وأرسل إليهما من منع عنهما محمّداً، فجرت بينهم مراسلات واصطلحوا.

فبينما محمّد بن عبد الله بن السيّد والحبّاب بالبستان على شراب لهما، ومعهما قينة، قال لها الحبّاب غنّي بهذا الشعر:

متى تَجمع القلبَ الزكيَّ وصارماً ... وأنفاً حميّاً تَجتنِبك المظالمُ

فغنّتِ الجارية، فغضب محمّد بن عبد الله، وقال لها بل غنّي: (١٨٣/٧)

كَذَبتم وبيتِ اللّه لا تأخذونَها ... مُراغمةً ما دام للسيف قائمُ
ولا صُلحَ حتّى تُقرع البِيضُ بالقَنا ... ويُضربَ بالبيضِ الخفافِ الجماجمُ

وافترقا وقد حقد كلّ واحد منهما على صاحبه، وأعاد الحبّاب التوكيل بالقريتَيْن، فجمع محمّد جمعاً، وتردّدت الرسل في الصُلح، وأجابا إلى ذلك، وفرّق محمّد جمعه، فأُبلغ محمّد أنّ الحبّاب قال: لو كان مع محمّد أربعة لما أجاب إلى الصُلح، فغضب لذلك، وجمع جمعاً كثيراً، وسار مبادراً إلى الحبّاب، فخرج إليه الحبّاب غير مستعدّ، فاقتتلوا فقُتل الحبّاب ومعه ابن له وجمعٌ من أصحابه، وكان ذلك في ذي القعدة من هذه السنة.

ذكر عدّة حوادث

فيها نُفي أبو أحمد بن المتوكّل إلى البصرة، ثمّ رُد إلى بغداد، فأُنزل في الجانب الشرقيّ بقصر دينار، ونُفي أيضاً عليُّ بن المعتصم إلى واسط، ثمّ رُدّ إلى بغداد.

وفيها مات مزاحم بن خاقان بمصر في ذي الحجّة؛ وحجّ بالناس عبد الله بن محمّد بن سليمان الزينبيُّ.

وفيها غزا محمّد بن مُعاذ من ناحية مَلَطْيَة، فانهزم وأُسر. (١٨٤/٧)

وفيها التقى موسى بن بُغا والكوكبيُّ العلويُّ عند قَزوين، فانهزم الكوكبيُّ ولحق بالدَّيلم، وكان سبب الهزيمة أنّهم لمّا اصطفّوا للقتال جعل أصحاب الكوكبيّ تروسَهم في وجوههم، فيتّقون بها سهام أصحاب موسى، فلمّا رأى موسى أن سهام أصحابه لا تصل إليهم مع فعلهم، أمر بما معه من النّفط أن يُصبّ في الأرض، ثمّ أمر أصحابه بالاستطراد لهم، ففعلوا ذلك، فظنّ الكوكبيُّ وأصحابه أنّهم قد انهزموا، فتبعهم، فلمّا توسّطوا النفط أمر موسى بالنار فأُلقيت فيه، فالتهب من تحت أقدامهم، فجعلت تحرقهم، فانهزموا، فتبعهم موسى، ودخل قزوين.

وفيها في ذي الحجة لقي مُساور الخارجيُّ عسكراً للخليفة مقدّمهم حطرمس بناحية جلولاء، فهزمه مساور.

وفيها سار جيش المسلمين من الأندلس إلى بلاد المشركين، فافتتحوا حصون جرنيق، وحاصروا فوتب (؟) وغلب على أكثر أسوارها.

ذكر ابتداء دولة يعقوب الصّفّار وملكه هَراة وبوشنج

وكان يعقوب بن الليث وأخوه عمرو يعملان الصُّفر بسِجستان، ويُظهران الزهد والتقشّف. وكان في أيّامهما رجل من أهل سِجستان يُظهر التطوّع بقتال الخوارج، يقال له: صالح المطّوّعيّ، فصحبه يعقوب، وقاتل معه، فحظي عنده، فجعله صالح مقام الخليفة عنه، ثمّ هلك صالح، وقام مقامه (١٨٥/٧) إنسان آخر اسمه درهم، فصار يعقوب مع درهم كما كان مع صالح قبله.

ثمّ إنّ صاحب خُراسان احتال لدرهم لمّا عظم شأنه وكثر أتباعه، حتّى ظفر به وحمله إلى بغداد فحبسه بها، ثمّ أُطلق، وخدم الخليفة ببغداد.

وعظم أمر يعقوب بعد أخذ درهم، وصار متولّي أمر المتطوّعة مكانَ درهم، وقام بمحاربة الشراة، فظفر بهم، وأكثر القتل فيهم، حتّى كاد يفنيهم، وخرّب قراهم، وأطاعه أصحابه بمكره، وحُسن حاله، ورأيه، طاعةً لم يطيعوها أحداً كان قبله، واشتدّت شوكته، فغلب على سِجستان، وأظهر التمسّك بطاعة الخليفة، وكاتبه، وصدر عن أمره، وأظهر أنّه هو أمره بقتال الشراة؛ وملكَ سِجستان، وضبطَ الطرق وحَفِظَها، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فكثر أتباعه، فخرج عن حدّ طلب الشراة،وصار يتناول أصحاب أمير خراسان للخليفة.

ثمّ سار من سجستان إلى هراة، من خُراسان، هذه السنة، ليملكها، وكان أمير خراسان محمّد بن طاهر بن عبد اللّه بن طاهر بن الحسين، وعامله على هراة محمّد بن أوس الأنباريُّ، فخرج منها لمحاربة يعقوب في تعبئة حسنة، وبأس شديد، وزيّ جميل، فتحاربا واقتتلا قتالاً شديداً، فانهزم ابن أوس، وملك يعقوب هراة وبوشنج، وصارت المدينتان في يده، فعظم أمره حينئذ، وهابه أمير خُراسان وغيره من أصحاب الأطراف. (١٨٦/٧)

سنة أربع وخمسين ومائتين

ذكر مقتل بُغا الشرابيّ

وفيها قُتل بُغا الشرابيُّ؛ وكان سبب قتله أنّه كان يحرّض المعتزّ على المسير إلى بغداد، والمعتزّ يأبى ذلك ويكرهه، فاتّفق أنّ بُغا اشتغل بتزويج ابنته من صالح بن وصيف، فركب المعتزّ ومعه أحمد بن إسرائيل إلى كرخ سامرّا، إلى بابكيال التركيّ ومن معه من المنحرفين عن بُغا.

وكان سبب انحرافه عنه أنّهما كانا على شراب لهما، فعربد أحدهما على الآخر، فاختفى بابكيال من بُغا، فلمّا أتاه المعتزّ اجتمع معه أهل الكرخ وأهل الدُّور ثمّ أقبلوا مع المعتزّ إلى الجوسق بسامرّا، وبلغ ذلك بُغا، فخرج في غلمانه وهم زهاء خمس مائة إنسان من ولده وقوّاده، فسار إلى السنّ، فشكا أصحابه بعضهم إلى بعض ما هم فيه من العسف، وأنّهم خرجوا بغير مَضارب ولا ما يلبسونه في البرد، وأنّهم في شتاء، فأتاه بعض أصحابه وأخبره بقولهم، فقال: دَعْني حتّى أنظر الليلة.

فلمّا جنّ عليه الليل ركب في زورق، ومعه خادمان، وشيء من المال الذي صحبه، وكان قد صحبه تسع عشرة بدرة دنانير، ومائة بدرة دراهم، ولم يحمل معه سلاحاً، ولا سكّيناً، ولا شيئاً، ولم يعلم به أحد من عسكره. (١٨٧/٧) وكان المعتزُّ، في غيبة بُغا، لا ينام إلاّ في ثيابه وعليه السلاح، فسار بُغا إلى الجسر في الثُّلث الأوّل من الليل، فبعث الموكّلون بالجسر ينظرون مَنْ هو، فصاح بالغلام فرجع، وخرج بُغا في البستان الخاقانيّ، فلحقه عدّة من الموكّلين، فوقف لهم بُغا وقال: أنا بُغا، إمّا أن تذهبوا معي إلى صالح بن وصيف، وإمّا أن تصيروا معي حتّى أُحسن إليكم. فتوكّل به بعضهم، وأرسلوا إلى المعتزّ بالخبر، فأمر بقتله، فقُتل، وحُمل رأسه إلى المعتزّ، ونُصب بسامرّا، وببغداد، وأحرقت المغاربة جسده؛ وكان أراد أن يختفي عند صالح بن وصيف، فإذا اشتغل الناس بالعيد، وكان قد قرب، خرج هو وصالح ووثبوا بالمعتزّ.

ذكر ابتداء حال أحمد بن طولون

كانت ديار مصر قد أُقطعها بابكيال، وهو من أكابر قوّاد الأتراك، وكان مقيماً بالحضرة، واستخلف بها من ينوب عنه بها.

وكان طولون والد أحمد بن طولون أيضاً من الأتراك، وقد نشأ هو، بعد والده، على طريقة مستقيمة، وسيرة حسنة، فالتمس بابكيال من يستخلفه بمصر، فأُشير عليه بأحمد بن طولون، لما ظهر عنه من حسن السيرة، فولاّه وسيّره إليها.

وكان بها ابن المُدبّر على الخراج، وقد تحكّم في البلد، فلمّا قدمها أحمد كفّ يد ابن المدبّر، واستولى على البلد؛ وكان بابكيال قد استعمل أحمد بن طولون على مصر وحدها سوى باقي الأعمال كالإسكندريّة وغيرها، فلمّا قتل المهتدي بابكيال وصارت مصر لياركوج التركيّ، وكان بينه وبين أحمد (١٨٨/٧) ابن طولون مودّة متأكدة، استعمله على ديار مصر جميعها، فقوي أمره، وعلا شأنه ودامت أيّامه، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]

ذكر وقعة بين مُساور الخارجيّ وبين عسكر الموصل

كان مُساور بن عبد الحميد قد استولى على أكثر أعمال الموصل وقوي أمره، فجمع له الحسنُ بن أيّوب بن أحمد بن عمر بن الخطّاب العدويُّ التغلبيُّ، وكان خليفة أبيه بالموصل، عسكراً كثيراً منهم حَمدان بن حمدون، جدّ الأمراء الحَمدانيّة، وغيره، وسار إلى مُساور وعبر إليه نهر الزاب، فتأخّر عنه مساور عن موضعه، ونزل بموضع يقال له وادي الذيات وهو واد عميق فسار الحسن في طلبه فالتقوا في جمادى الأولى، واقتتلوا، واشتدّ القتال، فانهزم عسكر الموصل، وكثر القتل فيهم، وسقط كثير منهم في الوادي فهلك فيه أكثر من القتلى، ونجا الحسن فوصل إلى حَزّة من أعمال إربل اليوم، ونجا محمّد بن عليّ بن السيّد، فظنّ الخوارج أنّه الحسن فتبعوه، وكان فارساً شجاعاً، فقاتلهم، فقُتل، واشتدّ أمر مُساور وعظم شأنه وخافه الناس. (١٨٩/٧)

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة توفّي أبو أحمد بن الرشيد، وهو عمّ الواثق والمتوكّل، وعمّ أبي المنتصر والمستعين والمعتزّ، وكان معه من الخلفاء إخوته الأمين، والمأمون، والمعتصم، وابنا أخيه الواثق والمتوكّل ابنا المعتصم، وأبناء ابنَيْ أخيه، وهم المنتصر، والمستعين، والمعتزّ.

وفيها في جُمادى الآخرة توفّي عليُّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، عليه السّلام، بسامرّا، وهو أحد من يعتقد الإماميّةُ إمامته، وصلّى عليه أبو أحمد بن المتوكّل، وكان مولده سنة اثنتَيْ عشرة ومائتين.

وفيها عقد صالح بن وصيف لديوداد على ديار مصر، وقِنّسرين والعواصم.

وفيها أوقع مُفلِح بأهل قُمّ، فقتل منهم مقتلة عظيمة.

وفيها عاود أهلُ ماردة من بلاد الأندلس الخلافَ على محمّد بن عبد الرحمن، صاحب الأندلس، وسبب ذلك أنّهم خالفوا قديماً على أبيه، فظفر بهم، وتفرّق كثير من أهلها، فلمّا كان الآن تجمّع إليها من كان فارقها، فعادوا إلى الخلاف والعصيان، فسار محمّد إليهم، وحصرهم، وضيّق عليهم، فانقادوا إلى التسليم والطاعة، فنقلهم وأموالهم إلى قُرطُبة، وهدم سور ماردة، وحصّن بها الموضع الذي كان يسكنه العُمّال دون غيرهم. (١٩٠/٧)

وفيها هلك أردون بن رُدمير، صاحب جلّيقيّة من الأندلس، ووليَ مكانه أدفونش، وهو ابن اثنتي عشرة سنة.

وفيها انكسف القمر كسوفاً كلّياً لم يبق منه شيء ظاهر.

وفيها كان ببلاد الأندلس قحط شديد، تتابع عليهم من سنة إحدى وخمسين [ومائتين] إلى سنة خمس وخمسين[ومائتين]، وكشف الله عنهم.

وفيها وصل دُلَف بن عبد العزيز بن أبي دُلَف العِجليُّ إلى الأهواز، وجُنْدَيْسابور، وتُستَر، فجبى بها مائتي ألف دينار، ثمّ انصرف، وكان والده أمره بذلك.

وفي رمضان سار نوشرى إلى مُساور الشاري، فلقيه، فهزمه، وقُتل من أصحابه جماعة كثيرة.

وحجّ بالناس عليُّ بن الحسين بن إسماعيل بن عبّاس بن محمّد.

وفيها توفّي أبو الوليد بن عبد الملك بن قطن النحويُّ القيروانيُّ بها، وكان إماماً في النحو واللغة، وإماماً بالعربيّة، قيل مات سنة خمس وخمسين [ومائتين] وهو أصحّ. (١٩١/٧)

سنة خمس وخمسين ومائتين

ذكر استيلاء يعقوب بن الليث الصَفّار على كَرمان

وفيها استولى يعقوب بن الليث الصُفّار على كَرْمان؛ وسبب ذلك أنّ عليّ بن الحسين بن شبل كان على فارس، فكتب إلى المعتزّ يطلب كَرمان، ويذكر عجز الطاهريّة، وأنّ يعقوب قد غلبهم على سِجِسْتان، وكان عليُّ بن الحسين قد تباطأ بحمل خراج فارس، فكتب إليه المعتزُّ بولاية كَرمان، وكتب إلى يعقوب بن الليث بولايتها أيضاً، يلتمس إغراء كلّ واحد منهما بصاحبه ليُسقط مؤونة الهالك عنه، وينفرد بالآخر.

وكان كلّ واحد منهما يُظهر طاعة لا حقيقة لها، والمعتزّ يعلم ذلك منهما، فأرسل عليُّ بن الحسين طوقَ بن المغلّس إلى كَرمان، وسار يعقوب إليها، فسبقه طوق واستولى عليها، وأقبل يعقوب حتّى بقي بينه وبين كرمان مرحلة، فأقام بها شهرَيْن لا يتقدّم إلى طوق، ولا طوق يخرج إليه، فلمّا طال ذلك عليه أظهر الارتحال إلى سجستان، فارتحل مرحلتَيْن، وبلغ طوقاً ارتحاله فظنّ أنّه قد بدا له في حربه، وترك كرمان، فوضع آلة الحرب، وقعد للأكل والشرب والملاهي.

واتّصل بيعقوب إقبال طوق على الشرب، فكرّ راجعاً، فطوى المرحلتَيْن (١٩٢/٧) في يوم واحد، فلم يشعر طوق إلا بغبرة عسكره، فقال: ما هذا؟ فقيل: غبرة المواشي، فلم يكن بأسرع من موافاة يعقوب، فأحاط به وأصحابه، فذهب أصحابه يريدون المناهضة والدفع عن أنفسهم، فقال يعقوب لأصحابه: أفرجوا للقوم! فمرّوا هاربين، وخلّوا كلّ ما لهم، وأسر يعقوب طوقاً.

وكان عليُّ بن الحسين قد سيّر مع طوق في صناديق قيوداً ليقيّد بها من يأخذه من أصحاب يعقوب، وفي صناديق أطوقة وأسورة ليعطيها أهل البلاء من أصحاب نفسه، فلمّا غنم يعقوب عسكرهم رأى ذلك، فقال: ما هذا يا طوق؟ فأخبره، فأخذ الأطوقة والأسورة فأعطاها أصحابه، وأخذ القيود والأغلال فقيّد بها أصحاب عليّ، ولمّا أخرج يد طوق ليضع فيها الغلّ رآها يعقوب وعليها عصابة، فسأله عنها، فقال: أصابتني حرارة ففصدتُها. فأمر بنزع خُفّ نفسه، فتساقط منه كِسَر خبز يابسة، فقال: يا طوق! هذا خفّي لم أنزعه منذ شهرَيْن من رجلي، وخُبزي في خُفّي منه آكل، وأنت جالس في الشرب؟ ثمّ دخل كَرمان وملكها مع سِجستان.

ذكر ملك يعقوب فارس

وفيها، رابع جمادى الأولى، ملك يعقوب بن الليث فارس، ولمّا بلغ عليَّ بن الحسين بن شبل بفارس ما فعله يعقوب بطوق أيقن بمجيئه إليه، وكان عليٌّ بشيراز، فجمع جيشه وسار إلى مضيق خارج شِيراز، من أحد جانبَيْه (١٩٣/٧) جبل لا يُسْلك، ومن الجانب الآخر نهر لا يُخاض، فأقام على رأس المضيق، وهو ضيّق ممرّه لا يسلكه إلاّ واحد بعد واحد، وهو على طرف البرّ، وقال: إنّ يعقوب لا يقدر على الجواز إلينا. فرجع.

وأقبل يعقوب حتّى دنا من ذلك المضيق فنزل على ميل منه، وسار وحده ومعه رجل آخر، فنظر إلى ذلك المضيق والعسكر وأصحاب [عليّ بن] الحسين يسبّونه وهو ساكت، ثمّ رجع إلى أصحابه؛ فلمّا كان الغد الظهر سار بأصحابه حتّى صار إلى طرف المضيق ممّا يلي كرمان، فأمر أصحابه بالنزول وحطّ الأثقال، ففعلوا، وركبوا دوابّهم عرياً، وأخذ كلباً كان معه فألقاه في الماء، فجعل يسبح إلى جانب عسكر [عليّ بن]الحسين، وكان عليُّ بن الحسين وأصحابه قد ركبوا ينظرون إلى فعله، ويضحكون منه.

وألقى يعقوب نفسه وأصحابه في الماء على خيلهم، وبأيديهم الرماح، يسيرون خلف الكلب، فلمّا رأى عليُّ بن الحسين أنّ يعقوب قد قطع عامّة النهر تحيّر في أمره، وانتقض عليه تدبيره، وخرج أصحاب يعقوب من وراء أصحاب عليّ، فلمّا خرج أوائلهم هرب أصحابه إلى مدينة شِيراز، لأنّهم كانوا يصيرون، إذا خرج يعقوب وأصحابه، بين جيش يعقوب والمضيق، ولا يجدون ملجأ، فانهزموا، فسقط عليُّ بن الحسين عن دابّتِه، كبا به الفرس، فأُخذ أسيراً، وأُتي به إلى يعقوب، فقيّده، وأخذ كلّ ما في عسكره، ثمّ رحل من موضعه، ودخل شِيراز ليلاً، فلم يتحرّك أحد، فلمّا أصبح نهب أصحابه دار عليّ ودور أصحابه، وأخذ ما في بيوت الأموال، وجبى الخراج ورجع إلى سِجستان.

وقيل إنّه جرى بين يعقوب الصفّار وبين عليّ بن الحسين، بعد عبوره (١٩٤/٧) النهر، حرب شديدة، وذلك أنّ علياً كان قد جمع عنده جمعاً كثيراً من الموالي والأكراد وغيرهم، بلغت عدّتهم خمسة عشر ألفاً بين فارس وراجل، فعبّأ أصحابه ميمنة، وميسرة، وقلباً، ووقف هو في القلب، وأقبل الصفّار فعبر النهر، فلمّا صار مع عليّ على أرض واحدة حمل هو وعسكره حملة واحدة على عسكر عليّ، فثبتوا لهم، ثمّ حمل ثانية فأزالهم عن مواقفهم، وصدقهم في الحرب، فانهزموا على وجوههم لا يلوي أحد على أحد.

وتبعهم عليٌّ يصيح بهم، ويناشدهم اللّه ليرجعوا، أو ليقفوا، فلم يلتفتْ إليه أحد، وقُتل الرَّجّالة قتلاً ذريعاً، وأقبل المنهزمون إلى باب شِيراز مع العصر، فازدحموا في الأبواب، فتفرّقوا في نواحي فارس، وبلغ بعضهم في هزيمته إلى الأهواز.

فلمّا رأى الصفّار ما لقوا من القتل أمر بالكفّ عنهم، ولولا ذلك لقُتلوا عن آخرهم. وكان القتلى خمسة آلاف قتيل، وأصاب عليَّ بن الحسين ثلاث جراحات، ثمّ أُخذ أسيراً لمّا عرفوه، ودخل الصفّار إلى شيراز، وطاف بالمدينة، ونادى بالأمان فاطمأنّ الناس، وعذّب علياً بأنواع العذاب، وأخذ من أمواله ألف بدرة، وقيل أربع مائة بدرة؛ ومن السلاح والأفراس، وغير ذلك ما لا يُحدّ، وكتب إلى الخليفة بطاعته، وأهدى له هدية جليلة منها عشرة بيزان بيض، وباز أبلق صينيّ، ومائة منّ مِسك وغيرها من الطرائف، (١٩٥/٧) وعاد إلى سِجستان ومعه عليٌّ، وطوق، تحت الاستظهار، فلمّا فارق بلاد فارس أرسل الخليفة عُمّاله إليها.

ذكر خلع المعتزّ وموته

وفيها، في يوم الأربعاء، لثلاث بقين من رجب، خُلع المعتزّ،

ولليلتين خلتا من شعبان ظهر موته.

وكان سبب خلعه أنّ الأتراك لمّا فعلوا بالكتّاب ما ذكرناه، ولم يحصل منهم مال، ساروا إلى المعتزّ يطلبون أرزاقهم، وقالوا: أعطِنا أرزاقنا حتّى نقتل صالحَ بن وصيف، فلم يكن عنده ما يُعطيهم، فنزلوا معه إلى خمسين ألف دينار، فأرسل المعتزّ إلى أمّه يسألها أن تعطيه مالاً ليعطيهم، فأرسلت إليه: ما عندي شيء.

فلمّا رأى الأتراك أنّهم لا يحصل لهم من المعتزّ شيء، ولا من أمّه، وليس في بيت المال شيء، اتّفقت كلمتهم، وكلمة المغاربة، والفراعنة، على خلع المعتزّ، فساروا إليه وصاحوا، فدخل إليه صالح، ومحمّد بن بُغا المعروف بأبي نصر، وبابكيال في السلاح، فجلسوا على بابه، وبعثوا إليه أن اخرجْ إلينا، فقال: قد شربتُ أمس دواء، وقد أفرط في العمل، فإن كان أمر لا بدّ منه فليدخل بعضكم! وهو يظنّ أنّ أمره واقف على حاله، فدخل إليه جماعة منهم، فجرّوه برجله إلى باب الحجرة، وضربوه بالدبابيس، وخرقوا قميصه، وأقاموه في الشمس في الدار فكان يرفع رجلاً ويضع أخرى (١٩٦/٧) لشدّة الحرّ، وكان بعضهم يلطمه وهو يتّقي بيده، وأدخلوه حجرةً، وأحضروا ابن أبي الشوارب وجماعة أشهدوهم على خلعه، وشهدوا على صالح بن وصيف أنّ للمعتزّ وأمّه وولده وأخته الأمان.

وكانت أمّه قد اتّخذت في دارها سَرَباً، فخرجت منه هي وأخت المعتزّ، وكانوا أخذوا عليها الطريق، ومنعوا أحداً يجوز إليها، وسلّموا المعتزّ إلى من يعذّبه، فمنعه الطعام والشراب ثلاثة أيّام، فطلب حسوة من ماء البئر، فمنعوه، ثمّ أدخلوه سرداباً، وجصّصوا عليه فمات، فلمّا مات أشهدوا على موته بني هاشم والقوّاد، وأنّه لا أثر فيه، ودفنوه مع المنتصر.

وكانت خلافته من لدن بُويع إلى أن خُلع أربع سنين وستّة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً، وكان عمره كلّه أربعاً وعشرين سنة؛ وكان أبيض، أسود الشعر، كثيفَهُ، حسن العينَيْن والوجه، أحمر الوجنتَيْن، حسن الجسم طويلاً؛ وكان مولده بسُرّ من رأى، وكان فصيحاً، فمن كلامه لمّا سار المستعين إلى بغداد، وقد أحضر جماعة للرأي، فقال لهم: أما تنظرون إلى هذه العصابة التي ذاع نفاقها؟ الهمج، العصاة، الأوغاد الذين لا مسكة بهم، ولا اختيار لهم، ولا تمييز معهم، قد زيّن لهم تقحّم الخطأ سوء أعمالهم، فهم الأقلّون وإن كثروا، والمذمومون إذا ذُكروا، وقد علمتُ أنّه لا يصلح لقود الجيوش، وسدّ الثغور، وإبرام الأمور، وتدبير الأقاليم، إلاّ رجل قد تكاملت فيه خصال أربع: حزم يتّقي به عند موارد الأمور حقائق مصادرها، (١٩٧/٧) وعلم يَحجزُهُ عن التهوّر والتغرير في الأشياء إلاّ مع إمكان فرصتها، وشجاعة لا تفضّها الملمّات مع تواتر حوائجها، وجود يهوّن تبذير الأموال عند سؤالها، وسُرعة مكافأة الإحسان، إلى صالح الأعوان، وثقل الوطأة على أهل الزيغ والعدوان، والاستعداد للحوادث إذ لا تؤمَن حوادث الزمان.

وأمّا الاثنتان فإسقاط الحجاب عن الرعيّة، والحكم بين القويّ والضعيف بالسويّة.

وأمّا الواحدة فالتيقُّظ للأمور، وقد اخترت لهم رجلاً من موالي أحدهم شديد الشكيمة، ماضي العزيمة، لا تُبطره السرّاء، ولا تدهشه الضرّاء، ولا يهاب ما وراءه، ولا يهوله ما يلقاه، فهو كالحريش في أصل الإسلام إن حُرّك حمَل، وإن نُهِش قتل؛ عدّته عتيدة، ونعمته شديدة، يلقى الجيش في النفر القليل العديد، بقلب أشدّ من الحديد؛ طالب للثأر لا تفله العساكر، باسل البأس، ومقتضب الأنفاس، لا يعوزه ما طلب، ولا يفوته من هرب؛ واري الزناد مضطلع العماد، لا تشرهه الرغائب، ولا تعجزه النوائب؛ وإن وليَ كفَى، وإن قال وفى؛ وإن نازل قَبطَل، وإن قال فَعَل؛ (١٩٨/٧) ظلّه لوليّه ظليل، وبأسه في الهياج عليه دليل، يفوق من ساماه، ويُعجز من ناواه، ويتعب من جاراه، وينعش من والاه.

ذكر خلافة المهتدي

وفي يوم الأربعاء لليلة بقيت من رجب بويع لمحمّد بن الواثق، ولُقّب بالمهتدي باللّه؛ وكان يكنّى أبا عبد اللّه، وأمّه روميّة، وكانت تسمّى قرب، ولم يقبل بيعة أحد، فأُتي بالمعتز فخلع نفسه، وأقرّ بالعجز عمّا أُسند إليه، وبالرغبة في تسليمها إلى ابن الواثق، فبايعه الخاصّة والعامّة.

ذكر الشغب ببغداد

وفي هذه السنة شغبت العامّة ببغداد سلخ رجب، ووثبوا بسليمان بن عبد اللّه.

وكان سببه أنّ كتاب المهتدي ورد سلخ رجب إلى سليمان يأمره بأخذ البَيعة له؛ وكان أبو أحمد بن المتوكّل ببغداد، كان المعتزّ قد سيّره إليها، كما تقدّم، فأرسل سليمان إليه، فأخذه إلى داره. (١٩٩/٧)

وسمع مَنْ ببغداد من الجند والعامّة بأمر المعتزّ، فاجتمعوا إلى باب دار سليمان، فقاتلهم أصحابه، وقيل لهم: ما يرد علينا من سامرّا خبر، فانصرفوا.

ورجعوا الغد، وهو يوم الجُمعة، على ذلك، وخُطب للمعتزّ ببغداد، فانصرفوا، وبكّروا يوم السبت، فهجموا على دار سليمان، ونادوا باسم أبي أحمد، ودعوا إلى بيعته، وسألوا سليمان أن يُريهم أبا أحمد، فأظهره لهم، ووعدهم أن يصير إلى محبّتهم إن تأخّر

عنهم ما يحبّون، فانصرفوا بعد أن أكّدوا عليه في حفظ أبي أحمد.

ثمّ أُرسل إليهم من سامرّا مال ففُرّق فيهم، فرضوا، وبايعوا للمهتدي لسبع خلون من شعبان وسكنت الفتنة.

ذكر ظهور قبيحة أمّ المعتزّ

قد ذكرنا استتارها عند قتْل ابنها؛ وكان السبب في هربها وظهورها أنّها كانت قد واطأت النفر من الكتّاب الذين أوقع بهم صالح على الفتك بصالح، فلمّا أوقع بهم، وعذّبهم، علمت أنّهم لا يكتمون عنه شيئاً، فأيقنت بالهلاك، فعملت في الخلاص، وأخرجت ما في الخزائن إلى خارج الجوسق من الأموال، والجواهر، وغيرها، فأودعته، واحتالت، فحفرت سَرَباً في حُجرة لها إلى موضع يفوت التفتيش، فلمّا خرجت الحادثة على المعتزّ بادرت فخرجت في ذلك السَّرَب، فلمّا فرغوا من المعتزّ طلبوها فلم يجدوها، ورأوا السَّرَب، فخرجوا منه، فلم يقفوا على خبرها، وبحثوا عنها فلم يظفروا بها.

ثمّ إنّها فكّرت فرأت أنّ ابنها قُتل، وأنّ الذي تختفي عنده يطمع في (٢٠٠/٧) مالها وفي نفسها، ويتقرّب بها إلى صالح، فأرسلت امرأة عطّارة إلى صالح بن وصيف، فتوسّطت الحال بينهما، ظهرت في رمضان، وكانت لها أموال ببغداد، فأحضرتها، وهي مقدار خمسمائة ألف دينار وظفروا لها بخزائن تحت الأرض فيها أموال كثيرة، ومن جملتها دار تحت الأرض، وجدوا فيها ألف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار، ووجدوا، في سفط، قدر مكّوك زمرّد لم ير الناس مثله؛ وفي سفط آخر مقدار مكّوك من اللؤلؤ الكبّار؛ وفي سفط مقدار كَيْلَجَة من الياقوت الأحمر الذي لم يوجد مثله، فحُمل الجميع إلى صالح، فسبّها، وقال: عرّضت ابنها للقتل في خمسين ألف دينار، وعندها هذه الأموال كلّها!

ثمّ سارت قبيحة إلى مكّة، فسُمعتْ وهي تدعو بصوت عال على صالح بن وصيف، وتقول: اللهمّ أخزِ صالحاً كما هتك سِتري، وقتل ولدي، وشتّت شملي، وأخذ مالي، وغرّبني عن بلدي، وركب الفاحشة منّي؛ وأقامت بمكّة.

وكان المتوكّل سمّاها قبيحة لحسنها وجمالها، كما يسمّى الأسود كافوراً. قال: وكانت أمّ المهتدي قد ماتت قبل استخلافه، وكانت تحت المستعين، فلمّا قُتل جعلها المعتزّ في قصر الرُّصافة، فماتت، فلمّا وليَ المهتدي قال: أمّا أنا فليس لي أمّ أحتاج لها غلّة عشرة آلاف دينار في كلّ سنة لجواريها، وخدمها، والمتّصلين بها، وما أريد إلاّ القوت لنفسي وولدي، وما أريد فضلاً إلاّ لإخوتي، فإنّ الضائقة قد مسّتهم. (٢٠١/٧)

ذكر قتل أحمد بن إسرائيل وأبي نوح

وفيها قُتل أحمد بن إسرائيل، وكان صالح قد عذّبه بعد أن أخذه وأخذ ماله ومال الحسن بن مخلّد، ثمّ أمر بضربه وضرب أبي نوح ضرب التلف، كلّ واحد منهما خمس مائة سوط، فماتا ودُفنا، وبقيَ الحسن بن مخلّد [في الحبس].

ولمّا بلغ المهتدي ضرْبهما قال: أمّا عقوبة إلاّ السوط والقتل، أما يكفي الحبس؟ إنّا لله وإنّا إليه راجعون! يكرّر ذلك مراراً.

ذكر ولاية سليمان بن عبد الله بن طاهر بغداد وشغب الجند والعامّة بها

وفي رمضان وثب عامّة بغداد وجُندها بمحمّد بن أوس البلخيّ.

وكان السبب في ذلك أنّ محمّد بن أوس قدم من خراسان مع سليمان بن عبد الله بن طاهر على الجيش القادمين من خراسان، وعلى الصعاليك الذين معهم، ولم تكن أسماؤهم في ديوان العراق؛ وكانت العادة أن يقام لمن يقدم من خراسان بالعراق ما كان لهم بخراسان، ويكون وَجْه ذلك من دخْل ضياع (٢٠٢/٧) ورثة طاهر بن الحسين، ويُكتب إلى خراسان ليُعطى الورثة من بيت المال عوضه.

فلمّا سمع عُبيد الله بن عبد الله بقدوم سليمان إلى العراق، ومصير الأمر إليه، أخذ ما في بيت مال الورثة، وأخذ نجوماً لم تحلّ، وسار، فأقام بالجويب، في شرقيّ دجلة، ثمّ انتقل إلى غربيّها؛ فقدم سليمان فرأى بيت مال الورثة فارغاً، فضاقت عليه الدنيا، وأعطى أصحابه من أموال جُند بغداد، وتحرك الجند والشاكريّة في طلب الأرزاق.

وكان الذين قدموا مع محمّد بن أوس من خراسان قد أساؤوا مجاورة أهل بغداد، وجاهروا بالفاحشة، وتعرّضوا للحُرَم والغلمان بالقهر، فامتلؤوا عليهم غيظاً وحنقاً، فاتّفق العامّة مع الجند، وثاروا، وأتوا سجن بغداد، عند باب الشام، فكسّروا بابه، وأطلقوا مَنْ فيه، جرت حرب بين القادمين مع ابن أوس وبين أهل بغداد، فعبر ابن أوس وأصحابه وأولاده إلى الجزيرة، وتصايح الناس: مَنْ أراد النهب فليلحق بنا! فقيل إنّه عبر إلى الجزيرة من العامّة أكثر من مائة ألف نفس، وأتاهم الجند في السلاح، فهرب ابن أوس إلى منزله، فتبعه الناس، فتحاربوا نصف نهار حرباً شديدة، وجُرح ابن أوس، وانهزم هو وأصحابه، وتبعهم الناس حتّى أخرجوهم من باب الشمّاسيّة، وانتهبوا منزله وجميع ما كان فيه، فقيل: كان قيمة ذلك ألفَيْ ألف درهم، وأخذوا له من الأمتعة ما لا حدّ عليه، ونهب أهل بغداد منازل الصعاليك من أصحابه.

فأرسل سليمان بن عبد اللّه إلى ابن أوس يـأمره بالمسير إلى خراسان، ويعلمه (٢٠٣/٧) أنّه لا طريق له إلى العـود إلى بغداد، فرحل إلى النهروان، فنهب وأفسد، ثمّ أتى بابكيـال التركيّ، كتب إليه وُلاة طريق خراسـان في ذي القعدة، وكـان مُساور بـن عبد الحميد قد استخلف رجلاً اسمه موسى بالدّسكرة ونواحيها، في ثلاثمائة رجل، وإليه ما بين حُلوان والسُّوس علـى طريـق خراسـان وبطن جُوخى.

وفيها أمر المهتدي بإخراج القيان والمغنّين من سامرّا، ونفـاهم عنها، وأمر أيضاً بقتـل السباع التـي كـانت بـدار السـلطان، وطـردِ الكلاب؛ وردّ المظالمَ، وجلَس للعامّة، ولمّا وليَ كانت الدنيا كلّهـا بالفتن منسوخة.

ذكر استيلاء مُفلِح على طَبَرِستان وعوده عنها

في هذه السنة سار مُفلِح إلى طَبَرِستان، فحارب الحسنَ بن زيد العلويّ، فانهزم الحسن ولحق بالدّيلم، ودخل مُفلح البلد، وأحـرق منازل الحسن، وسار إلى الدّيلم في طلبه، ثمّ عاد عن طَبَرِستان بعد أن دخلها، وهزم الحسنَ بن زيد العلويّ، وعاد موسى بسن بُغـا مـن الرّيّ.

وسبب ذلك أنّ قبيحة أمّ المعـتزّ لمّـا رأتِ اضطـراب الأتـراك كتبت إلى موسى تسأله القـدوم عليهـم، وأمّلـتْ أن يصـل قبـل أن يفرط في ولدها فارط، فعزم موسى علـى الانصـراف، وكتـب إلـى مُفلح يأمره بالانصراف عن طَبَرِستان (٢٠٤/٧) إليـه بـالرّيّ، فـورد كتابه إلى مُفلح وهو قد توجّه إلى أرض الدّيلم فـي طلـب الحسـن بن زيد العلويّ، فلمّا أتاه الكتاب رجع، فأتـاه مـن كـان هـرب مـن الحسن من أهل طَبَرِسْتان، ورجوا العود إلى بيوتهم، وقالوا لـه: مـا سبب عودك؟ فأخبرهم بكتاب الأمـير إليـه يعـزم عليه، ولـم يتهيّـأ لموسـى المسـير عـن الـرّيّ حتّـى أتـاه خبـر قتـل المعـتزّ والبيعـة للمهتدي، فبايعوا المهتدي.

ثم إنّ الموالي الذيـن مـع موسـى بلغهـم مـا أخـذ صـالح بـن وصيف من أمـوال الكتّـاب وأسـلاب المعـتزّ، فحسـدوا المقيمين بسامرّا، فدعَوا موسى بن بُغا بالانصراف، وقدم عليهـم مُفلـح وهـو بالرّيّ فسار نحو سامرّا، فكتب إليه المهتدي يأمره بالعود إلى الـرّيّ ولزوم ذلك الثغر، فلم يفعل، فأرسل إليـه رجليـن مـن بنـي هاشـم يعرّفانه ضيق الأموال عنده، ويحذّرانه غلبة العلويّين على ما يجعلـه خلفه، فلم يسمع ذلك.

وكان صالح بن وصيف يعظّم على المهتدي انصرافـه، وينسـبه إلى المعصية والخلاف، ويتبرّأ إلى المهتدي مـن فعلـه، ولمّـا أتـى الرسل موسى ضجّ الموالي، وكادوا أن يثبـوا بالرسـل، وردّ موسـى الجواب يعتذر بتخلّف من معه عـن الرجـوع إلـى قولـه دون ورود باب أمير المؤمنين، ويحتجّ بما عاين الرسل، وأنّه إن تخلّف عنهـم قتلوه، وسيّر مع الرسل جماعة من أصحابه، فقدموا سامرّا سنة ستّ وخمسين ومائتين. (٢٠٥/٧)

ذكر استيلاء مُساور على الموصل

لمّا انهزم عسكر الموصل من مُساور الخـارجيّ، كمـا ذكرنـاه، قوي أمره، وكثر أتباعه، فسار من موضعـه وقصـد الموصـل، فـنزل بظاهرها عند الدير الأعلى، فاستتر أمير البلد منه، وهو عبد اللّه بـن سليمان، لضعفه عن مقاتلته، ولم يدفعه أهل الموصل أيضاً لميلهـم إلى الخلاف، فوجّه مسـاور جمعـاً إلـى دار عبـد اللّـه أمـير البلـد، فأحرقها، ودخل مساور الموصل بغير حرب، فلم يعرض لأحد.

وحضرت الجُمعة، فدخل المسجد الجامع، وحضر النـاس، أو من حضر منهم، فصعد المنبر وخطب عليه، فقال في خطبته: اللهـمّ أصلحنا، وأصلح ولاتنا! ولمّا دخل في الصـلاة جعـل إبهامَيْـه فـي أذنَيْه، ثمّ كبّر ستّ تكبيرات، ثمّ قرأ بعد ذلـك، ولمّـا خطـب جعـل على درج المنبر من أصحابه مـن يحرسـه بالسـيوف، وكذلـك فـي الصلاة، لأنّه خاف من أهل الموصل؛ ثمّ فارق الموصل، ولم يُقـدم على المقام بها لكثرة أهلها، وسار إلى الحديثة لأنّه كان اتّخذها دار هجرته.

ذكر أوّل خروج صاحب الزنج

وفي شوّال خرج في فُرات البصرة رجل، وزعم أنّـه علـيُّ بـن محمّد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بـن أبي طالب، عليه السّلام، وجمع الزّنج الذين كانوا يسكنون السّباخ، وعبر دجلة، فنزل الدّيناري. (٢٠٦/٧)

قال أبو جعفر: وكان اسمه، فيما ذُكر، عليّ بن محمّد بـن عبـد الرحيم، ونسبه في عبد القيس، وأمّه ابنة عليّ بن رحيب بن محمّـد بن حَكيم من بني أسد بن خُزَيمة من قُرى الرّيّ، وكان يقول: جدّي محمّد بن حَكِيم من أهل الكوفة أحد الخارجين على هشام بن عبد الملك مع زيد بن عليّ بن الحسين، فلمّـا قُتـل زيـد هـرب فلحـق بالرّيّ، فجاء إلى قرية ورزنين وأقام بها. وإنّ أبـا أبيـه عبـد الرحيـم رجل من عبد القيس، كان مولده بالطالَقان، وقدم العراق، واشـترى جارية سِنديّة، وأولدها محمّداً أباه، وكان متّصلاً قبـلُ بجماعـة مـن حاشية المنتصر، منهـم غـانم الشُّطرَنجيُّ، وسـعيد الصغير، وكـان معاشه منهم ومن أصحاب السُّلطان، وكـان يمدحهـم ويسـتميحهم بشعره، منهم، ومن غيرهم.

ثمّ إنّه شـخَصَ مـن سـامرا سـنة تسـع وأربعيـن ومـائتين إلـى البحرين، فادّعى بها أنّه عليُّ بن عبد اللّه بن محمّد بـن الفضـل بـن الحسن بن عبيد اللّه بن العبّاس بن عليّ بن أبي طالب، ودعا الناس

بهَجَر إلى طاعتهِ، فاتَّبعه جماعة كثيرة من أهلها ومن غيرهم، فجرى بين الطائفتَيْن عصبيّة قُتل فيها جماعة.

وكان أهل البحرين قد أحلّوه بمحلّ نبيّ، وجبى الخراج، ونفذ فيهم حكمه، وقاتلوا أصحاب السلطان بسببه، فوتَر منهم جماعة، فتنكّروا له، فانتقل عنهم إلى الأحساء، ونزل على قوم من بني سعد بن تميم يقال لهم: بنو الشَّمّاس، وأقام فيهم، وفي صحبته جماعة من البحرين منهم: يحيى بن محمّد الأزرق البَحْرانيُّ، وسليمان بن جامع، وهو قائد جيشه.

وكان يتنقل بالبادية، فذُكر عنه أنّه قال: أوتيتُ في تلك الأيّام بالبادية آياتٍ من آياتِ إمامتي ظاهرة للناس، منها أنّي لَقّنتُ سُوَراً من القرآن، (٢٠٧/٧) فجرى بها لساني في ساعة، وحفظتُها في دُفعة واحدة، منها: سبحان والكهف، وصاد، ومنها أنّي فكرتُ في الموضع الذي أقصده حيث أتيتُ في البلاد، فأظلّتني غمامة، وخوطبتُ منها، فقيل لي: اقصدِ البصرة.

وقيل عنه إنّه قال لأهل البادية: إنّه يحيا به عمر العلويُّ، أبو الحسن، المقتول بناحية الكوفة، فخدع أهلها، فأتاه منهم جماعة كثيرة، فزحف بهم إلى الروم، من البحرين، كانت بينهم وقعة عظيمة، وكانت الهزيمة عليه وعلى أصحابه، قُتلوا قتلاً كثيراً، فتفرّقت العرب عنه.

فلمّا تفرّقت عنه سار فنزل البصرة في بني ضُبيعة، فاتّبعه منهم جماعة كبيرة منهم: عليُّ بن أبان المُهلّبيُّ، وكان قدومه البصرة سنة أربع وخمسين ومائتين، ومحمّد بن رجاء الحضاريُّ عاملها، ووافق ذلك فتنة أهل البصرة بالبلالّيّة، والسعديّة. وطمع في إحدى الطائفتَيْن أن تميل إليه، فأرسل إليهم يدعوهم، فلم يجبه أحد من أهل البلد، وطلبه ابن رجاء، فهرب، فحبَسَ جماعة ممّن كانوا يميلون إليه، منهم: ابنه، وزوجته، وابنة له، وجارية حامل منه.

وسار يريد بغداد، ومعه من أصحابه محمّد بن سلم، ويحيى بن محمّد، وسليمان بن جامع، ومرقس القريعيُّ؛ فلمّا صار بالبطيحة نذِر بهم (٢٠٨/٧) رجل كان يلي أمرها، اسمه عمير بن عمّار، فحملهم إلى محمّد بن عوف، عامل واسط، فخلص منه هو وأصحابه، فدخل بغداد، فأقام بها حولاً، فانتسب إلى محمّد بن أحمد بن عيسى بن زيد، فزعم بها أنّه ظهر له آيات عرف بها ما في ضمائر أصحابه، وما يفعل كلّ واحد منهم، فاستمال جماعة من أهل بغداد منهم: جعفر بن محمّد الصُّوحانيُّ من ولد يزيد بن صُوحان، ومحمّد بن القاسم، ومُشرق، ورقيق، غلاماً يحيى بن عبد الرحمن، فسمّى مُشرقاً حمزة، وكنّاه أبا أحمد، وسمّى رقيقاً جعفراً، وكنّاه أبا الفضل.

وعُزل محمّد بن رجاء عن البصرة، فوثب رؤساء البلالّيّة والسعديّة، فأخرجوا من في الحبوس، فخلص أهله فيهم؛ فلمّا بلغه خلاص أهله رجع إلى البصرة، وكان رجوعه في رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين، ومعه عليُّ بن أبان، ويحيى بن محمّد، وسليمان،ومشرق، ورقيق، فوافوا البصرة، فنزل بقصر القرشيّ على نهر يُعْرَف بعمود ابن المنجم، وأظهر أنّه وكيل لولد الواثق في بَيْع السباخ، فأقام هنالك.

وذكر رَيحان أحد غلمان السورجيّين، وهو أوّل من صحبه منهم، أنّه قال:كنت موكّلاً بغلمان مولاي أنقل لهم الدقيق، فأخذني أصحابه، فساروا بي إليه، وأمروني أن أسلّم عليه بالإمرة، ففعلتُ، فسألني عن الموضع الذي جئتُ منه، فأخبرتُهُ، وسألني عن أخبار البصرة، فقلتُ: لا علم لي؛ وسألني عن غلمان السورجيّين، وعن أحوالهم، وما يُجرى لهم، فأعلمتُهُ، فدعاني إلى ما هو عليه، فأجبتُهُ، فقال: احتلْ فيمن قدرتَ عليه من الغلمان، وأقبل بهم إليّ، ووعدني أن يقوّدني على من آتيه به، واستحلفني أن لا أُعلم (٢٠٩/٧) أحداً بموضعه، وأن أرجع إليه، وخلّى سبيلي.

وعُدْتُ إليه من الغداة، وقد أتاه جماعة من غلمان الدبّاشين، فكتب في حريرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] الآية؛ وجعلها في رأس مُرديّ، وما زال يدعو غلمان أهل البصرة، ويُقبلون إليه للخلاص من الرقّ والتعب، فاجتمع عنده منهم خلق كثير، فخطبهم، ووعدهم أن يقودهم ويملّكهم الأموال، وحلف لهم بالأيمان أن لا يغدر بهم، ولا يخذلهم، ولا يدع شيئاً من الإحسان إلاّ أتى به إليهم؛ فأتاه مواليهم، وبذلوا له على كلّ عبد خمسة دنانير ليسلم إليه عبده، فبطح أصحابهم، وأمر كلّ مَنْ عنده من العبيد، فضربوا مواليهم، أو وكيلهم، كلّ سيّد خمسمائة سوط، ثم أطلقهم فمضوا نحو البصرة.

ثمّ ركب في سفن هناك، فعبر دُجيلاً إلى نهر ميمون، فأقام هناك، ولم يزل هذا دأبه يتجمّع إليه السودان إلى يوم الفطر، فخطبهم، وصلّى بهم، وذكّرهم ما كانوا فيه من الشقاء وسوء الحال، وأنّ اللّه تعالى أبعدهم من ذلك، وأنّه يريد أن يرفع أقدارهم، ويُملكهم العبيد والأموال.

فلمّا كان بعد يومَيْن رأى أصحابه الحمري، فقاتلوه حتّى أخرجوه من دجلة، واستأمن إلى صاحب الزّنج رجل من رؤساء الزّنج يكنّى بأبي (٢١٠/٧) صالح، ويُعرف بالقصير، في ثلاثمائة من الزنج، فلمّا كثروا جعل القوّاد فيهم منهم، وقال لهم: كلّ من أتى منكم برجل فهو مضموم إليه.

وكان ابن أبي عون قد نقل من واسط إلى ولاية الأُبُلّة وكُوَر دجلة، وسار قائد الزنج إلى المحمديّة، فلمّا نزلها وافاه أصحاب ابن أبي عون، فصاح الزنج: السلاحَ، وقاموا، وكان فيهم فتحُ

الحجّام، فقام وأخذ طبقاً كان بين يديه، فلقيه رجل من السورجيّين يقال له بُلبُل، فلمّا رآهُ فتحُ حمل عليه، وحذفَه بالطبق الذي بيده، فرمى سلاحه وولّى هارباً، وانهزم أصحابه، وكانوا أربعة آلاف، وقُتل منهم جماعة، ومات بعضهم عطشاً، وأسر منهم، وأمر بضرب أعناقهم.

ثمّ سار إلى القادسيّة، فنهبها أصحابه بأمره، وما زال يتردّد إلى أنهار البصرة، فوجد بعض السودان داراً لبعض بني هاشم، فيها سلاح بالسيب، فانتهبوه، فصار معهم ما يقاتلون به، فأتاه، وهو بالسيب، جماعة من أهل البصرة يقاتلونه، فوجّه يحيى بن محمّد في خمسمائة رجل، فلقوا البصريّين، فانهزم البصريّون منهم، وأخذوا سلاحهم، ثمّ قاتل طائفة أخرى عند قرية تُعرف بقرية اليهود، فهزمهم أيضاً، وأثبت أصحابه في الصحراء.

ثمّ أسرى إلى الجعفريّة، فوضع في أهلها السيف، فقتل أكثرهم، وأتى منهم بأسرى فأطلقهم، ولقي جيشاً كبيراً للبصريّين مع رئيس اسمه عَقِيل، فهزَمهم، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وكان معهم سُفن، فهبّت عليها ريح فألقتها إلى الشطّ، فنزل الزنج وقتلوا من وجدوا فيها، وغنموا ما فيها، وكان مع الرئيس سفن، فركبها ونجا، فأنفذ صاحبُ الزنج فأخذها (٢١١/٧) ونهب ما فيها، ثمّ نهب القرية المعروفة بالمُهلَّبيّة وأحرقها، وأفسد في الأرض وعاث.

ثمّ لقيه قائد من قوّاد الأتراك يقال له: أبو هلال في أربعة آلاف مقاتل على نهر الريّان، فاقتتلوا، وحمل السودان عليه حملة صادقة، فقتلوا صاحب عَلَمه، فانهزم هو وأصحابه، وتبعهم السودان، فقتلوا من أصحاب أبي هلال أكثر من ألف وخمس مائة رجل، وأخذوا منهم أسرى فأمر بقتلهم.

ثمّ إنّه أتاه من أخبره أنّ الزينبيّ قد أعدّ له الخيول، والمتطوّعة، والبلاليّة، والسعديّة، وهم خلق كثير، وقد أعدّوا الحبال ليُكتّف من يأخذونه من السودان، والمقدّم عليهم أبو منصور، وأخذ موالي الهاشميين، فأرسل عليُّ بن أبان في مائة أسود ليأتيه بخبرهم، فلقي طائفة منهم، فهزمهم، وصار من معهم من العبيد إلى عليّ بن أبان.

وأرسل طائفة أخرى من أصحابه، فأتوا إلى موضع فيه ألف وتسع مائة سفينة، ومعها مَنْ يحفظها، فلمّا رأوا الزّنجَ هربوا عنها، فأخذ الزنج السفن وأتوا بها إلى صاحبهم، فلمّا أتوه قعد على نشز من الأرض.

وكان في السفن قوم حُجّاج أرادوا أن يسلكوا طريق البصرة، فناظرهم، فصدقوه على قوله، وقالوا له: لو كان معنا فضل نفقة لأقمنا معك؛ فأطلقهم، وأرسل طليعة تأتيه بخبر ذلك العسكر، فأتاه خبرهم أنّهم قد أتوه في خلق كثير، فأمر محمّدَ بن سالم، وعليَّ بن أبان أن يقعدا لهم بالنخل، وقعد هو على جبل مشرف، فلم يلبث أن طلعت الأعلام والرجال، فأمر الزّنج فكبّروا، (٢١٢/٧) وحملوا عليهم، وحملت الخيول، فتراجع الزنج حتّى بلغوا الجبل الذي هو عليه، ثمّ حملوا، فثبتوا لهم، وقُتل من الزنج فتحٌ الحجّام، وصدق الزنج الحملة، فأخذوهم بين أيديهم، وخرج محمّد بن سالم وعليُّ بن أبان، وحملوا عليهم فقتلوا منهم، وانهزم الناس، وذهبوا كلّ مذهب، وتبعهم السودان إلى نهر بيان، فوقعوا في الوحل، فقتلهم السودان، وغرق كثير منهم.

وأتى الخبر إلى الزنوج بأنّ لهم كميناً، فساروا إليه، فإذا الكمين في أكثر من ألف من المغاربة، فقاتلهم قتالاً شديداً، ثمّ حمل السودان عليهم، فقتلوهم أجمعين وأخذوا سلاحهم.

ثمّ وجّه أصحابه فرأوا مائتيْ سفينة فيها دقيق فأخذوه، ومتاعاً فنهبوه، ونهب المُعلّى بن أيّوب ثمّ سار، فرأى مسلحة الزينبيّ فقاتلوه، فقاتلهم، فقتلهم أجمعين، فكانوا مائتين؛ ثمّ سار فنهب قرية ميزران، ورأى فيها جمعاً من الزنج ففرّقهم على قوّاده؛ ثمّ سار، فلقيه ستّمائة فارس مع سليمان ابن أخي الزينبيّ، ولم يقاتله، فأرسل من ينهب، فأتوه بغنم وبقر، فذبحوا وأكلوا، وفرّق أصحابه في انتهاب ما هناك.

ثمّ إنّ صاحب الزنج سار يريد البصرة، حتّى إذا قابل النهر المعروف بالرياحي أتاه قوم من السودان فأعلموه أنّهم رأوا في الرياحي بارقةً، فلم يلبث إلاّ يسيراً حتّى نادى السودان: السلاحَ السلاحَ، وأمر عليَّ بن أبان بالعبور إليهم، فعبر في ثلاثمائة رجل، وقال له: إن احتجتَ إلى مدد (٢١٣/٧) فاستمدّني، فلمّا مضى عليٌّ صاح الزنج: السلاحَ السلاحَ، لحركة رأوها في جهة أخرى، فوجّه محمّدَ بن سالم، فرأى جمعاً، فقاتلهم من وقت الظهر إلى آخر وقت العصر، ثمّ حمل الزنوج حملة صادقة، فهزموهم، وقتلوا من أهل البصرة والأعراب زهاء خمس مائة، ورجعوا إلى صاحبهم.

ثمّ أقبل عليُّ بن أبان في أصحابه، وقد هزموا مَنْ بإزائهم، وقتلوا منهم، ومعه رأس ابن أبي الليث البلاليّ القواريريّ من أعيان البلاليّة، ثمّ سار من الغد عن ذلك المكان، ونهى أصحابه عن دخول البصرة، فتسرّع بعضهم، فلقيهم أهل البصرة في جمع عظيم، وانتهى الخبر إليه، فوجّه محمّد بن سالم، وعليَّ بن أبان، ومشرقاً، وخلقاً كثيراً، وجاء هو يسايرهم فلقوا البصريّين، فأرسل إلى أصحابه ليتأخّروا عن المكان الذي هم فيه، فتراجعوا، فأكبّ عليهم أهل البصرة فانهزموا، وذلك عند العصر، ووقع الزنوج في نهر كبير، ونهر شيطان، وقُتل منهم جماعة، وغرق جماعة، وتفرّق الباقون، وتخلّف صاحبهم عنهم، وبقي في نفر يسير، فنجّاه الله تعالى.

ثمّ لقيهم وهم متحيّرون لفقده، وسأل عن أصحابه، فإذا ليس معه إلاّ خمس مائة رجل، فأمر بالنفخ في البوق الذي يجتمعون لصوته، فلم يأته أحد، وكان أهل البصرة قد انتهبوا السفن التي كانت للزنوج، وبها متاعهم، فلمّا أصبح رأى أصحابه في ألف رجل، وأرسل محمّد بن سالم إلى أهل البصرة يعظهم، ويعلمهم ما الذي دعاه إلى الخروج، فقتلوه.

فلمّا كان يوم الاثنين لأربع خلون من ذي القعدة جمع أهل البصرة (٢١٤/٧) وحشدوا لمّا رأوا من ظهورهم عليه، وانتدبَ لذلك رجل يُعرف بحماز الساجيّ، وكان من غُزاة البحر، وله علم في ركوب السفن، فجمع المتطوّعة، ورماة الأهداف، وأهل المسجد الجامع، ومن خفّ معه من البلاليّة والسعديّة، ومن أحبّ النظر من غيرهم، وشحن ثلاثة مراكب، وشذوات مقابلة، وجعلوا يزدحمون، ومضى جمهور الناس رجّالة، منهم من معه سلاح، ومنهم نظّارة، فدخلت المراكب في المدّ، والرجّالة على شاطئ النهر.

فلمّا علم صاحب الزنج بذلك وجّه طائفة من أصحابه مع زريق الأصبهانيّ، في شرقيّ النهر، كميناً، وطائفة مع شبل، وحسين الحماميّ، في غربيّه، كميناً، وأمر عليَّ بن أبان أن يلقى أهل البصرة، وأن يستتر هو ومن معه بتراسهم، ولا يقاتل حتّى تظهر أصحابه، وتقدّم إلى الكمينَيْن، إذ جاوزهم أهل البصرة، أن يخرجوا، ويصيحوا بالناس، وبقي هو في نفر يسير من أصحابه، وقد هاله ما رأى من كثرة الجمع، فسار أصحابه إليهم، وظهر الكمينان من جانبَي النهر ومن وراء السفن، والرجّالة، فضربوا من ولّى من الرجّالة والنظّارة، فغرقت طائفة، وقُتلت طائفة، وهرب الباقون إلى الشطّ، فأدركهم السيف، فمن ثبت قُتل ومن ألقى نفسه في الماء غرق، فهلك أكثر ذلك الجمع، فلم ينجُ إلا الشريد، وكثر المفقودون من أهل البصرة، وعلا العويل من نسائهم، وهذا يوم البيداء الذي أعظمه الناس. (٢١٥/٧)

وكان فيمن قُتل جماعة من بني هاشم وغيرهم في خلق كثير لا يُحصى، وجُمعت للخبيث الرؤوس، فأتاه جماعة من أولياء المقتولين، فأعطاهم ما عرفوا، وجمع الرؤوس التي لم تُطلب، وجعلها في خزينة، فأطلقها فوافت البصرة، فجاء الناس وأخذوا كلّ ما عرفوه منها، وقوي بعد هذا اليوم، وتمكّن الرعب في قلوب أهل البصرة منه، وأمسكوا عن حربه.

وكتب الناس إلى الخليفة بخبر ما كان، فوجّه إليهم جعلانَ التركيّ مدداً، وأمر أبا الأحوص الباهليّ بالمسير إلى الأُبُلّة والياً، وأمدّه بقائد من الأتراك يقال له جُريح؛ وأمّا الخبيث صاحب الزّنج فإنّه انصرف بأصحابه إلى سبخة في آخر النهار، وهي سبخة أبي قُرّة، وبثّ أصحابه يميناً وشمالاً للغارة والنهب، فهذا ما كان منه في هذه السنة.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة كانت وقعة بين عسكر الخليفة وبين مُساور الشاري، فانهزم عسكر الخليفة.

وفيها مات المُعلّى بن أيّوب.

وفيها وليَ سليمان بن عبد الله بن طاهر بغداد والسواد في ربيع الأوّل، وكان قدومه من خُراسان فيه أيضاً، فسار إلى المعتزّ، فخلع عليه، وسار إلى بغداد، فقال ابن الروميّ:

مَنْ عَذيري من الخلائق ضَلّوا ... في سليمان عن سَواء السبيلِ (٢١٦/٧)
عوّضوه، بعد الهزيمة، بغدا ... دَ كأنْ قد أتى بفتحٍ جليلِ
من يخوضُ الرّدى إذا كان من فـ ... ـرّ أثابوه بالجَزاء الجَميلِ

يعني هزيمة سليمان من الحسن بن زيد العلويّ.

وفيها أخذ صالحُ بن وصيف أحمدَ بن إسرائيل، والحسنَ بن مخلَد، وأبا نوح عيسى بن إبراهيم، فقيّدهم، وطالبهم بالأموال.

وكان سببه أنّ الأتراك طلبوا أرزاقهم، فقال صالح للمعتزّ: هؤلاء يطلبون أرزاقهم، وليس في بيت المال شيء، وقد ذهب هؤلاء الكُتّاب بالأموال، وكان أحمد وزير المعتزّ، والحسين وزير أمّ المعتزّ، وقال له أحمد بن إسرائيل: يا عاصي ابن العاصي، فتراجعا الكلام، فسقط صالح مغشيّاً عليه، فُرشّ على وجهه الماء.

وبلغَ ذلك أصحابه، وهم بالباب، فصاحوا صيحة واحدة، واخترطوا سيوفهم، ودخلوا على المعتزّ، فدخل وتركهم، وأخذ صالحٌ أحمدَ بن إسرائيل، وابن مخلَد، وعيسى، فأثقلهم بالحديد، وحملهم إلى داره، فقال المعتزّ لصالح، قبل أن يحملهم: هَبْ لي أحمد، فإنّه كاتبي، فلم يفعل، ثمّ ضربهم، وأخذ خطوطهم بمال جزيل قُسّط عليهم، ولم يحصّل منهم شيء، وقام جعفر بن محمود بالأمر والنهي.

وفيها، في رجب، ظهر عيسى بن جعفر وعليُّ بن زيد الحسنيّان بالكوفة، فقتلا بها عبد الله بن محمّد بن داود بن عيسى. (٢١٧/٧)

وفيها، في ذي القعدة، حُبس الحسن بن محمّد بن أبي الشوارب القاضي، ووليَ عبد الرحمن بن نائل البصريُّ قضاء سامرّا في ذي الحجّة؛ وحجّ بالناس عليُّ بن الحسين بن العبّاس بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس.

وفيها ظهر بمصر إنسان علويٌّ ذكر أنّه أحمد بن محمّد بن عبد

اللّه بن إبراهيم بن طَباطَبا، وكان ظهوره بين بَرقة والإسكندريّة، وسار إلى الصعيد، وكثر أتباعه، وادّعى الخلافة، فسيّر إليه أحمد بن طولون جيشاً، فقاتلوه، وانهزم أصحابه عنه، وثبت هو فقُتل، وحُمل رأسه إلى مصر.

وفيها توفّي خَفاجة بن سُفيان أمير صِقِلّيّة في رجب، وولي بعده ابنه محمّد، وتقدّم ذكر ذلك سنة سبع وأربعين ومائتين؛ ولمّا ولي محمّد سيّر عمّه عبد اللّه بن سفيان إلى سَرَقُوسَة فأهلك زرعها وعاد.

وفيها توفّي أبو أحمد عمر بن شمر بن حمدويْه الهَرَويُّ اللغويُّ، وكان إماماً في الأشعار، وروى عن ابن الأعرابيّ والرياشيّ وغيرهما.

وفيها توفّي محمّد بن كرام بن عراف بن خزانة بن البراء، صاحب المقالة المشهورة في التشبيه، وكان موته بالشام، وهو من سِجِستان.

وفيها توفّي الزبير بن بكّار بن عبد اللّه بن مصعب بن ثابت بن عبد اللّه بن الزبير قاضي مكّة، وكان سقط من سطح، فمكث يومَيْن ومات وكان عمره أربعاً وثمانين سنة؛ وعبد اللّه بن عبد الرحمن الدارميُّ، صاحب المسند، توفّي في ذي الحجّة وعمره خمس وسبعون سنة، وأبو عِمران عمرو بن بحرالجاحظ، وهو من متكلّمي المعتزلة، وعليُّ بن المثنّى بن يحيى بن عيسى الموصليُّ والد أبي يعلى، صاحب المسند.

وفيها توفّي محمّد سُحنون الفقيه المالكيُّ القيروانيُّ بها. (٢١٨/٧)

سنة سِت وخمسين ومائتين

ذكر وصول موسى بن بُغا إلى سامرّا واختفاء صالح

وفيها في ثاني عشر المحرّم دخل موسى بن بُغا إلى سامرّا وقد عبّأ أصحابه، واختفى صالح بن وصيف، وسار موسى إلى الجوسق، والمهتدي جالس للمظالم، فأُعلم بمكان موسى، فأمسك ساعة عن الإذن له، ثمّ أذن له ولمن معه، فدخلوا، فتناظروا، وأقاموا المهتدي من مجلسه، وحملوه على دابّة من دوابّ الشاكريّة، وانتهبوا ما كان في الجوسق، وأدخلوا المهتدي دار ياجور. وكان سبب أخذه أنّ بعضهم قال: إنّما سبب هذه المطاولة حيلة عليكم حتى يكبسكم صالح بجيشه؛ فخافوا من ذلك، فأخذوه، فلمّا أخذوه قال لموسى بن بُغا: اتّق اللّه، ويحك، فإنّك قد ركبت أمراً عظيماً؛ فقال له موسى: وتربة المتوكّل ما نريد إلاّ خيراً؛ ولو أراد به خيراً لقال وتربة المعتصم والواثق؛ ثمّ أخذوا عليه العهود أن لا يمايل صالحاً، ولا يضمر لهم إلاّ مثل ما يُظهر؛ ثم جدّدوا له البيعة، ثمّ أصبحوا، وأرسلوا إلى صالح ليحضر (٢١٩/٧) ويطالبوه بدماء الكتّاب، والأموال التي للمعتزّ وأسلابه، فوعدهم؛ فلمّا كان الليل رأى أنّ أصحابه قد تفرّقوا ولم يبق إلاّ بعضهم، فهرب واختفى.

ذكر قتل صالح بن وصيف

وفيها قُتل صالح بن وصيف لثمان بقين من صفر؛ وكان سببه أنّ المهتدي لمّا كان لثلاث بقين من المحرّم أظهر كتاباً زعم أنّ امرأة دفعته إلى سيما الشرابيّ، وقالت: إنّ فيه نصيحة، وإنّ منزلها بمكان كذا، فإن طلبوني فأنا فيه. وطُلبت المرأة فلم توجد، وقيل إنّه لم يُدْرَ من ألقى الكتاب.

ودعا المهتدي القوّاد، وسليمان بن وهب، فأراهم الكتاب، فزعم سليمان أنّه خطّ صالح، فقرأه على القوّاد، فإذا فيه أنّه مستخفٍ بسامرّا، وإنّما استتر طلباً للسلامة وإبقاء الموالي، وطلباً لانقطاع الفتن، وذكر ما صار إليه من أموال الكتّاب، وأمّ المعتزّ، وجهة خروجها، ويدلّ فيه على قوّة نفسه؛ فلمّا فرغوا من قراءته وصله المهتدي بالحثّ على الصلح، والاتّفاق، والنهي عن التباغض والتباين، فاتّهمه الأتراك بأنّه يعرف مكان صالح ويميل إليه، وطال الكلام بينهم في ذلك.

فلمّا كان الغد اجتمعوا بدارموسى بن بُغا داخل الجوسق، واتّفقوا على خلع المهتدي، فقال لهم بابكيال: إنّكم قتلتم ابن المتوكّل، وهو حسن (٢٢٠/٧) الوجه، سخيُّ الكفّ، فاضل النفس، وتريدون قتل هذا، وهومسلم يصوم ولا يشرب النبيذ، من غير ذنب! واللّه لئن قتلتم هذا لألحقنّ بخراسان لأشيع أمركم هناك.

فاتّصل الخبر بالمهتدي، فتحوّل من مجلسه متقلّداً سيفاً، وقد لبس ثياباً نظافاً وتطيّب، ثمّ أمر بإدخالهم عليه، فدخلوا فقال لهم: بلغني ما أنتم عليه، ولستُ كَمَنْ تقدّمني، مثل المستعين والمعتزّ، واللّه ما خرجتُ إليكم إلا وأنا متحنّط، وقد أوصيتُ إلى أخي بولدي، وهذا سيفي واللّه لأضربنّ به ما استمسك قائمه بيدي، واللّه لئن سقط منّي شعرة ليهلكنّ وليذهبنّ أكثركم.

كم هذا الخلاف على الخلفاء، والإقدام، والجرأة على اللّه! سواء عليكم مَنْ قصد الإبقاء عليكم، ومن كان إذا بلغه هذا منكم دعا بالنبيذ فشربه مسروراً بمكروهكم، حتّى تعلموا أنّه وصل إلى شيء من دنياكم، أما إنّكم لتعلمون أنّ بعض المتّصلين بكم أيسر من جماعة من أهلي وولدي سوأة لكم، يقولون: إنّي أعلم بمكان صالح، وهل هوإلاّ رجل من الموالي؟ فكيف الإقامة معه إذا ساء رأيكم فيه؟ وإذا أبرمتم الصلح فيه كان ذلك ما أنفذه لجميعكم،

وإن أبيتم فشأنكم، واطلبوا صالحاً، وأمّا أنا (٢٢١/٧) فما أعلم مكانه.

قالوا: فاحلفْ لنا على ذلك! قال: أمّا اليمين فنعم، ولكنّها تكون بحضرة بني هاشم والقضاة غداً إذا صلّيتُ الجمعة؛ ثمّ قال لبابكيال و لمحمّد بن بُغا: قد حضرتما ما عمله صالح في أموال الكتّاب وأمّ المعتزّ، فإن أخذ منه شيئاً فقد أخذتما مثله. فأحفظهما ذلك؛ ثمّ أرادوا خلعه، وإنّما منعهم خوف الاضطراب وقلّة الأموال، فأتاهم مال من فارس عشرة آلاف ألف درهم وخمس مائة ألف درهم، فلمّا كان سلخ المحرّم انتشر الخبر في العامّة أنّ القوم قد اتّفقوا على خلع المهتدي والفتك به، وأنّهم قد أرهقوه، وكتبوا الرقاع ورموها في الطريق والمساجد، مكتوب فيها: يا معشر المسلمين ادعوا اللّه لخليفتكم العدل، الرضا، المضاهي لعمر بن الخطّاب، أن ينصره اللّه على عدوّه ويكفيه مؤونة ظالمه، وتتمّ النعمة عليه، وعلى هذه الأمّة، ببقائه، فإنّ الأتراك قد أخذوه بأن يخلع نفسه، وهو يُعَذَّب منذ أيّام، وصلّى اللّه على محمّد.

فلمّا كان يوم الأربعاء لأربع خلون من صفر تحرّك الموالي بالكرخ والدُّور، وبعثوا إلى المهتدي، وسألوه أن يرسل إليهم بعض إخوته ليحمّلوه رسالة، فوجّه إليهم أخاه أبا القاسم عبد اللّه، فذكروا له أنّهم سامعون مطيعون وأنّهم بلغهم أنّ موسى، وبابكيال، وجماعة معهما، يريدونه على الخلع، وأنّهم يبذلون دماءهم دون ذلك وما هم دون ذلك، وشكوا تأخّر أرزاقهم، وما صار من الأقطاع، والزيادات، والرسوم إلى قوّادهم التي قد أجحفت بالخراج والضياع، وما قد أخذوا النساء والدخلاء، فكتبوا بذلك كتاباً، فحمله إلى المهتدي وكتب جوابه بخطّه: قد فهمتُ كتابكم، وسرّني ما ذكرتم من طاعتكم، فأحسن اللّه جزاءكم، وأمّا ما ذكرتم من خُلّتكم وحاجتكم (٢٢٢/٧) فعزيز عليّ ذلك، ولوددتُ، واللّه، أن صلاحكم يهيّأ بأن لا آكل ولا أشرب ولا أطعم ولدي إلاّ الوقت، ولا أكسوه إلاّ ستر العورة، وأنتم تعلمون ما صر إليّ من الأموال، وأمّا ما ذكرتم من الإقطاعات وغيرها فأنا أنظر في ذلك وأصرفه إلى محبتكم إن شاء اللّه تعالى.

فقرؤوا الكتاب وكتبوا، بعد الدُّعاء، يسألون أن يردّ الأمور في الخاصّ والعامّ إلى أمير المؤمنين، لا يعترض عليه معترض، وأن يردّ رسومهم إلى ما كانت عليه أيّام المستعين، وهو أن يكون على كلّ تسعة عريف، وعلى كلّ خمسين خليفة، وعلى كلّ مائة قائد، وأن يسقط النساء والزيادات، ولا يدخل مولى في ماله ولا غيره، وأن يُوضع لهم العطاء كلّ شهرَيْن، وأن تبطل الإقطاعات؛ وذكروا أنّهم سائرون إلى بابه ليقضي حوائجهم، وإن بلغهم أنّ أحداً اعترض عليه أخذوا رأسه، وإن سقط من رأس أمير المؤمنين شعرة قتلوا بها موسى بن بُغا وبابكيال وياجور وغيرهم.

وأرسلوا الكتاب مع أبي القاسم، وتحوّلوا إلى سامرّا، فاضطرب القوّاد جدّاً؛ وقد كان المهتدي قعد للمظالم، وعنده الفقهاء والقضاة، وقام القوّاد في مراتبهم، فدخل أبو القاسم إليه بالكتاب، فقرأه للقوّاد قراءة ظاهرة، وفيهم موسى، وكتب جوابه بخطّه، فأجابهم إلى ما سألوا، ودفعه إلى أبي القاسم، فقال أبو القاسم لموسى بن بُغا وبابكيال ومحمّد بن بُغا: وجّهوا معي رسلاً يعتذرون إليهم عنكم؛ فوجّهوا معه رسلاً، فوصلوا إلى الأتراك، وهم زهاء ألف فارس، وثلاثة آلاف راجل، وذلك لخمس خلون من صفر، (٢٢٣/٧) فأوصل الكتاب، وقال: إن أمير المؤمنين قد أجابكم إلى ما سألتم، وقال لهم: هؤلاء رسل القوّاد إليكم، يعتذرون من شيء إن كان بلغكم عنهم، وهم يقولون إنّما أنتم إخوة، وأنتم منّا وإلينا، واعتذر عنهم.

فكتبوا إلى المهتدي يطلبون خمسة توقيعات، توقيعاً بخطّ الزيادات، وتوقيعاً بردّ الإقطاعات، وتوقيعاً بإخراج الموالي البرانيّين من الخاصّة إلى البرانيّين، وتوقيعاً بردّ الرسوم إلى ما كانت عليه أيّام المستعين، وتوقيعاً بردّ البلاجي، ثمّ يجعل أمير المؤمنين الجيش إلى أحد إخوته أو غيرهم ممّن يرى ليرفع إليه أمورهم، ولا يكون رجلاً من الموالي، وأن يحاسب صالح بن وصيف، وموسى بن بُغا عمّا عندهما من الأموال ويجعل لهم العطاء كلّ شهرَيْن، لا يرضيهم إلاّ ذلك، ودفعوا الكتاب إلى أبي القاسم، وكتبوا كتاباً آخر إلى القوّاد موسى وغيره [ذكروا فيه] أنّهم كتبوا إلى أمير المؤمنين بما كتبوا، وأنّه لا يمنعهم شيئاً ممّا طلبوا إلاّ أن يعترضوا عليه، وأنّهم إن فعلوا ذلك لم يوافقوهم، وأنّ أمير المؤمنين إن شاكه شوكة، وأُخذ من رأسه شعرة، أخذوا رؤوسهم جميعاً، ولا يقنعهم إلاّ أن يظهر صالح، ويجتمع هو وموسى ابن بُغا حتّى ينظر أين الأموال.

فلمّا قرأ المهتدي الكتاب أمر بإنشاء التوقيعات الخمسة على ما سألوا، وسيّرها إليهم مع أبي القاسم وقت المغرب، وكتب إليهم بإجابتهم إلى ما طلبوا، وكتب إليهم موسى بن بُغا كذلك، وأذن في ظهور صالح، (٢٢٤/٧) وذكر أنّه أخوه وابن عمّه، وأنّه ما أراد ما يكرهون، فلمّا قرؤوا الكتابَيْن قالوا: قد أمسينا، وغداً نعرّفكم رأينا، فافترقوا.

فلمّا كان الغد ركب موسى من دار الخليفة، ومعه من عسكره ألف وخمس مائة رجل، فوقف على طريقهم، وأتاهم أبو القاسم، فلم يعقل منهم جواباً إلاّ كلّ طائفة يقولون شيئاً، فلمّا طال الكلام انصرف أبو القاسم، فاجتاز بموسى بن بُغا وهو في أصحابه، فانصرف معه.

ثمّ أمر المهتدي محمّد بن بُغا أن يسير إليهم مع أخيه أبي

القاسم، فسار في خمس مائة فارس، ورجع موسى إلى مكانه بُكرة، وتقدّم أبو القاسم ومحمّد بن بُغا فوعداهم عن المهتدي، وأعطياهم توقيعاً فيه أمان صالح بن وصيف، موكّداً غاية التّوكيد، فطلبوا أن يكون موسى في مرتبة بُغا الكبير، وصالح في مرتبة أبيه، ويكون الجيش في يد من هو في يده، وأن يظهر صالح ابن وصيف، ويُوضَع لهم العطاء، ثمّ اختلفوا، فقال قوم: قد رضينا؛ وقال قوم: لم نرضَ؛ فانصرف أبو القاسم ومحمّد بن بُغا على ذلك، وتفرّق الناس إلى الكرخ والدُّور وسامرّا.

فلمّا كان الغد ركب بنو وصيف في جماعة معهم، وتنادوا: السلاحَ، ونهبوا دوابّ العامّة، وعسكروا بسامرّا، وتعلّقوا بأبي القاسم، وقالوا: نريد صالحاً! وبلغ ذلك المهتدي، فقال لموسى: يطلبون صالحاً منّي كأنّي أنا أخفيته، إن كان عندهم فينبغي لهم أن يُظهروه.

ثمّ ركب موسى ومن معه من القوّاد، فاجتمع الناس إليه، فبلغ عسكره أربعة آلاف فارس، وعسكروا، وتفرّق الأتراك ومن معهم، ولم يكن للكرخيّين (٢٢٥/٧) ولا للدُّوريّين في هذا اليوم حركة، وجدّ موسى ومن معه في طلب ابن وصيف، واتّهموا جماعة به، فلم يكن عندهم، ثمّ إنّ غلاماً دخل داراً وطلب ماء ليشربه، فسمع قائلاً يقول: أيّها الأمير تنحّ، فإنّ غلاماً يطلب ماء، فسمع الغلام الكلام، فجاء إلى عيّار فأخبره، فأخذ معه ثلاثة نفر، وجاء إلى صالح، وبيده مرآة ومشط، وهو يسرّح لحيته، فأخذه، فتضرّع إليه، فقال: لا يمكنني تركك ولكنّي أمرّ بك على ديار أهلك وقوّادك وأصحابك، فإن اعترضك منهم اثنان أطلقتُك.

فأُخرج حافياً ليس على رأسه شيء، والعامّة تعدو خلفه، وهو على بِرذَون بأكاف، فأتوا به نحو الجوسق، فضربه بعض أصحاب موسى على عاتقه، ثمّ قتلوه، وأخذوا رأسه، وتركوا جُثّته، ووافوا به دار المهتدي قبل المغرب، فقالوا له في ذلك، فقال: واروه، ثمّ حُمل رأسه وطيف به على قناة، ونودي عليه: هذا جزاء مَنْ قتل مولاه.

ولمّا قُتل أُنزل رأس بُغا الصغير، وسُلّم إلى أهله ليدفنوه، ولمّا قُتل صالح قال السلوليُّ لموسى بن بُغا:

أخذتَ وتْرَكَ مِن فِرعونَ حين طغى ... وجئت إذ جئتَ يا موسى على قَدَرِ
ثلاثةً كلّهم باغٍ أخو حسَدٍ ... يرميك بالظُّلم والعدوان عن وتَرِ
وصيفُ في الكَرْخِ ممثول به، وبُغا ... بالجسرِ محترقٌ بالنار والشَّرَرِ
وصالحُ بنُ وصيفٍ بعدُ مُنعفِرٌ ... بالحيرِ جُثّتُهُ والروحُ في سَقَرِ
(٢٢٦/٧)

ذكر اختلاف الخوارج على مُساور

في هذه السنة خالف إنسان من الخوارج اسمه عُبَيْدة من بني زُهير العمرويّ على مُساور.

وسبب ذلك أنّه خالفه في توبة المُخطئ؛ فقال مُساور: نقبل توبته؛ وقال عُبيدة: لا نقبل، فجمع عبيدة جمعاً كثيراً وسار إلى مساور، وتقدّم إليه مساور من الحديثة، فالتقوا بنواحي جُهَينة، بالقرب من الموصل، في جُمادى الأولى سنة سبع وخمسين [ومائتين]، واقتتلوا أشدّ قتال، فترجّل مَنْ عنده، ومعه جماعة من أصحابه، وعرقبوا دوابّهم، فقُتل عُبَيْدة وانهزم جمعه، فقُتل أكثرهم، واستولى مُساور على كثير من العراق، ومنع الأموال عن الخليفة، فضاقت على الجند أرزاقهم، فاضطرّهم ذلك إلى أن سار إليه موسى بن بُغا وبابكيال وغيرهما في عسكر عظيم، فوصلوا إلى السنّ فأقاموا به، ثمّ عادوا إلى سامرّا، لما نذكره من خلع المهتدي.

فلمّا وليَ المعتمد الخلافة سيّر مفلحاً إلى قتال مُساور في عسكر كبير، حسن العدّة، فلمّا قارب الحَديثة فارقها مُساور وقصد جبلَيْن يقال لأحدهما زيني، وللآخر عامر، وهما بالقرب من الحديثة، فتبعه مُفلح، فعطف عليه مساور وهو في أربعة آلاف فارس، فاقتتل هو ومُفلح.

وكان مساور قد انصرف عن حرب عُبيدة وقد جمع كثيراً من أصحابه، (٢٢٧/٧) فلقوا مُفلحاً بجبل زيني، فلم يصل مُفلح منه إلى ما يريده، فصعد رأس الجبل فاحتمى به، ونزل مُفلح في أصل الجبل، وجرى بينهما وقعات كثيرة، ثمّ أصبحوا يوماً، وطلبوا مُساوراً، فلم يجدوه، وكان قد نزل ليلاً من غير الوجه الذي فيه مُفلح، لمّا أيس من الظفر لضعف أصحابه من الجراح، فحيث لم يره مُفلح سار إلى الموصل، فسار منها إلى ديار ربيعة سِنجار، ونَصِيبين، والخابور، فنظر في أمرها ثمّ عاد إلى الموصل، فأحسن السيرة في أهلها، ورجع عنها في رجب متأهّباً للقاء مساور.

فلمّا قارب الحديثة فارقها مساور، وكان قد عاد إليها عند غيبة مُفلح، فتبعه مُفلح، فكان مُساور يرحل عن المنزل، فينزله مُفلح، فلمّا طال الأمر على مُفلح وتوغّل في الجبال والشعاب والمضايق وراء مُساور، ولحق الجيشَ الذي معه مشقّة ونصب، عاد عنه، فتبعه مُساور يقفو أثره، ويأخذ كلّ من ينقطع عن ساقة العسكر، فرجع إليه طائفة منهم فقاتلوه، ثمّ عادوا ولحقوا مُفلحاً، ووصلوا الحديثة، فأقام بها مُفلح أيّاماً، وانحدر أوّل شهر رمضان إلى سامرّا، فاستولى حينئذ مُساور على البلاد، وجبى خراجها، وقويت شوكته، واشتدّ أمره. (٢٢٨/٧)

ذكر خلع المهتدي وموته

في رجب، الخامس عشر منه، خُلِع المهتدي، وتوفّي لاثنتي عشرة ليلة بقيت منه.

وكان السبب في ذلك أنّ أهل الكَرْخ والدُّور من الأتراك، الذين تقدّم ذكرهم، تحرّكوا في أوّل رجب لطلب أرزاقهم، فوجّه المهتدي إليهم أخاه أبا القاسم، وكَيْغَلَغ وغيرهما، فسكّنوهم، فرجعوا، وبلغ أبا نصر محمّدَ بن بُغا أنّ المهتدي قال للأتراك : إن الأموال عند محمّد وموسى ابنَيْ بُغا، فهرب إلى أخيه وهو بالسنّ مقابل مُساور الشاري، فكتب المهتدي إليه أربعة كتب يُعطيه الأمان، فرجع هو وأخوه حيسون، فحبسهما، ومعهما كَيْغَلَغ، وطُولب أبو نصر محمّد بن بُغا بالأموال، فقُبض من وكيله خمسة عشر ألف دينار، وقُتل لثلاث خلون من رجب، ورُمي به في بئر فأُنتِنَ، فأخرجوه إلى منزله، وصلّى عليه الحسن بن مأمون.

وكتب المهتدي إلى موسى بن بُغا، لمّا حبس أخاه، أن يسلّم العسكر إلى بابكيال، ويرجع إليه، وكتب إلى بابكيال أن يتسلّم العسكر، ويقوم بحرب مُساور الشاري، وقتْل موسى بن بُغا ومُفلح، فسار بابكيال بالكتاب إلى موسى، فقرأه عليه وقال : لستُ أفرح بهذا، فإنّه تدبير علينا جميعنا، فما ترى ؟ فقال موسى :أرى أن تسير إلى سامرّا، وتخبره أنّك في طاعته ونصرته (٢٢٩/٧) عليّ وعلى مُفلح، فهو يطمئنّ إليك، ثمّ تدبّر في قتله.

فأقبل إلى سامرّا، فوصلها ومعه ياركوج، وأسارتكين، وسيما الطويل، وغيرهم، فدخلوا دار الخلافة لاثنتي عشرة مضت من رجب، فحبس بابكيال وصرف الباقين، فاجتمع أصحاب بابكيال وغيرهم من الأتراك، وقالوا: لِمَ حُبس قائدنا، ولِمَ قُتل أبو نصر بن بُغا؟

وكان عند المهتدي صالح بن عليّ بن يعقوب بن المنصور، فشاوره فيه، فقال له: إنّه لم يبلغ أحد من آبائك ما بلغتَهُ من الشجاعة، وقد كان أبو مُسلم أعظم شأناً عند أهل خُراسان من هذا عند أصحابه، وقد كان فيهم من يعبده، فما كان إلاّ أن طُرح رأسه حتّى سكتوا، فلو فعلتَ مثل ذلك سكتوا.

فركب المهتدي، وقد جمع له جميع المغاربة، والأتراك، والفراغنة، فصيّر في الميمنة مسروراً البلخيّ، وفي الميسرة ياركوج، ووقف هو في القلب مع أسارتكين وطبايغوا، وغيرهما من القوّاد، فأمر بقتل بابكيال، وألقى رأسه إليهم عتّاب بن عتّاب، فحملوا على عتّاب فقتلوه، وعطفت ميمنة المهتدي وميسرته بمن فيها من الأتراك، فصاروا مع إخوانهم الأتراك، فانهزم الباقون عن المهتدي، وقُتل جماعة من الفريقين، فقيل : قُتل سبع مائة وثمانون رجلاً، وقيل : قُتل من الأتراك نحو أربعة آلاف، وقيل : ألفان، وقيل : ألف.

وقُتل من أصحاب المهتدي خلق كثير، وولّى مُنهزماً، وبيده السيف، (٢٣٠/٧) وهو ينادي : يا معشر المسلمين! أنا أمير المؤمنين، قاتلوا عن خليفتكم! فلم يجبه أحد من العامّة إلى ذلك، فسار إلى باب السجن، فأطلق مَنْ فيه وهو يظنّ أنّهم يعينونه، فهربوا ولم يعنه أحد، فسار إلى دار أحمد بن جميل، صاحب الشُّرطة، فدخلها وهم في أثره، فدخلوا عليه وأخرجوه، وساروا به إلى الجوسق على بغل، فحُبس عند أحمد بن خاقان، وقبّل المهتدي يده، فيما قيل، مراراً عديدة، وجرى بينهم وبينه، وهو محبوس، كلام كثير أرادوه فيه على الخلع، فأبى واستسلم للقتل، فقالوا : إنّه كتب بخطّه رقعة لموسى بن بُغا، وبابكيال، وجماعة من القوّاد، أنّه لا يغدر بهم، ولا يغتالهم، ولا يفتك بهم، ولا يهمّ بذلك، وأنّه متى فعل ذلك فهُم في حلّ من بيعته، والأمر إليهم يُقْعدون من شاؤوا.

فاستحلّوا بذلك تفضّي أمره، فداسوا خُصيتَيْه، وصفقوه فمات، وأشهدوا على موته أنّه سليم لَيس به أثر، ودُفن بمقبرة المنتصر.

وقيل :كان سبب خلعه وموته أنّ أهل الكَرْخ والدُّور اجتمعوا وطلبوا أن يدخلوا إلى المهتدي، ويكلّموه بحاجاتهم، فدخلوا الدار، وفيها أبو نصر محمّد بن بُغا وغيره من القوّاد، فخرج أبو نصر منها، ودخل أهل الكرخ والدُّور، وشكوا حالهم إلى المهتدي، وهم في أربعة آلاف، وطلبوا منه أن (٢٣١/٧) يعزل منهم أمراءهم، وأن يصيّر الأمر إلى إخوته، وأن يأخذ القوّادَ وكتابهم بالمال الذي صار إليهم، فوعدهم بإجابتهم إلى ما سألوه، فأقاموا يومهم في الدار، فحمل المهتدي إليهم ما يأكلون.

وسار محمّد بن بُغا إلى المحمّديّة، وأصبحوا من الغد يطلبون ما سألوه، فقيل لهم :إنّ هذا أمر صَعْبٌ، وإخراج الأمر عن يد هؤلاء القوّاد ليس بسهل، فكيف إذا جمع إليه مطالبتهم بالأموال؟ فانظروا في أموركم، فإن كنتم تصبرون على هذا الأمر إلى أن نبلغ غايته، وإلاّ فأمير المؤمنين يحسن لكم النظر؛ فأبوا إلاّ ما سألوه، فدعوا إلى أيمان البَيعة على أن يقيموا على هذا القول، وأن يقاتلوا مَنْ قاتلهم، وينصحوا أمير المؤمنين، فأجابوا إلى ذلك، فأُخذت عليهم أيمان البيعة.

ثمّ كتبوا إلى أبي نصر عن أنفسهم، وعن المهتدي ينكرون خروجه عن الدار بغير سبب، وأنّهم إنّما قصدوا ليشكوا حالهم، ولمّا رأوا الدار فارغة أقاموا فيها، فرجع فحضر عند المهتدي، فقبّل رجله ويده ووقف، فسأله عن الأموال وما يقوله الأتراك، فقال : وما أنا والأموال ؟قال : وهل هي إلاّ عندك وعند أخيك وأصحابكما ؟ ثمّ أخذوا بيد محمّد وحبسوه، وكتبوا إلى موسى بن بُغا ومُفلح بالانصراف إلى سامرّا، وتسليم العسكر إلى قوّاد ذكروهم، وكتبوا إلى الأتراك الصغار في تسلُّم العسكر منهم، وذكروا ما جرى لهم، وقالوا :إن أجاب موسى ومُفلح إلى ما أُمرا

به من الإقبال إلى سامرّا وتسليم العسكر، وإلاّ فشدّوهما وثاقاً، واحملوهما إلى الباب. (٢٣٢/٧)

وأجرى المهتدي على مَنْ أُخذت عليه البَيعة كلّ رجل درهمين، فلمّا وصلت الكتب إلى عسكر مُوسى أخذها موسى، وقُرئت عليه وعلى الناس، وأخذوا عليهم البَيعة بالنُّصرة لهم، وساروا نحو سامرّا، فنزلوا عند قنطرة الرقيق لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب، وخرج المهتدي وعرض الناس. وعاد من يومه، وأصبح الناس من الغد وقد دخل من أصحاب موسى زهاء ألف فارس، منهم كوبكين وغيره، وعاد وخرج المهتدي فصفّ أصحابه، وفيهم من أتى من أصحاب موسى، وتردّدت الرسل بينهم وبين موسى يريد أن يولّي ناحية ينصرف إليها، وأصحاب المهتدي يريدون أن يجيء إليهم ليناظرهم على الأموال، فلم يتّفقوا على شيء.

وانصرف عن موسى خلق كثير من أصحابه، فعدل هو ومُفلح يريدان طريق خُراسان، وأقبل بابكيال وجماعة من القوّاد، فوصلوا إلى المهتدي، فسلّموا، وأمرهم بالانصراف، وحبس بابكيال وقتله، ولم يتحرّك أحد، ولا تغيّر شيء إلاّ تغيُّراً يسيراً، وكان ذلك يوم السبت.

فلمّا كان الأحد أنكر الأتراك مُساواة الفراغنة لهم في الدار، ودخولهم معهم، ورُفع أنّ الفراغنة إنّما تمّ لهم هذا بعدم رؤساء الأتراك، فخرجوا من الدار بأجمعهم، وبقيت الدار على الفراغنة، والمغاربة، فأنكر الأتراك ذلك، وأضافوا إليه طلب بابكيال، فقال المهتدي للفراغنة والمغاربة ما جرى من الأتراك، وقال لهم: إن كنتم تظنّون فيكم قوّة فما أكره قربكم، وإلاّ أرضيناهم من قبل تفاقم الأمر! فذكروا أنّهم يقومون به، فخرج بهم المهتدي وهم في ستّة آلاف، منهم من الأتراك نحو ألف وهم أصحاب صالح بن وصيف، وكان الأتراك في عشرة آلاف، فلمّا التقوا انهزم أصحاب (٢٣٣/٧) صالح، وخرج عليهم كمين للأتراك، فانهزم أصحاب المهتدي، وذُكر نحو ما تقدّم إلا أنّه قال إنّهم رأوا المهتدي بدار أحمد بن جُمَيْل قاتلهم، فأخرجوه، وكان به أثر طعنة، فلمّا رأى الجرح ألقى بيده إليهم، وأرادوه على الخلع، فأبى أن يجيبهم، فمات يوم الأربعاء وأظهروه للناس يوم الخميس، وصلّى عليه جعفر بن عبد الواحد.

وكانوا قد خلعوا أصابع يديه ورجليه من كعبيْه، وفعلوا به غير شيء حتّى مات؛ وطلبوا محمّد بن بُغا، فوجدوه ميتاً، فكسروا على قبره ألف سيف.

وكانت مُدّة خلافة المهتدي أحد عشر شهراً وخمس عشرة ليلة، وكان عمره ثمانياً وثلاثين سنة، وكان واسع الجبهة، أسمر، رقيقاً، أشهل، جَهْم الوجه، عريض البطن، عريض المنكبَيْن، قصيراً، طويل اللحية، ومولده بالقاطول.

ذكر بعض سيرة المهتدي

كان المهتدي بالله من أحسن الخلفاء مذهباً، وأجملهم طريقة، وأظهرهم ورعاً، وأكثرهم عبادة.

قال عبد الله بن إبراهيم الإسكافيُّ: جلس المهتدي للمظالم، فاستعداه رجل على ابن له، فأمر بإحضاره، فأُحضر وأقامه إلى جانب خصمه ليحكم بينهما، فقال الرجل للمهتدي: والله يا أمير المؤمنين ما أنت إلاّ كما قيل: (٢٣٤/٧)

حَكَّمتموه فقضى بينكم ... أبلجُ مثلُ القَمَرِ الزاهرِ
لا يقبلُ الرشْوةَ في حُكمِه ... ولا يُبالي غَبَنَ الخاسرِ

فقال المهتدي: أمّا أنت أيّها الرجل فأحسن الله مقالتك، وأمّا أنا فما جلستُ حتّى قرأتُ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء:٤٧] الآية، قال: فما رأيتُ باكياً أكثر من ذلك اليوم.

قال أبو العبّاس بن هاشم بن القاسم الهاشميُّ: كنتُ عند المهتدي بعض عشايا شهر رمضان، فقُمتُ لأنصرف، فأمرني بالجلوس، فجلستُ حتّى صلّى المهتدي بنا المغرب، وأمر بالطعام فأُحضر، وأحضر طبق خِلاف عليه رغيفان، وفي إناء ملح، وفي آخر زيت، وفي آخر خلّ، فدعاني إلى أكل، وأكلتُ مقتصراً ظنّاً منّي أنّه يُحضر طعاماً جيّداً، فلمّا رأى أكلي كذلك قال: أما كنتَ صائماً؟ قلتُ: بلى. قال أفلستَ تريد الصوم غداً؟ قلت: وكيف لا وهو شهر رمضان؟ فقال: كُلْ واستوف عشاءك، فليس ها هنا غير ما ترى. فعجبتُ من قوله، قلتُ: ولِمَ يا أمير المؤمنين؟ قد أسبغ الله عليك النعمة ووسّع رزقه! فقال: إنّ الأمر على ما وصفتَ، والحمد لله، ولكنّي فكرتُ في أنّه كان من بني أميّة عمر بن عبد العزيز، فغِرْتُ لبني هاشم أن لا يكون في خلفائهم مثله وأخذت نفسي بما رأيتَ.

قال إبراهيم بن مخلّد بن محمّد بن عرفة عن بعض الهاشميّين: إنّ المهتدي وجدوا له سفطاً فيه جبّة صوف، وكساء، وبرنس كان يلبسه (٢٣٥/٧) بالليل ويصلّي فيه، ويقول: أما يستحي بنو العبّاس أن لا يكون فيهم مثل عمر بن عبد العزيز؟ وكان قد اطّرح الملاهي، وحرّم الغناء والشراب، ومنع أصحاب السلطان عن الظلم، رحمه الله تعالى ورضي عنه.

ذكر خلافة المعتمد على الله

لمّا أُخذ المهتدي بالله وحُبس أُحضر أبو العبّاس أحمد بن المتوكّل، وهو المعروف بابن قتيان، وكان محبوساً بالجوسق،

فبايعه الناس، فبايعه الأتراك، وكتبوا بذلك إلى موسى بن بُغا وهو بخانقين، فحضر إلى سامرّا فبايعه، ولُقّبَ المعتمِد على اللّه؛ ثمّ إنّ المهتدي مات ثاني يوم بيعة المعتمد، وسكن الناس، واستوزر عُبَيْد اللّه بن يحيى بن خاقان.

ذكر أخبار صاحب الزنج

في هذه السنة سيّر جَعْلان لحرب صاحب الزّنج بالبصرة، فلمّا وصل إلى البصرة نزل بمكان بينه وبين صاحب الزنج فرسخ، وخندقَ عليه وعلى أصحابه، وأقام ستّة أشهر في خندقه، وجعل يوجّه الزينبيُّ وبني هاشم ومن خفّ لحربهم هذا اليوم الذي تواعدهم جَعْلان للقائه، فلم يكن بينهم إلاّ الرمي بالحجارة والنشّاب، ولا يجد جَعلان إلى لقائه سبيلاً، لضيق المكان عن مجال الخيل، وكان أكثر أصحاب جَعلان خيّالة. (٢٣٦/٧)

فلمّا طال مُقامه في خندقه أرسل صاحب الزنج أصحابه إلى مسالك الخندق، فبيّتوا جَعلان، وقتلوا من أصحابه جماعة، وخاف الباقون خوفاً شديداً.

وكان الزينبيُّ قد جمع البلاّليّة والسعديّة ووجّه بهم من مكانَيْن، وقاتلوا الخبيث، فظفر بهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة، فترك جَعلان خندقه وانصرف إلى البصرة، وظهر عجزه للسلطان، فصرفه عن حرب الزنج، وأمر سعيداً الحاجب بمحاربتهم.

وتحوّل صاحب الزنج، بعد ذلك، من السبخة التي كان فيها، ونزل بنهر أبي الخَصِيب، وأخذ أربعة وعشرين مركباً من مراكب البحر، وأخذوا منها أموالاً كثيرة لا تحصى، وقتل مَنْ فيها، ونهبها أصحابه ثلاثة أيّام، وأخذ لنفسه بعد ذلك من النهب.

ذكر دخول الزنج الأُبُلّة

وفيها دخل الزنج الأُبُلّة، فقتلوا فيها خلقاً كثيراً وأحرقوها.

وكان سبب ذلك أنّ جَعلان لمّا تنحّى عن خندقه إلى البصرة ألحّ شنّاً صاحب الزنج بالغارات على الأُبُلّة، وجعلت سراياه تضرب إلى ناحية نهر معقل، ولم يزل يحارب إلى يوم الأربعاء لخمس بقين من رجب، فافتتحها، وقُتل أبو الأحوص وعبيد اللّه بن حُميد بن الطُّوسيّ، وأضرمها ناراً، (٢٣٧/٧) وكانت مبنية بالساج، فأسرعت النار فيها، وقُتل من أهلها خلق كثير، وحووا الأموال العظيمة، وكان ما أحرقت النار أكثر من الذي نُهب.

ذكر أخذ الزنج عبّادان

وفيها أرسل أهل عبّادان إلى صاحب الزنج فسلّموا إليه حصنهم.

وكان الذي حملهم على ذلك أنّه لمّا فعل بأهل الأُبُلّة ما فعل خاف أهل عبّادان على أنفسهم، وأهليهم، وأموالهم، فكتبوا إليه يطلبون الأمان على أن يسلّموا إليه البلد، فآمّنهم، وسلّموه إليه، فأنفذ أصحابه إليهم، وأخذوا ما فيه من العبيد والسلاح، ففرّقه في أصحابه.

ذكر أخذهم الأهواز

ولمّا فرغ العلويُّ البصريُّ من الأُبُلّة وعبّادان طمع في الأهواز، فاستنهض أصحابه نحو جيّ، فلم يلبث أهلها، وهربوا منهم، فدخلها الزنج، وقتلوا من رأوا بها، وأحرقوا ونهبوا، وأخربوا ما وراءها إلى الأهواز، فلمّا بلغوا الأهواز هرب مَنْ فيها من الجند ومن أهلها، ولم يبق إلاّ القليل، فدخلوها وأخربوها، وكان بها إبراهيم بن المدبّر، متولّي الخراج، فأخذوه أسيراً بعد أن جُرح، ونُهب جميع ماله، وذلك لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان، فلمّا فعل ذلك بالأهواز، وعبّادان، والأُبُلّة، خافه أهل البصرة، وانتقل كثير من أهلها في البلدان. (٢٣٨/٧)

ذكر عزل عيسى بن الشيخ عن الشام وولايته أرمينية

لمّا استولى ابن الشيخ على دمشق، وقطع الحمل عن بغداد، اتّفق أنّ ابن المدبّر حمل مالاً من مصر إلى بغداد، مقدار سبعمائة ألف دينار، فأخذها عيسى بن الشيخ.

فأُرسل من بغداد إليه حسين الخادم يطالبه بالمال، فذكر أنّه أخرجه على الجند، فأعطاه حسين عهده على أرمينية ليقيم الدعوة للمعتمد، وكان قد امتنع من ذلك، فأخذ العهد، وأقام الدعوة للمعتمد، ولبس السواد، ظنّاً منه أنّ الشام تكون بيده.

فأنفذ المعتمد أماجور، وقلّده دمشق وأعمالها، فسار إليها في ألف رجل، فلمّا قرب منها أنهض عيسى إليه ولده منصوراً في عشرين ألف مقاتل، فلمّا التقوا انهزم عسكر منصور وقُتل منصور، فوهن عيسى، وسار إلى أرمينية على طريق الساحل وولّي أماجور دمشق.

ذكر ابن الصوفيّ العلويّ وخروجه بمصر

وفيها ظهر بصعيد مصر إنسان علويّ، ذكر أنّه إبراهيم بن محمّد بن يحيى بن عبد اللّه بن محمّد بن عليّ بن أبي طالب، عليه السلام، ويُعْرَف بابن الصُّوفيّ، وملك مدينة أسْنا، ونهبها، وعمّ شرّه البلاد.

فسيّر إليه أحمد بن طولون جيشاً، فهزمه العلويُّ، وأسر المقدّم على (٢٣٩/٧) الجيش، فقطع يدَيْه ورجلَيْه وصلبه؛ فسيّر إليه ابن طولون جيشاً آخر، فالتقوا بنواحي إخْميم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم العلويُّ، وقُتل كثير من رجاله، وسار هو حتّى دخل الواحات، وسيرد ذكره سنة تسع وخمسين ومائتين، إن شاء اللّه

تعالى.

ذكر ظهور عليّ بن زيد على الكوفة وخروجه عنها

في هذه السنة ظهر عليُّ بن زيد العلويُّ بالكوفة، واستولى عليها، وأزال عنها نائب الخليفة، واستقرّ بها.

فسُيّر إليه الشاه بن مكيال في جيش كثيف، فالتقوا واقتتلوا، فانهزم الشاه، وقُتل جماعة كثيرة من أصحابه، ونجا الشاه.

ثمّ وجّه المعتمد إلى محاربته كيجور التركيّ، وأمره أن يدعوه إلى الطاعة، ويبذل له الأمان، فسار كيجور فنزل بشاهي، وأرسل إلى عليّ بن زيد يدعوه إلى الطاعة، وبذل له الأمان، فطلب عليٌّ أموراً لم يجبه إليها كيجور، فتنحّى عليُّ بن زيد عن الكوفة إلى القادسيّة، فعسكر بها، ودخل كيجور إلى الكوفة ثالث شوّال من السنة، ومضى عليُّ بن زيد إلى خَفّان، ودخل بلاد بني أسد، وكان قد صاهرهم، وأقام هناك، ثمّ سار إلى جُبُّلاء.

وبلغ كيجور خبره، فأسرى إليه من الكوفة سلخ ذي الحجّة من السنة، فواقعه، فانهزم عليُّ بن زيد، وطلبه كيجور ففاته، وقتل نفراً من (٢٤٠/٧) أصحابه، وأسر آخرين، وعاد كيجور إلى الكوفة، فلمّا استقامت أمورها عاد إلى سُرّ من رأى بغير أمر الخليفة، فوجّه إليه الخليفة نفراً من القوّاد، فقتلوه بعُكبَرا في ربيع الأول سنة سبع وخمسين ومائتين.

ذكر عدّة حوادث

وفيها تقدّم سعيد بن صالح الحاجب لحرب صاحب الزنج من قِبَل السلطان.

وفيها تحارب مُساور الخارجيُّ وأصحاب موسى بن بُغا بناحية خانقين، وكان مساور في جمع كثير، وكان أصحاب موسى بن بُغا نحو مائتين، فالتقوا بمساور، وقتلوا من أصحابه جماعة كثيرة.

وفيها وثب محمّد بن واصل بن إبراهيم التميميُّ، وهو من أهل فارس، ورجل من أكرادها يقال له أحمد بن الليث، بالحارث بن سيما، عامل فارس، فحارباه وقتلاه، وغلب محمّد بن واصل على فارس.

وفيها وُجّه مُفلح لحرب مساور.

وفيها غلب الحسن بن زيد الطالبيُّ على الرَّيّ في رمضان، فسار موسى بن بُغا إلى الرَّيّ في شوّال وشيّعه المعتمد.

وفيها توفّي الإمام أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاريُّ الجُعْفيُّ صاحب المسند الصحيح، وكان مولده سنة أربع وتسعين ومائة.(٢٤١/٧)

سنة سبع وخمسين ومائتين

ذكر عود أبي أحمد الموفّق من مكّة إلى سُرّ من رأى

لمّا اشتدّ أمر الزنج، وعظم شرّهم، وأفسدوا في البلاد، أرسل المعتمد على الله إلى أخيه أبي أحمد الموفّق، فأحضره من مكّة، فلمّا حضر عقد له على الكوفة، وطريق مكّة، والحرمَيْن، واليمن، ثمّ عقد له على بغداد، والسواد، وواسط، وكُوَر دجلة، والبصرة، والأهواز، وفارس، وأمر أن يعقد لياركوج على البصرة، وكُوَر دجلة، والبحرين، واليمامة، مكانَ سعيد ابن صالح، فاستعمل ياركوج منصورَ بن جعفر الخيّاط على البصرة وكُوَر دجلة إلى ما يلي الأهواز.

ذكر انهزام الزنج من سعيد الحاجب

وفيها في رجب أوقع سعيد الحاجب بجماعة من الزنج، فهزمهم، واستنقذ ما معهم من النساء، والنهب، وجُرح سعيد عدّة جراحات.

وبلغه الخبر بجمع آخر منهم، فسار إليهم، فلقيهم، فهزمهم أيضاً، واستنقذ (٢٤٢/٧) ما معهم، فكانت المرأة من تلك الناحية تأخذ الزنجيّ فتأتي به عسكر سعيد، فلا يمتنع عليها.

وعسكر سعيد بهَطْقَ، ثمّ عبر إلى غرب دجلة، فأوقع بصاحب الزنج عدّة وقعات، ثمّ عاد إلى معسكره بَهطْقَ، فأقام إلى ثاني رجب، وعامّة شعبان.

ذكر خلاص ابن المدبّر من الزنج

وفيها تخلّص إبراهيم بن محمّد بن المدبّر من حبس الزنج؛ وكان سبب خلاصه أنّه كان محبوساً في بيت يحيى بن محمّد البَحْرانيّ، ووكّل به رجلَيْن، منزلهما ملاصق المنزل الذي فيه إبراهيم، فضمن لهما مالاً، ورغّبهما، فعملا سَرَباً إلى البيت الذي فيه إبراهيم، فخرج هو وابن أخ له يقال له أبو غالب ورجل هاشميّ.

ذكر انهزام سعيد من الزنج وولاية منصور بن جعفر البصرة

وفيها أوقع العلويُّ صاحب الزنج بسعيد، وكان يسيّر إليه جيشاً، فأوقعوا به ليلاً، وأصابوا مقتلة من أصحاب سعيد، فقتلوا خلقاً كثيراً، وأحرقوا عسكره، فضعف هو ومن معه، فأمر بالمسير إلى باب الخليفة.(٢٤٣/٧)

ونزل بُفْراجُ بالبصرة، فسار سعيد عن البصرة، وأقام بها بُفْراج يحمي أهلها، فردّ السلطان أمرها إلى منصور بن جعفر الخيّاط، بعد سعيد الحاجب، وكان منصور يبذرق السفن، ويحميها، وسيّرها إلى

البصرة، فضاقت الميرة على الزنج، فجمع منصور الشذا فأكثر منها، وسار نحو صاحب الزنج، فكمّن له صاحب الزنج، فلمّا أقبل خرجوا عليه، فقتلوا في أصحابه مقتلة عظيمة، وغرق منهم خلق كثير، وحملوا من رؤوس أصحابه إلى البحرانيّ ومن معه من الزنوج بنهر معقل.

ذكر انهزام جيش الزنج بالأهواز

وفيها أرسل صاحب الزنج جيشاً مع عليّ بن أبان لقطع قنطرة أرّبُك، فلقيهم إبراهيم بن سيما منصرفاً من فارس، فأوقع بجيش العلويّ فهزمهم، وقتل منهم، وجُرح عليّ بن أبان.

ثمّ إنّ إبراهيم سار قاصداً نهر جيّ، فأمر كاتبه شاهين بن بسطام بالمسير على طريق آخر ليوافيه بنهر جيّ، بعد الوقعة مع عليّ بن أبان؛ وكان عليُّ بن أبان قد سار من الوقعة فنزل بالخيزُرانيّة، فأتاه رجل فأخبره بإقبال شاهين إليه، فسار نحوه، فالتقيا وقت العصر بموضع بين جيّ ونهر موسى، واقتتلوا قتالاً شديداً، ثم صدمهم الزنج صدمة صادقة فهزموهم، وقتلوا شاهين وابن عمّ له، وقُتل معه خلق كثير.

فلمّا فرغ الزنج منهم أتاهم الخبر بقرب إبراهيم بن سيما منهم، فسار (٢٤٤/٧)عليٌّ نحوه، فوافاه وقت العِشاء الآخرة، فأوقع بإبراهيم دفعة أخرى شديدة قتل فيها جمعاً كثيراً.

قال عليُّ بن أبان : وكان أصحابي قد تفرّقوا بعد الوقعة مع شاهين، ولم يشهَد معي حربَ إبراهيم غير خمسين رجلاً، وانصرف عليٌّ إلى جيّ.

ذكر أخذ الزنج البصرة وتخريبها

لمّا سار سعيد عن البصرة ضمّ السلطان عمله إلى منصور بن جعفر الخيّاط، وكان منه ما ذكرنا، ولم يَعُدْ منصور لقتاله، واقتصر على تحفير القَيروانات والسفن، فامتنع أهل البصرة، فعظم ذلك على العلويّ، فتقدّم إلى عليّ بن أبان بالمقام بالخيزُرانيّة ليشغل منصوراً عن تسيير القيروانات، فكان بنواحي جيّ والخيزُرانيّة، وشغل منصوراً، فعاد أهل البصرة إلى الضيق، وألحّ أصحاب الخبيث عليهم بالحرب صباحاً ومساء.

فلمّا كان في شوّال أزمع الخبيث على جَمْع أصحابه لدخول البصرة، والجدّ في إخرابها لضعف أهلها وتفرُّقهم، وخراب ما حولهم من القرى، ثمّ أمر محمّدَ بن يزيد الدارميّ، وهو أحد من صحبه بالبحرَيْن، أن يخرج إلى الأعراب ليجمعهم، فأتاه منهم خلق كثير، فأناخوا بالقِنْدَل، ووجّه إليهم العلويُّ سليمانَ بن موسى الشعرانيّ، وأمرهم بتطرّق البصرة والإيقاع بها ليتمرّن الأعراب على ذلك، ثمّ أنهض عليُّ بن أبان، وضمّ إليه طائفة من الأعراب، وأمره بإتيان البصرة من ناحية بني سعيد، وأمر يحيى بن محمّد (٢٤٥/٧) البَحْرانيّ بإتيانها ممّا يلي نهر عدي، وضمّ إليه سائر الأعراب، فكان أوّل من واقع أهل البصرة عليّ بن أبان، ويُفْراجُ يومئذ بالبصرة، في جماعة من الجند، فأقام يقاتلهم يومَيْن ومال الناس نحوه.

وأقبل يحيى بن محمّد فيمن معه نحو الجسر، فدخل عليُّ بن أبان وقت صلاة الجُمعة لثلاث عشرة بقيت من شوّال، فأقام يقتل ويحرق يوم الجمعة، وليلة السبت، ويوم السبت، وغادى يحيى البصرة يوم الأحد، فتلقّاه يُفْراج وبرية في جمع فردّوه، فرجع يومه ذلك.

ثمّ غاداهم اليومَ الآخرَ، فدخل وقد تفرّق الجند، وهرب برية، وانحاز يُفْراج ومن معه، ولقيه إبراهيم بن يحيى المهلَّبيُّ، فاستأمنه لأهل البصرة، فأمّنهم، فنادى منادي إبراهيم: من أراد الأمان فليحضر دار إبراهيم فحضر أهل البصرة قاطبة، حتّى ملؤوا الرحاب، فلمّا رأى اجتماعهم انتهز الفرصة لئلاّ يتفرّقوا، فغدر بهم، وأمر أصحابه بقتلهم، فكان السيف يعمل فيهم، وأصواتهم مرتفعة بالشهادة، فقتل ذلك الجمع كلّه، ولم يسلم إلاّ النادر منهم، ثمّ انصرف يومه ذلك إلى الحربية.

ودخل عليُّ بن أبان الجامع فأحرقه، وأُحرقت البصرة في عدّة مواضع، منها المِربَد، وزَهْران، وغيرهما، واتّسع الحريق من الجبل إلى الجبل، وعظم الخطب، وعمّها القتل والنهب والإحراق، وقتلوا كلّ من رأوه بها، فمن كان من أهل اليسار أخذوا ماله وقتلوه؛ ومن كان فقيراً قتلوه (٢٤٦/٧) لوقته، بقوا كذلك عدّة أيّام.

ثمّ أمر يحيى أن ينادى بالأمان ليظهروا، فلم يظهر أحد؛ ثمّ انتهى الخبر إلى الخبيث، فصرف عليُّ بن أبان عنها، وأقرّ يحيى عليها لموافقته هواه في كثرة القتل، وصرف عليّاً لإبقائه على أهلها، فهرب الناس على وجوههم وصرف الخبيث جيشه عن البصرة.

فلمّا أخرب البصرة انتسب إلى يحيى بن زيد، وذلك لمصير جماعة من العلويّين إليه، وكان فيهم عليُّ بن محمّد بن أحمد بن عيسى بن زيد وجماعة من نسائهم، فترك الانتساب إلى عيسى بن زيد وانتسب إلى يحيى بن زيد، قال القاسم بن الحسن النوفليُّ: كذَب، ابن يحيى لم يُعقب غير بنت ماتت وهي ترضع.

ذكر مسير المولّد لحرب الزنج

وفيها، في ذي القعدة، أمر المعتمدُ أحمدَ المولّد بالمسير إلى البصرة لحرب الزنج، فسار، فنزل الأُبُلّة، وجاء برية فنزل البصرة، واجتمع إليه من أهلها خلق كثير، فسيّر العلويُّ إلى حرب المولّد يحيى بن محمّد، فسار إليه فقاتله عشرة أيّام، ثمّ وطّن المولّد نفسه على المقام، فكتب العلويُّ إلى يحيى يأمره بتبييت المولّد، ووجّه

إليه الشذا مع أبي الليث الأصفهانّي، فبيّته، (٢٤٧/٧) ونهض المولّد فقاتله تلك الليلة، ومن الغد إلى العصر، ثمّ انهزم عنه.

ودخل الزنج عسكره فغنموا ما فيه، فاتّبعه يحيى إلى الجامدة، فأوقع بأهلها، ونهب تلك القرى جميعها، وسفك ما قدر عليه من الدماء، ثمّ رجع إلى نهر معقل.

ذكر قصد يعقوب فارس وملكه بلخ وغيرها

وفي هذه السنة سار يعقوب بن الليث إلى فارس، فأرسل إليه المعتمد ينكر ذلك عليه، فكتب إليه الموفّق بولاية بَلخ، وطَخارِستان، وسِجستان، والسِّند، فقبل ذلك وعاد، وسار إلى بَلخ وطَخارِستان، فلمّا وصل إلى بَلخ نزل بظاهرها، وخرّب نوشاد، وهي أبنية كان بناها داود بن العبّاس بن مابنجور خارج بَلخ.

ثمّ سار يعقوب من بلخ إلى كابُل، واستولى عليها، وقبض على زنبيل، وأرسل رسولاً إلى الخليفة، ومعه هدية جليلة المقدار، وفيها أصنام أخذها من كابُل وتلك البلاد، وسار إلى بُسْت فأقام بها سنة.

وسبب إقامته أنّه أراد الرحيل، فرأى بعض قوّاده قد حمل بعض أثقاله، فغضب وقال: أترحلون قبلي؟ وأقام سنة، ثمّ رجع إلى سِجستان، ثمّ عاد إلى هَراة، وحاصر مدينة كَرُوخَ حتّى أخذها، ثمّ سار إلى بُوشَنْجَ، وقبض على الحسين بن طاهر بن الحسين الكبير، وأنفذ إليه محمّدَ بن طاهر بن عبد اللّه، فسأله إطلاقه وهو عمّ أبيه الحسين بن طاهر، فلم يفعل وبقي في يده. (٢٤٨/٧)

ذكر ملك الحسن بن زيد العلويّ جُرجان

وفي هذه السنة قصد الحسن بن زيد العلويُّ صاحب طَبَرِستان جُرجانَ واستولى عليها، وكان محمّد بن طاهر، أمير خُراسان، لمّا بلغه ذلك من عزم الحسن على قصد جُرجان قد جهّز العساكر فأنفق عليها أموالاً كثيرة، وسيّرها إلى جُرجان لحفظها، فلمّا قصدها الحسن لم يقوموا له، وظفر بهم، وملك البلد، وقتل كثيراً من العساكر، وغنم هو وأصحابه ما عندهم.

وضعف حينئذ محمّد بن طاهر، وانتقض عليه كثير من الأعمال التي كان يجيء خراجها إليه، فلم يبقَ في يده إلاّ بعض خُراسان، وأكثر ذلك مفتون منتقض بالمتغلّبين في نواحيها، والشراة الذين يعيثون في عمله، فلا يمكنه دفعهم، فكان ذلك سبب تغلّب يعقوب الصُّفّار على خراسان، كما نذكره سنة تسع وستّين ومائتين، إن شاء اللّه تعالى.

ذكر عدّة حوادث

وفيها أخذ أحمدُ المولّد سعدَ بن أحمد بن سعد الباهليُّ، وكان قد تغلّب على البطائح، وأفسد الطريق، وحُمل إلى سامرّا، فضُرب سبع مائة سَوْط فمات، وصُلب ميتاً.

وحجّ بالناس الفضل بن إسحاق بن إسماعيل بن العبّاس بن محمّد بن عليّ.

وفيها وثب بسيل المعروف بالصُّقلبيّ، وإنّما قيل الصُّقلبيُّ، وهو من (٥٤٩/٧) بيت المملكة، لأنّ أمّه صَقلبيّة، على ميخائيل بن توفيل ملك الروم، فقتله؛ وكان مُلْك ميخائيل أربعاً وعشرين سنة، وملك بسيل الروم.

وفيها أقطع المعتمدُ مصر وأعمالها لياركوج التركيّ، فأقرّ عليها أحمدَ بن طولون.

وفيها فارق عبد العزيز بن أبي دُلَف الرَّيَّ من غير خوف، وأخلاها، فأرسل إليها الحسنُ بن زيد العلويُّ، صاحب طَبَرِستان، القاسمَ بن عليّ بن القاسم بن عليّ العلويُّ، المعروف بدليس، فغلب عليها، فأساء السيرة في أهلها جدّاً، وقلعوا أبواب المدينة، وكانت من حديد، وسيّرها إلى الحسن بن زيد، وبقي كذلك نحو ثلاث سنين.

وفيها خرج عليُّ بن مُساور الخارجيُّ، وخارجيٌّ آخر اسمه طَوْق من بني زُهَيْر، فاجتمع إليه أربعة آلاف، فسار إلى أذْرَمَةَ، فحاربه أهلها، فظفر بهم، فدخلها بالسيف، وأخذ جارية بكراً فجعلها فيئاً، واقتضّها في المسجد، فجمع عليه الحسنُ بن أيّوب بن أحمد العدويُّ جمعاً كثيراً، فحاربه فقتله، وقطع رأسه وأنفذه إلى سامرّا.

وفيها قُتل محمّد بن خَفاجة، أمير صِقلّيّة، قتله خدمه نهاراً، وكتموا قتله، فلم يُعْرَف إلاّ من الغد. وكان الخدم الذين قتلوه قد هربوا، فطُلبوا فأُخذوا، وقُتل بعضهم، ولمّا قُتل استعمل محمّدُ بن أحمد بن الأغلب على صِقلّيّة أحمدَ بن يعقوب بن المَضاء بن سَلمة فلم تطل أيّامه، ومات سنة ثمان وخمسين ومائتين. (٢٥٠/٧)

وفيها توفّي الحسنُ بن عمر العبديُّ، وكان مولده سنة خمسين ومائة بسُرّ من رأى.

وفيها توفّي أبوالفضل العبّاس بن الفرج الرياشيُّ اللغويُّ، من كبارهم، وروى عن الأصمعيّ وغيره.

وفيها توفّي محمّد بن الخطّاب الموصليُّ، وكان من أهل العلم والزهد. (٢٥١/٧)

سنة ثمان وخمسين ومائتين

ذكر قتل منصور بن جعفر الخيّاط

في هذه السنة قُتل منصور بن جعفر الخيّاط، وكان سبب قتله

أنّ العلويّ البصريّ لمّا فرغ من أمر البصرة أمر عليّ بن أبان بالمسير إلى جيّ لحرب منصور بن جعفر، وهو يلي يومئذ الأهواز، وأقام بإزائه شهراً، وكان منصور في قلّة من الرجال، فأتى عسكر عليّ وهو بالخيزُرانيّة.

ثمّ إنّ الخبيث، صاحب الزنج، وجّه إلى عليّ باثني عشرة شذاة مشحونة بجلّة أصحابه، وولّى أمرهم أبا الليث الأصبهانيّ، وأمره بطاعة عليّ، فلمّا صار إليه خالفه، واستبدّ عليه، وجاء منصور كما كان يجيء للحرب، فتقدم إليه أبو الليث، عن غير إذن عليّ، فظفر به منصور، وبالشذوات التي معه، وقتل فيها من البيض والزنج خلقاً كثيراً، وأفلت أبو الليث، ورجع إلى الخبيث. (٢٥٢/٧)

ثمّ إن عليّاً وجّه طلائع يأتونه بخبر منصور، وأسرى إلى وال كان لمنصور على كَرْنَبَا، فقتله وقتل أكثر أصحابه، وغنم ما كان معهم ورجع.

وبلغ الخبر منصوراً، فأسرى إلى الخيزُرانيّة، وخرج إليه عليٌّ، فتحاربوا إلى الظهر، ثمّ انهزم منصور، وتفرق عنه أصحابه، وانقطع عنهم، وأدركته طائفة من الزنج، فحمل عليهم، وقاتلهم حتّى تكسّر رمحه، وفني نشّابه، ثمّ حمل حصانه ليعبر النهر، فوقع في النهر، ولم يعبره.

وكان سبب وقوعه أن بعض الزنج رآه حين أراد أن يعبر النهر، فألقى نفسه في النهر قبل منصور وتلقّى الفرس حين وثب فنكص، فلمّا سقط في النهر قتله الأسود، وأخذ سلبه، وقُتل معه أخوه خلف بن جعفر وغيره، فوليَ ياركوج ما كان إلى منصور بن جعفر من العمل.

ذكر مسير أبي أحمد إلى الزنج وقتل مُفْلِح

وفيها، في ربيع الأوّل، عقد المعتمد لأخيه أبي أحمد على ديار مصر، وقِنّسرين، والعواصم، وخلع عليه وعلى مُفلح في ربيع الآخر، وسيّرهما إلى حرب الزنج بالبصرة، وركب المعتمد معه يشيّعه، وسار نحو البصرة، ونازل العلويُّ وقاتله.

وكان سبب تسييره ما فعله بالبصرة، وأكبر الناس ذلك، وتجهزوا إليه وساروا في عدّة حسنة كاملة، وصحبه من سوقة بغداد خلق كثير. (٢٥٣/٧)

وكان عليُّ بن أبان بجيّ، على ما ذكرنا، وسار يحيى بن محمّد البَحْرانيُّ إلى نهر العبّاس، ومعه أكثر الزنوج، فبقي صاحبهم في قلّة من الناس، وأصحابه يغادون البصرة، ويراوحونها لنقل ما نالوه منها ؛ فلمّا نزل عسكر أبي أحمد بنهر معقل، احتفل من فيه من الزنوج إلى صاحبهم مرعوبين، وأخبروه بعظم الجيش وأنّهم لم يرد عليهم مثله، وأحضر رئيسَيْن من أصحابه، فسألهما عن قائد الجيش فلم يعرفاه، فجزع، وارتاع.

ثمّ أرسل إلى عليّ بن أبان يأمره بالمسير إليه فيمن معه، فلمّا كان يوم الأربعاء لاثني عشرة بقيت من جمادى الأولى أتاه بعض قوّاده، فأخبره بمجيء العسكر وتقدّمهم، وأنّهم ليس في وجوههم من يردّهم من الزنوج، وكذّبه، وسبّه، وأمر فنودي في الزنوج بالخروج إلى الحرب، فخرجوا، فرأوا مُفلحاً قد أتاهم في عسكر لحربهم، فقاتلهم، فبينما مُفلح يقاتلهم إذ أتاه سهم غرب لا يُعرف من رمى به، فأصابه، فرجع وانهزم أصحابه، وقتلوا فيهم قتلاً ذريعاً، وحملوا الرؤوس إلى العلويّ، واقتسم الزنج لحوم القتلى.

وأُتي بالأسرى، فسألهم عن قائد الجيش، فأخبروه أنّه أبو أحمد. ومات مُفلح من ذلك السهم، فلم يلبث العلويُّ إلاّ يسيراً حتّى وافاه عليُّ بن أبان.

ثمّ إنّ أبا أحمد رحل نحو الأُبُلّة ليجمع ما فرّقته الهزيمة، ثمّ سار إلى نهر أبي الأسد، ولمّا علم الخبيث كيف قُتل مُفلح، ولم ير أحداً يدّعي قتله، زعم أنّه هو الذي قتله، وكذب فإنّه لم يحضره. (٢٥٤/٧)

ذكر قتل يحيى بن محمّد البحرانيّ

وفيها أُسر يحيى بن محمّد البحرانيُّ قائد صاحب الزنج، وكان سبب ذلك أنّه لمّا سار نحو نهر العبّاس لقيه عسكر أصعجور، عامل الأهواز بعد منصور، وقاتلهم، وكان أكثر منهم عدداً، فنال ذلك العسكر من الزنج بالنشّاب، وجرحوهم، فعبر يحيى النهر إليهم، فانحازوا عنه، وغنم سُفناً كانت مع العسكر، فيها الميرة، وساروا بها إلى عسكر صاحب الزنج على غير الوجه الذي فيه عليُّ بن أبان، لتحاسدٍ كان بينه وبين يحيى.

ووجّه يحيى طلائعه إلى دجلة، فلقيهم جيش أبي أحمد الموفّق سائرين إلى نهر أبي الأسد، فرجعوا إلى عليّ، فأخبروه بمجيء الجيش، فرجع من الطريق الذي كان سلكه، وسلك نهر العبّاس، وعلى فم النّهر شذوات لحمية من عسكر الخليفة، فلمّا رآهم يحيى راعه ذلك، وخاف أصحابه فنزلوا السفن وعبروا النهر، ولقي يحيى ومن معه بضعة عشر رجلاً، فقاتلهم هو وذلك النفر اليسير، فرموهم بالسهام، فجُرح ثلاث جراحات، فلمّا جُرح تفرّق أصحابه عنه، ولم يُعرف حتّى يؤخذ، فرجع حتّى دخل بعض السفن وهو مثخن بالجراح.

وأخذ أصحاب السلطان الغنائم، وأخذوا السفن، وعبروا إلى سُفن كانت للزنج فأحرقوها، وتفرّق الزنج عن يحيى بقية نهارهم، فلمّا رأى تفرّقهم (٢٥٥/٧) ركب سُمَيْرِيّة، وأخذ معه طبيباً لأجل

الجراح، وسار فيها، فرأى الملاّحون سُمَيريّاتِ السلطان، فخافوا، فألقوا يحيى ومَنْ معه على الأرض، فمشى وهو مثقل، وقام الطبيب الذي معه فأتى أصحابَ السلطان فأخبرهم خبره، فأخذوه وحملوه إلى أبي أحمد، فحمله أبو أحمد إلى سامرّا، فقُطعت يداه ورجلاه ثمّ قُتل، فجزع الخبيث والزنوج عليه جزعاً كبيراً، وقال لهم : لمّا قُتل يحيى اشتدّ جزعي عليه، فخوطبتُ أن قتْله كان خيراً لك، إنّه كان شرهاً.

ذكر عود أبي أحمد إلى واسط

وفيها انحاز أبو أحمد من موضعه إلى واسط ؛ وكان سبب ذلك أنّه لمّا سار إلى نهر أبي الأسد كثرت الأمراض في أصحابه، وكثر فيهم الموت، فرجع إلى باذاورد فأقام به، وأمر بتجديد الآلات، وإعطاء الجند أرزاقهم، وإصلاح السُّمَيريّات والشُّذا، وشحنها بالقوّاد، وعاد إلى عسكر صاحب الزنج، وأمر جماعة من قوّاده بقصد مواضع سمّاها من نهر أبي الخَصيب وغيره، وبقي معه جماعة، فمال أكثر الخلق، حين التقى الناس ونشبت الحرب، إلى نهر أبي الخصيب، وبقي أبو أحمد في قلّة من أصحابه، فلم يزل عن موضعه خوفاً أن يطمع الزنج.

ولمـّا رأى الزنج قلّة من معه طمعوا فيه، وكثروا عليه، واشتدّت الحرب عنده، وكثر القتل والجراح، وأحرق أصحاب أبي أحمد منازل الزنوج، واستنقذوا من النساء جمعاً كثيراً، ثم ألقى الزنج جدّهم نحوه، فلمّا رأى أبو (٢٥٦/٧) أحمد ذلك علم أنّ الحزم في المحاجزة، فأمر أصحابه بالرجوع إلى سفنهم على مهل وتؤدَة.

واقتطع الزنج طائفة من أصحابه، فقاتلوهم، فقتلوا من الزنج خلقاً كثيراً، ثمّ قُتلوا جميعهم، وحُملت رؤوسهم إلى قائد الزنج، وهي مائة رأس وعشرة أرؤس، فزاد ذلك في عُتوّه.

ونزل أبو أحمد في عسكره بباذاورد، فأقام يعبّىء أصحابه للرجوع إلى الزنج، فوقعت نار في أطراف عسكره، في يوم ريح عاصف، فاحترق كثير منه، فرحل منه إلى واسط، فلمّا نزل واسط تفرّق عنه عامّة أصحابه، فسار منها إلى سامرّا، واستخلف على واسط، لحرب العلويّ، محمّدَ بن المولّد.

ذكر عدّة حوادث

وفيها وقع الوباء في كُوَر دجلة، فهلك منها خلق كثيرٌ ببغداد، وواسط، وسامرّا، وغيرها.

وفيها قُتل سرسجارس ببلاد الروم مع جماعة كثيرة من أصحابه.

وفيها كانت هدّة عظيمة هائلة بالصَّيْمَرة، ثمّ سُمع من ذلك اليوم هدّة أعظم من الأولى، فانهدم أكثر المدينة، وتساقطت الحيطان، وهلك من (٢٥٧/٧) أهلها زهاء عشرين ألفاً.

وفيها مات ياركوج التركيُّ في رمضان، وصلّى عليه أبو عيسى بن المتوكّل، وكان صاحب مصر ومقطعها، ودُعيَ له فيها قبل أحمد بن طولون، فلمّا استقلّ أحمد بمصر.

وفيها كانت وقعة بين أصحاب موسى بن بُغا وأصحاب الحسن بن زيد العلويّ، فانهزم أصحاب الحسن.

وفيها أسر مسرورٌ البلخيُّ جماعةً من أصحاب مُساور الشاري، وسار مسرور إلى البوازيج، فلقيَ مُساوراً هناك، فكان فيها بينهما وقعة أُسر فيها من أصحاب مسرور جماعة، ثمّ انصرف في ذي الحجّة إلى سامرّا، واستخلف على عسكره بحديثةِ الموصل جَعلانَ.

وفيها رجع أكثر الناس من القَرعاء خوفَ العطش، وسلم من سار إلى مكّة؛ وحجّ بالناس الفضل بن إسحاق بن الحسن.

وفيها أُوقع مسرور البلخيُّ بالأكراد اليَعقوبيّة، فهزمهم وأصاب فيها.

وفيها صار محمّد بن واصل في طاعة السلطان، وسلّم فارس إلى محمّد بن الحسن بن أبي الفيّاض.

وفيها أُسر جماعة من الزنج كان فيهم قاضٍ كان لهم بعَبّادان، فحُملوا إلى سامرّا، فضُربت أعناقهم.(٢٥٨/٧)

وفيها توفّي محمّد بن يحيى بن عبد اللّه بن خالد الذُّهليُّ النَّيسابوريُّ، وله مع البخاريّ حادثة ظلمه بها حسداً له، ليس هذا مكان ذكرها.

وفيها توفّي يحيى بن مُعاذ الرازيُّ الواعظ في جمادى الأولى، وكان عابداً صالحاً صحب أبا يزيد وغيره.(٢٥٩/٧)

سنة تسع وخمسين ومائتين

ذكر دخول الزنج الأهواز

وفيها، في رجب، دخلت الزنج الأهواز، وكان سببه أنّ العلويّ أنفذ عليّ بن أبان المهلّبيّ، وضمّ إليه الجيش الذي كان مع يحيى بن محمّد البَحرانيّ، وسليمان بن موسى الشَّعرانيّ، وسيّره إلى الأهواز.

وكان المتولّيَ لها بعد منصور بن جعفر رجل يقال له أصعجور، فبلغه خبر الزنج، فخرج إليهم، والتقى العسكران بدَسْتَ مَيْسانَ، فانهزم أصعجور، وقُتل معه ثيرك، وجُرح خلق كثير من

أصحابه، وغرق أصعجور، وأُسر خلق كثير، فيهم الحسن بن هَرثمة، والحسن بن جعفر، وحُملت الرؤوس والأعلام والأسرى إلى الخبيث، فأمر بحبس الأسرى، ودخل الزنج الأهواز، فأقاموا يفسدون فيها، ويعيثون إلى أن قدم موسي بن بُغا.

ذكر مسير موسى بن بُغا لحرب الزنج

وفيها، في ذي القعدة، أمر المعتمد موسى بن بُغا بالمسير إلى حرب صاحب الزنج، فسيّر إلى الأهواز عبدَ الرحمن بن مُفلح، وإلى البصرة إسحاق بن (٢٦٠/٧) كنداجيق، وإلى باذَاورد إبراهيم بن سيما، وأمرهم بمحاربة صاحب الزنج.

فلمّا وليَ عبد الرحمن الأهواز سار إلى محاربة عليّ بن أبان، فتواقعا، فانهزم عبد الرحمن؛ ثمّ استعدّ، وعاد إلى عليّ فأوقع به وقعة عظيمة قتل فيها من الزنج قتلاً ذريعاً، وأسر خلقاً كثيراً، وانهزم عليٌّ بن أبان والزنج،ثمّ أراد ردّهم فلم يرجعوا من الخوف الذي دخلهم من عبد الرحمن؛ فلمّا رأى ذلك أذن لهم بالانصراف، فانصرفوا إلى مدينة صاحبهم.

ووافى عبد الرحمن حصن مَهدي ليعسكر به، فوجّه إليه صاحب الزنج عليٌّ بن أبان، فواقعه، فلم يقدر عليه، ومضى يريد الموضع المعروف بالدُّكّة، وكان إبراهيم بن سيما بالباذورد، فواقعه عليٌّ بن أبان، فهزمه عليٌّ بن أبان، ثمّ واقعه ثانية، فهزمه إبراهيم، فمضى عليٌّ في الليل ومعه الأدلاّء في الآجام، حتّى انتهى إلى نهر يحيى.

وانتهى خبره إلى عبد الرحمن، فوجّه إليه طاشتمر في جمع من الموالي، فلم يصل إليه لامتناعه بالقصب والحلافي، فأضرمها عليه ناراً، فخرجوا منها هاربين، فأسر منهم أسرى، وانصرف أصحاب عبد الرحمن بالأسرى والظفر.

ثمّ سار عبد الرحمن نحو عليّ بن أبان بمكان نزل فيه، فكتب عليٌّ إلى صاحب الزنج يستمدّه، فأمدّه بثلاث عشرة شذاة، ووافاه عبد الرحمن، فتواقعا يومهما، فلمّا كان الليل انتخب عليٌّ من أصحابه جماعة ممّن يثق بهم وسار، وترك عسكره ليخفي أمره، وأتى عبد الرحمن من ورائه (٢٦١/٧) فبيّته، فنال منه شيئاً يسيراً، وانحاز عبد الرحمن، فأخذ عليٌّ منهم أربع شذوات، وأتى عبد الرحمن دَوْلابَ فأقام به.

وسار طاشتمر إلى عليّ فوافاه وقاتله، فانهزم عليٌّ إلى نهر السُّدْرة، وكتب يستمدّ عبدَ الرحمن، فأخبره بانهزام عليّ عنه، فأتاه عبد الرحمن، وواقع عليّاً بنهر السُّدرة وقعة عظيمة، فانهزم عليٌّ إلى الخبيث، وعسكر عبد الرحمن بِلُنْبانْ، فكان هو وإبراهيم بن سيما يتناوبان المسير إلى عسكر الخبيث فيوقعان به، وإسحاق بن كنداجيق بالبصرة، وقد قطع الميرة عن الزنج، فكان صاحبهم يجمع أصحابه يوم محاربة عبد الرحمن وإبراهيم، فإذا انقضت الحرب سيّر طائفة منهم إلى البصرة، يقاتل بهم إسحاق، فأقاموا كذلك بضعة عشر شهراً إلى أن صُرف موسى بن بُغا عن حرب الزنج، ووليها مسرور البلخيُّ، فانتهى الخبر بذلك إلى الخبيث.

ذكر ملك يعقوب نَيسابور

وفيها، في شوّال، دخل يعقوب بن الليث نَيسابور، وكان سبب مسيره إليها أنّ عبد اللّه السِّجْزيَّ كان ينازع يعقوبَ بسِجِستان، فلمّا قوي عليه يعقوب هرب منه إلى محمّد بن طاهر، فأرسل يعقوب يطلب من ابن طاهر أن يسلّمه إليه فلم يفعل، فسار نحوه إلى نَيسابور، فلمّا قرب منها، وأراد دخولها، (٢٦٢/٧) وجّه محمّد بن طاهر يستأذنه في تلقّيه، فلم يأذن له، فبعث بعُمُومته وأهل بيته فتلقّوه.

ثم دخل نَيسابور في شوّال، فركب محمّد بن طاهر، فدخل إليه في مضربه، فساءله، ثم وبخه على تفريطه في عمله، وقبض على محمّد بن طاهر وأهل بيته، واستعمل على نَيسابور، وأرسل إلى الخليفة يذكر تفريط محمّد ابن طاهر في عمله، وأنّ أهل خراسان سألوه المسير إليهم، ويذكر غلبة العلويّين على طَبَرستان، وبالغ في هذا المعنى، فأنكر عليه ذلك، وأمر بالاقتصار على ما أُسند إليه، وإلاّ يسلك معه مسلك المخالفين.

وقيل كان سبب مُلك يعقوب نَيسابور ما ذكرناه سنة سبع وخمسين [ومائتين] من ضعف محمّد بن طاهر أمير خراسان، فلمّا تحقّق يعقوب ذلك، وأنّه لا يقدر على الدفع، سار إلى نَيسابور، وكتب إلى محمّد بن طاهر يُعلمه أنّه قد عزم على قصد طَبَرستان ليُمضي ما أمره الخليفة في الحسن بن زيد المتغلّب عليها، وأنّه لا يعرض لشيء من عمله، ولا لأحد من أسبابه.

وكان بعض خاصّة محمّد بن طاهر وبعض أهله لمّا رأوا إدبار أمره مالوا إلى يعقوب، فكاتبوه، واستدعوه، وهوّنوا على محمّد أمر يعقوب، من نَيسابور، فأعلموه أنّه لا خوف عليه منه، وثبطوه عن التحرّز منه، فركن محمّد إلى قولهم، حتّى قرب يعقوب من نَيسابور، فوجّه إليه قائداً من قوّاده يطيّب قلبه، وأمره بمنعه عن الانتزاح عن نَيسابور إن أراد ذلك.

ثمّ وصل يعقوب إلى نَيسابور رابع شوّال وأرسل أخاه عمرو بن الليث (٢٦٣/٧) إلى محمّد بن طاهر، فأحضره عنده، فقبض عليه وقيّده، وعنّفه على إهماله عمله، وعجزه عن حفظه، ثمّ قبض على جميع أهل بيته، وكانوا نحواً من مائة وستين رجلاً، وحملهم إلى سِجِسْتان، واستولى على خُراسان، ورتب في الأعمال نوّابه.

وكانت ولاية محمّد بن طاهر إحدى عشرة سنة وشهرَيْن وعشرة أيام.

ذكر ظهور ابن الصوفيّ بمصر ثانياً

وفيها عاد ابن الصوفيُّ العلويُّ بمصر، وقد ذكرنا سنة ستّ وخمسين [ومائتين] ظهوره وهربه إلى الواحات، فأحمّ نفسه، ودعا الناس إلى نفسه، فتبعه خلق كثير، وسار بهم إلى الأشمونين، فوُجّه إليه جيش عليهم قائد يُعْرَف بابن أبي الغيث، فوجده قد أصعد إلى لقاء أبي عبد الرحمن العُمَريّ، وسنذكر بعدُ هذا.

فلمّا وصل العلويُّ إلى العمريّ التقيا، فكان بينهما قتال شديد، أجلت الوقعة عن انهزام العلويّ، فولّى منهزماً إلى أُسْوَان، فعاث فيها، وقطع كثيراً من نخلها.

فسيّر إليه ابن طولون جيشاً، وأمرهم بطلبه أين كان، فسار الجيش في

(٢٦٤/٧) طلبه، فولّى هارباً إلى عَيْذَاب، وعبر البحر إلى مكّة، وتفرّق أصحابه، فلمّا وصل إلى مكّة بلغ خبره إلى واليها، فقبض عليه وحبسه، ثمّ سيّره إلى ابن طولون، فلمّا وصل إلى مصر أمر به فطيف به في البلد، ثمّ سجنه مُدّة وأطلقه، ثمّ رجع إلى المدينة فأقام بها إلى أن مات.

ذكر حال أبي عبد الرحمن العُمَريّ

قد تقدّم ذكر أبي عبد الرحمن العُمريّ، واسمه عبد الحميد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطّاب.

وكان سبب ظهوره بمصر أنّ البجاةَ أقبلَت يومَ العيد، فنهبوا وقتلوا وعادوا غانمين، وفعلوا ذلك مرات، فخرج هذا العُمَريُّ غضباً لله وللمسلمين، وكمّن لهم في طريقهم، فلمّا عادوا خرج عليهم، وقتل مقدّمهم ومن معه، ودخل بلادهم فنهبها، وقتل فيهم فأكثر، ونهبوا وسبوا مالا يحصى، وتابع عليهم الغارات حتّى أدّوا إليه الجزية، ولم يفعلوها قبل ذلك.

واشتدّت شوكة العُمَريّ، وكثر أتباعه؛ فلمّا بلغ خبره ابنَ طولون سيّر إليه جيشاً كثيفاً، فلمّا التقوا تقدّم العُمَريُّ وقال لمقدّم الجيش: إنّ ابن طولون لا يعرف خبري، لا شكّ، على حقيقته، فإنّي لم أخرج للفساد، ولم يتأدّ بي مسلم ولا ذمّيٌّ، وإنّما خرجتُ طلباً للجهاد، فاكتب إلى الأمير أحمد عرّفه كيف حالي، فإن أمرك بالانصراف فانصرف، وإلاّ إن أمرك بغير ذلك كنتَ معذوراً، فلم يجبه إلى ذلك، وقاتله، فانهزم جيش ابن طولون، فلمّا وصلوا إليه أخبروه بحال العُمَريّ فقال: كنتم أنهيتم حاله إليّ، فإنّه نُصِر (٢٦٥/٧) عليكم ببغيكم، وتركه.

فلمّا كان بعد مُدّة وثب على العُمَريّ غلامان له فقتلاه، وحملا رأسه إلى أحمد بن طولون، فلمّا حضرا عنده سألهما عن سبب قتله، فقالا: أردنا التقرّب إليك بذلك، فقتلهما، وأمر برأس العُمَريّ فغُسل، وكُفن، ودُفن.

ذكر ما كان هذه السنة بالأندلس

في هذه السنة سار محمّد بن عبد الرحمن الأمويُّ، صاحب الأندلس، إلى طُلَيطُلة فنازلها وحصرها، وكان أهلها قد خالفوا عليه، وطلبوا الأمان فأمّنهم، وأخذ رهائنهم.

وفيها خرج أهل طُليطُلة إلى حصن سكيان، وكان فيه سبع مائة رجل من البربر، وكان أهل طُلَيطُلة في عشرة آلاف، فلمّا التحمت بينهم الحرب انهزم أحد مقدّمي أهلها، وهو عبد الرحمن بن حبيب، فتبعه أهل طُلَيطُلة في الهزيمة، وإنّما انهزم لعداوة كانت بينه وبين مقدّم آخر اسمه طريشة من أهل طُليطُلة، فأراد أن يوهنه بذلك، فلمّا انهزموا قتلوا البرقيل (؟).

وفيها عاد عمرو بن عمروس إلى طاعة محمّد بن عبد الرحمن، وكان مخالفاً عليه عدّة سنين، فولاّه مدينة أمشقة وحصر محمّد حصون بني موسى ثمّ تقدّم إلى بَنْبلونة فوطئ أرضها وعاد. (٢٦٦/٧)

ذكر عدّة حوادث

وفيها سارت سريّة للمسلمين إلى مدينة سَرَقُوسة فصالحها أهلها على أن أطلقوا الأسرى الذين كانوا عندهم من المسلمين، ثلاثمائة وستّين أسيراً، فلمّا أطلقوهم عادت عنهم.

وفيها قُتل كيجور، وكان سبب قتله أنّه كان على الكوفة، فسار عنها إلى سامرّا بغير إذن، فأُمر بالرجوع فأبى، فحُمل إليه مال ليفرّقه في أصحابه فلم يقنع به، وسار حتّى أتى عُكْبَرَا، فوجّه إليه من سامرّا عدّة من القوّاد فقتلوه، وحملوا رأسه إلى سامرّا.

وفيها غلب شركُب الحمار على مَرْو ونواحيها ونهبها.

وفيها انصرف يعقوب بن الليث عن بَلخ، فأقام بقُهستان، وولّى عُمّاله هراة، وبوشَنج، وباذَغيس، وانصرف إلى سِجستان.

وفيها فارق عبد الله السِّجْزيُّ يعقوبَ، وحاصر نَيسابور وبها محمّد بن طاهر قبل أن يملكها يعقوب بن الليث، فوجّه محمّدُ بن طاهر إليه الرسل والفقهاء، فاختلفوا بينهما، ثم ولاّه الطَّبَسَيْن، وقُهستانَ؛ وفيها غلب الحسن بن زيد على قُومِسَ ودخلها أصحابه. (٢٦٧/٧)

وفيها كانت وقعة بين محمّد بن الفضل بن بيان ووهسوذان بن جستان الديلميّ، وانهزم وهسوذان.

وفيها نزلت الروم على سُمَيساط، ثمّ نزلوا على مَلَطْيَة وقاتلهم أهلها، فانهزمت الروم، وقُتل بطريق البطارقة.

وحجّ بالناس العبّاس بن إبراهيم بن محمّد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن عليّ بن عبد اللّه بن عبّاس المعروف ببريّة.

وفيها مات محمّد بن يحيى بن موسى أبو عبد اللّه بن أبي زكريا الأسفرايينيُّ المعروف بابن حيوَيْه، ومحمّد بن عمروس بن يونس بن عمران بن دينار الكوفيُّ الثعلبيُّ، وكان شيعيّاً ضعيف الحديث.

وفيها توفّي أبو الحسن بن عليّ بن حرب الطائيُّ الموصليُّ، وكان محدّثاً، وممّن روى عنه أبوه عليُّ بن حرب. (٢٦٨/٧)

سنة ستين ومائتين

ذكر دخول يعقوب طَبَرِستان

وفيها واقع يعقوبُ بن الليث الحسنَ بن زيد العلويَّ، فهزمه، ودخل طَبَرِستان.

وكان سبب ذلك أنّ عبد اللّه السِّجْزِيَّ [كان] ينازع يعقوبَ الرئاسة بسِجستان، فقهره يعقوب، فهرب منه عبد اللّه إلى نَيسابور، فلمّا سار يعقوب إلى نَيسابور، كما ذكرنا، هرب عبد اللّه إلى الحسن بن زيد بطَبَرِستان، فسار يعقوب في أثره، فلقيه الحسن بن زيد بقرية سارية.

وكان يعقوب قد أرسل إلى الحسن يسأله أن يبعث إليه عبد اللّه ويرجع عنه، فإنّه إنما جاء لذلك لا لحربه، فلم يسلّمه الحسن، فحاربه يعقوب، فانهزم الحسن، ومضى نحو السّرّ وأرض الدّيلم، ودخل يعقوب سارية، وآمل، وجبى أهلها خراج سنة، ثمّ سار في طلب الحسن، فسار إلى بعض جبال طَبَرِستان، وتتابعت عليه الأمطارنحواً من أربعين يوماً، فلم يتخلّص إلاّ بمشقّة شديدة، وهلك عامّة ما معه من الظّهر.

ثمّ أراد الدخول خلف الحسن، فوقف على الطريق الذي يريد [أن] يسلكه، وأمر أصحابه بالوقوف، ثمّ تقدّم وحده، وتأمّل الطريق، ثمّ رجع (٢٦٩/٧) إليهم فأمرهم بالانصراف، وقال لهم: إن لم يكن طريق غير هذا، وإلاّ لا طريق إليه.

وكان نساء أهل تلك الناحية قُلْن للرجال: دعوه يدخل، فإنّه إن دخل كفيناكم أمره، وعلينا أسره لكم. فلمّا خرج من طبرستان عرض رجاله، ففُقد منهم أربعون ألفاً، وذهب أكثر ما كان معه من الخيل، والإبل، والبغال والأثقال، وكتب إلى الخليفة بما فعله مع الحسن من الهزيمة، وسار إلى الرَّيّ في طلب عبد اللّه لأنّه كان قد سار إليها بعد هزيمة الحسن، فلمّا قاربها يعقوب كتب إلى الصلانيّ واليها يخيّره بين تسليم عبد اللّه إليه وينصرف عنه، وبين المحاربة، فسلّم إليه عبدَ اللّه فرحل عنه، وقتل عبد اللّه.

ذكر الفتنة بالموصل وإخراج عاملهم

كان الخليفة المعتمد على اللّه قد استعمل على الموصل أساتكين، وهو من أكابر قوّاد الأتراك، فسيّر إليها ابنه أذكوتكين في جمادى الأولى سنة تسع وخمسين ومائتين؛ فلمّا كان يوم النيروز من هذه السنة، وهو الثالث عشر من نيسان، غيّره المعتضد باللّه، ودعا أذكوتكين ووجوه أهل الموصل إلى قبّة في الميدان، وأحضر أنواع الملاهي، وأكثر الخمر، وشرب ظاهراً، وتجاهر أصحابه بالفسوق، وفعل المنكَرات، وأساء السيرة في الناس.

وكان تلك السنة برد شديد أهلك الأشجار، والثمار، والحنطة، والشعير، (٢٧٠/٧) وطالب الناسَ بالخراج على الغلاّت التي هلكت، فاشتدّ ذلك عليهم، وكان لا يسمع بفرس جيّد عند أحد إلاّ أخذه، وأهل الموصل صابرون، إلى أن وثب رجل من أصحابه على امرأة فأخذها في الطريق، فامتنعت، واستغاثت، فقام رجل اسمه إدريس الحِميريُّ، وهو من أهل القرآن والصلاح، فخلّصها من يده، فعاد الجنديّ إلى أذكوتكين فشكا من الرجل، فأحضره وضربه ضرباً شديداً من غير أن يكشف الأمر، فاجتمع وجوه أهل الموصل إلى الجامع وقالوا: قد صبرنا على أخذ الأموال، وشتم الأعراض، وإبطال السنن والعسف، وقد أفضى الأمر إلى أخذ الحريم، فأجمع رأيهم على إخراجه، والشكوى منه إلى الخليفة.

وبلغه الخبر، فركب إليهم في جنده، وأخذ معه النَّفّاطين، فخرجوا إليه وقاتلوه قتالاً شديداً، حتّى أخرجوه عن الموصل، ونهبوا داره، وأصابه حجر فأثخنه، ومضى من يومه إلى بلده، وسار منه إلى سامَرّا.

واجتمع الناس إلى يحيى بن سليمان، وقلّدوه أمرهم، ففعل، فبقي كذلك إلى أن انقضت سنة ستّين؛ فلمّا دخلت سنة إحدى وستّين [ومائتين] كتب أساتكين إلى الهيثم بن عبد اللّه بن المعمر التغلبيّ، ثمّ العدويّ، في أن يتقلّد الموصل، وأرسل إليه الخلع واللواء، وكان بديار ربيعة، فجمع جُموعاً كثيرة، وسار إلى الموصل، ونزل بالجانب الشرقيّ، وبينه وبين البلد دجلة، فقاتلوه، فعبر إلى الجانب الغربيّ وزحف إلى باب البلد، فخرج إليه يحيى بن سليمان في أهل الموصل، فقاتلوه فقُتل بينهم قتلى كثيرة، وكثرت الجراحات وعاد الهيثم عنهم.

فاستعمل أساتكين على الموصل إسحاق بن أيّوب التغلبيَّ فخرج في جمع (٢٧١/٧) يبلغون عشرين ألفاً، منهم حَمدان بن حَمدون التغلبيُّ وغيره، فنزل عند الدير الأعلى، فقاتله أهل

الموصل ومنعوه، فبقوا كذلك مدّة، فمرض يحيى بن سليمان الأمير، فطمع إسحاق في البلد، وجدّ في الحرب فانكشف الناس بين يديه، فدخل إسحاق البلد، ووصل إلى سوق الأربعاء، وأحرق سوق الحشيش، فخرج بعض العدول، اسمه زياد بن عبد الواحد، وعلّق في عنقه مُصحفاً، واستغاث بالمسلمين فأجابوه، وعادوا إلى الحرب، وحملوا على إسحاق وأصحابه، وأخرجوهم من المدينة.

وبلغ يحيى بن سليمان الخبر، فأمر فحُمل في محفّة، وجُعل أمام الصفّ، فلمّا رآه أهل الموصل قويت نفوسهم، واشتدّ قتالهم، ولم يزل الأمر كذلك وإسحاق يراسل أهل الموصل، ويعدهم الأمان وحسن السيرة، فأجابوه إلى أن يدخل البلد، ويقيم بالربض الأعلى، فدخل وأقام سبعة أيام.

ثمّ وقع بين بعض أصحابه وبين قوم من أهل الموصل شرّ، فرجعوا إلى الحرب، وأخرجوه عنها، واستقرّ يحيى بن سليمان بالموصل.

ذكر الحرب بين أهل طُليطُلة وهوّارة

وفي هذه السنة ظهر موسى بن ذي النُّون الهوّاريُّ بشَنتَ بَريّة، وأغار على أهل طُليطُلة، ودخل حصن وَلِيد من شنت بريّة، فخرج أهل طليطُلة إليه في نحو عشرين ألفاً، فلمّا التقوا بموسى واقتتلوا انهزم محمّد بن طُرَيشة في أصحابه، وهو من أهل طليطلة، فتبعه أهل طليطلة في الهزيمة، وانهزم (٢٧٢/٧) معهم مطرف بن عبد الرحمن، فعمل ذلك محمّد مكافأة لمطرف حين انهزم بالناس في العام الماضي، فقُتل من أهل طُليطُلة خلقٌ كثير، وقوي موسى ابن ذي النّون، وهابه من حاذره.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قتل رجل من أصحاب مُساور الشاري محمّدَ بن هارون ابن المعْتمر، رآه وهو يريد سامرّا، فقتله، وحمل رأسه إلى مُساور، فطلبت ربيعة بثأره، فنُدب مسرور البلخيُّ وغيره إلى أخذ الطرق على مُساور.

وفيها اشتدّ الغلاء في عامّة بلاد الإسلام، فانجلى من أهل مكّة كثير، ورحل عنها عاملها، وهو بريّة، وبلغ الكرّ [من] الحنطة ببغداد عشرين ومائة دينار، ودام ذلك شهوراً.

وفيها قتلت الأعراب منجوراً والي حمص، واستُعمل عليها بكتمر.

وفيها قُتل العلاء بن أحمد الأزديُّ عامل أذربيجان، وكان سبب قتله أنّه فُلِج، فاستعمل الخليفة مكانه أبا الرُّديني عمر بن علي، فلمّا قاربها خرج إليه العلاء، فتحاربا، فقُتل العلاء، وانهزم أصحابه، وأخذ أبو الرُّديني ما خلّفه العلاء وكان مبلغه ألفَيْ ألف وسبع مائة ألف درهم.

وحجّ بالناس إبراهيم بن محمّد بن إسماعيل المعروف ببريّة، وهو أمير مكّة. (٢٧٣/٧)

وفيها ظهر بمصر إنسان يكنّى أبا روح، واسمه سكن، وكان من أصحاب ابن الصوفيّ، واجتمع له جماعة، فقطع الطريق، وأخاف السبيل، فوجّه إليه ابن طولون جيشاً، فوقف أبو روح في أرض كثيرة الشقوق، وقد كان بها قمح فحُصد، وبقي من تبنه على الأرض ما يستر الشقوق، وقد ألفوا المشي على مثل هذه الأرض. فلمّا جاءهم الجيش لقوهم، ثمّ انهزم أصحاب أبي روح، فتبعهم عسكر ابن طولون، فوقعت حوافر خيولهم في تلك الشقوق، فسقط كثير من فرسانها عنها، وتراجع أصحاب أبي روح عليهم، فقتلوهم شرّ قتلة وانهزم الباقون أسوأ هزيمة.

فسيّر أحمد جيشاً إلى طريقهم إلى الواحات، وجيشاً في طلبه، فلقيه الجيش الذي في طلبه وقد تحصّن في مثل تلك الأرض فحذرها عسكر أحمد، فحين بطلت حيلهم انهزموا، وتبعهم العسكر، فلمّا خرجوا إلى طريق الواحات رأى أبو روح الطريق قد مُلكت عليه، فراسل يطلب الأمان، فبُذل له، وبطلت الحرب، وكُفي المسلمون شرّه.

وفيها توفّي عليُّ بن محمّد بن جعفر العلويُّ الخَمّانيُّ، وكان يسكن الخَمّانَ، فُنسب إليها.

وفيها قُتل عليُّ بن يزيد صاحب الكوفة، قتله صاحب الزنج.

وفيها كان بإفريقية وبلاد المغرب والأندلس غلاء شديد، وعمّ غيرها من البلاد، وتبعه وباء وطاعون عظيم هلك فيه كثير من الناس.

وفيها توفّي محمّد بن إبراهيم بن عبدوس، الفقيه المالكيُّ، صاحب المجموعة (٢٧٤/٧) في الفقه، وهو من أهل إفريقية.

وفيها مات مالك بن طَوْق التغلبيُّ بالرّحبة، وهو بناها، وإليه تُنسب.

وفيها توفّي الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، عليه السّلام.

وفيها توفّي أبو محمد العلويُّ العسكريُّ، وهو أحد الأئمّة الاثْنَيْ عشر، على مذهب الإماميّة، وهو والد محمّد الذي يعتقدونه المنتظر بسرداب سامرّا؛ وكان مولده سنة اثنتين وثلاثين ومائتين.

وفيها توفّي أبو عليّ الحسن بن محمّد بن الصبّاح الزعفرانيُّ، الفقيه الشافعيُّ، وهو من أصحاب الشافعيّ البغداديّين.

وفيها توفّي حسين بن إسحاق الحكيم الطبيب، وهو الذي نقل كتب الحكماء اليونانيّين إلى العربيّة، وكان عالماً بها. (٢٧٥/٧)

سنة إحدى وستين ومائتين

ذكر الحرب بين محمّد بن واصل وابن مُفلح

وفيها تحارب ابن واصل وعبد الرحمن بن مُفلح وطاشتمر.

وكان سبب ذلك أنّ ابنَ واصل كان قتل الحارث بن سيما، وتغلّب على فارس، فأضاف المعتمد فارس إلى موسى بن بُغا، والأهواز، والبصرة، والبحرين، واليمامة، مع ما كان إليه؛ فوجّه موسى عبدَ الرحمن بن مُفلح، وهو شابّ عمره إحدى وعشرون سنة، إلى الأهواز، وولاّه إيّاها مع فارس، وأضاف إليه طاشتمر؛ فلمّا علم ذلك ابن واصل، وأنّ ابن مُفلح قد سار نحوه من الأهواز، زحف إليه من فارس، فالتقيا برَامَهُرْمُزَ. وانضمّ أبو داود الصّعلوك إلى ابن واصل، فاقتتلوا، فانهزم عبد الرحمن وأُخذ أسيراً، وقُتل طاشتمر، واصطُلم عسكرهما، وغُنم ما فيه من الأموال والعدّة وغير ذلك.

وأرسل الخليفة إلى ابن واصل في إطلاق عبد الرحمن، فلم يفعل، وقتله وأظهر أنّه مات، وسار ابن واصل من رامَهُرْمُز، من بعد هذه الوقعة، مظهراً أنّه يريد واسط لحرب موسى بن بُغا، فانتهى إلى الأهواز وفيها إبراهيم بن سيما في جمع كثير، فلمّا رأى موسى شدة الأمر بهذه الناحية، وكثرة المتغلّبين عليها، وأنّه يعجز عنهم، سأل أن يُعفى، فأُجيب إلى ذلك. (٢٧٦/٧)

ذكر ولاية أبي الساج الأهواز

وفيها وليَ أبو الساج الأهواز، بعد مسير عبد الرحمن عنها إلى فارس، وأُمر بمحاربة الزنج، فسيّر صهره عبد الرحمن لمحاربة الزنج، فلقيه عليُّ بن أبان بناحية دولاب، فقُتل عبد الرحمن، وانحاز أبو الساج إلى ناحية عسكر مُكْرَم، ودخل الزنج الأهواز، فقتلوا أهلها، وسبوا وأحرقوا.

ثمّ انصرف أبو الساج عمّا كان إليه من الأهواز، وحرب الزنج، وولاّها إبراهيم بن سيما، فلم يزل بها حتّى انصرف عنها مع موسى بن بُغا.

وفيها وليَ محمّد بن أوس البلخيُّ طريق خُراسان.

ذكر عود الصّفّار إلى فارس والحرب بينه وبين ابن واصل

لمّا كان من الوقعة بين عبد الرحمن بن مُفلح وبين ابن واصل ما ذكرناه، اتّصل خبرهما إلى يعقوب الصّفّار وهو بسجستان، فتجدّد طمعه في ملك بلاد فارس، وأخْذ الأموال والخزائن والسلاح التي غنمها ابن واصل من ابن مُفلح، فسار مجدّاً.

وبلغ ابنَ واصل خبرُ قربه منه وأنّه نزل البيضاء من أرض فارس، وهو بالأهواز، فعاد عنها لا يلوي على شيء، وأرسل خاله أبا بلال مِرداساً، إلى الصّفّار، فوصل إليه، وضمن له طاعة ابن واصل، فأرسل يعقوب الصّفّار إلى ابن واصل كتباً ورسلاً في المعنى، فحبسهم ابن واصل، وسار يطلب (٢٧٧/٧) الصّفّار والرسل معه يريد أن يخفي خبره، وأن يصل إلى الصفّار بغتةً لم يعلم به، فينال منه غرضه، ويوقع به.

فسار في يوم شديد الحرّ، في أرض صعبة المسلك، وهو يظنّ أنّ خبره قد خفي عن الصفّار، فلمّا كان الظُّهر تعبت دوابّهم، فنزلوا ليستريحوا، فمات من أصحاب ابن واصل من الرجّالة كثير جوعاً وعطشاً، وبلغ خبرهم الصفّار، فجمع أصحابه وأعلمهم الخبر وسار، وقال لأبي بلال :إن ابن واصل قد غدر بنا، وحَسْبُنا اللّه ونعم الوكيل! ومضى الصفّار إلى ابن واصل، فلمّا قاربهم وعلموا به انخذلوا وضعفت نفوسهم عن مقاومته ومقاتلته، ولم يتقدّموا خطوةً، فلمّا صار بين الفريقَيْن رمية سهم انهزم أصحاب ابن واصل من غير قتال، وتبعهم عسكر الصفّار، وأخذوا منهم جميع ما غنموه من ابن مُفْلح، واستولى على بلاد فارس، ورتّب بها أصحابه وأصلح أحوالها.

ومضى ابن واصل منهزماً، فأخذ أمواله من قلعته، وكانت أربعين ألف ألف درهم، وأوقع يعقوب بأهل زمّ لأنّهم أعانوا ابن واصل، وحدّث نفسه بالاستيلاء على الأهواز وغيرها.

ذكر تجهّز أبي أحمد للمسير إلى البصرة

وفيها، في شوّال، جلس المعتمد في دار العامّة، فولّى ابنه جعفراً العهد، ولقّبه المفوّض إلى اللّه، وضمّ إليه موسى بن بُغا، فولاّه إفريقية، ومصر(٢٧٨/٧) والشام، والجزيرة، والموصل، وأرمينية، وطريق خُراسان ومِهْرجَانقذق، وولّى أخاه أبا أحمد العهد بعد جَعفر، ولقّبه الناصر لدين اللّه الموفّق. وولاّه المشرق، وبغداد، والسواد، والكوفة، وطريق مكّة والمدينة، واليمن. وكسكر، وكُور دجلة، والأهواز، وفارس، وأصبهان، وقُمّ، وكَرج. ودِينَورَ، والرَّيّ، وزنجان، والسِّنْد، وعقد لكلّ واحد منهما لواءَيْن: أسود وأبيض، وشرط إن حدث به الموت، وجعفر لم يبلغ، أن يكون الأمر للموفّق، ثمّ لجعفر بعده، وأُخذت البيعة بذلك.

فعقد جعفر لموسى على المغرب، وأُمر الموفّق أن يسير إلى حرب الزنج، فولّى الموفّق الأهواز والبصرة وكُوَر دجلة مسروراً البلخيّ، وسيّره في مقدّمته في ذي الحجّة؛ وعزم على المسير بعده، فحدث من أمر يعقوب الصّفّار ما منعه عن المسير، وسنذكره أوّل سنة اثنتين وستّين ومائتين.

وفيها فارق محمّدُ بن زيدوَيْه يعقوبَ بن الليث، وسار إلى أبي الساج، وأقام معه بالأهواز، وخلع عليه المعتمد وسأل أن يوجّه الحسين بن طاهر بن عبد اللّه بن طاهر إلى خُراسان.

وحجّ بالناس فيها الفضل بن إسحاق بن الحسن بن إسماعيل بن العبّاس بن محمّد بن عليّ بن عبد اللّه بن عبّاس؛ ومات الحسين بن أبي الشوارب بمكّة بعدما حجّ.(٢٧٩/٧)

ذكر ولاية نصر بن أحمد السامانيّ ما وراء النهر

في هذه السنة استُعمل نصر بن أحمد بن أسد بن سامان خُداه بن جثمان بن طمغاث بن نوشرد بن بهرام جوبين بن بهرام خُشنُش؛ وكان بهرام خشنش من الرَّيّ، فجعله كسرى هُرمُز بن أنوشروان مَرزُبانَ أذْرَبيجان، وقد تقدّم ذكر بهرام جوبين عند ذكر كسرى هُرمُز.

ولمّا وليَ المأمون خُراسان، واصطلح أولاد أسد بن سامان، وهم: نوح، وأحمد، ويحيى، وإلياس، بنو أسد بن سامان، قرّبهم ورفع منهم واستعملهم ورعى حقّ سلفهم؛ فلمّا رجع المأمون إلى العراق استخلف على خراسان غسّان بن عبّاد، فولّى غسّانُ نوحَ بن أسد، في سنة أربع ومائتين، سَمَرْقَنْد، وأحمدَ بن أسد فَرغَانة، ويحيى بن أسد الشاش وأُشروسَنة، وإلياس بن أسد هراة.

فلمّا وليَ طاهر بن الحسين خُراسان ولاّهم هذه الأعمال، ثمّ توفّي نوح ابن أسد، وأقرّ طاهر بن عبد اللّه أخوَيْه على عمله: يحيى، وأحمد، وكان أحمد بن أسد عفيف الطعمة، مرضيّ السيرة، لا يأخذ رشوة، ولا أحد من أصحابه، ففيه قيل، أو في ابنه نصر:

ثَوَى ثلاثين حَولاً في ولايتِهِ فجاع يومَ ثَوَى في قبرِهِ حَشَمُه (٢٨٠/٧)

وكان إلياس يلي هَراة، وله بها عَقِب وآثار كثيرة، فاستقدمه عبد اللّه ابن طاهر، وكان رسمه فيمن يستقدمه أن يعد أيّامه، فأبطأ إلياس، فكتب إليه بالمُقام حيث يلقاه كتابه، فبلغه الكتاب وقد سار عن بوشَنج، فأقام بها سنةً تأديباً له، ثمّ أذن له في القدوم عليه.

فلمّا مات إلياس بهَراة أقرّ عبد اللّه ابنه أبا إسحاق محمّد بن إلياس على عمله، فأقام بهَراة؛ وكان لأحمد بن أسد سبعة بنين، وهم : نصر، وأبو يوسف ويعقوب، وأبو زكريا يحيى، وأبو الأشعث أسد، وإسماعيل، وإسحاق، وأبو غانم حُمَيْد، ولمّا توفّي أحمد بن أسد استخلف ابنه نصراً على أعماله بسَمَرقند وما وراءها، فبقي عاملاً عليها إلى آخر أيّام الطاهريّة، وبعد زوال أمرهم إلى أن مضى لسبيله.

وكان إسماعيل بن أحمد يخدم أخاه نصراً، فولاّه نصر بخارى سنة إحدى وستين ومائتين، ومعنى قول أبي جعفر :وفي سنة إحدى وستّين [ومائتين] وليَ نصر بن أحمد ما وراء النهر، أنّه تولاّه من جانب الخليفة، وإنّما كان يتولاّه، من قبل، من عُمّال خراسان، وإلاّ فالقوم تولّوا قبل هذا التاريخ.

وكان سبب استعماله إسماعيل أنّه لمّا استولى يعقوب بن الليث على خُراسان أنفذ نصر جيشاً إلى شطّ جَيحون ليأمن عبور يعقوب، فقتلوا مقدّمهم، ورجعوا إلى بخارى، فخافهم أحمد بن عمر، نائب نصر، على نفسه، فتغيّب عنهم، فأمّروا عليهم أبا هاشم محمّد بن المبشّر بن رافع بن الليث بن نصر بن سيّار، (٢٨١/٧) ثمّ عزلوه وولّوا أحمد بن محمّد بن ليث والد أبي عبد اللّه بن جنيد، ثمّ صرفوه وولّوا الحسن بن محمّد من ولد عبدة بن حديد؛ ثمّ صرفوه، وبقيت بخارى بغير أمير، فكتب رئيسها وفقيهها أبو عبد اللّه بن أبي حفص إلى نصر يسأله توجيه من يضبط بخارى، فوجّه أخا إسماعيل، ثمّ إنّ إسماعيل كاتَبَ رافع بن هرثمة حين وليَ خراسان، فتعاقدا على التعاون والتعاضد، فطلب منه إسماعيل أعمال خوارزم فولاّه إيّاها.

وكان إسماعيل يؤامره في المكاتبة، ثمّ سعت السُّعاة بين نصر وإسماعيل فأفسدوا ما بينهما، فقصده نصر سنة اثنتين وسبعين ومائتين، فأرسل إسماعيل حَمَوَيْه بن عليّ إلى رافع بن هَرثَمة يستنجده، فسار إليه في جيش كثيف، فوافى بخارى، قال حَمَوَيْه :ففكرتُ في نفسي، وقلتُ: إن ظفر إسماعيل بأخيه فما يؤمّنني أن يقبض رافع على إسماعيل، ويتغلّب على ما وراء النهر؟ وإن لم يفعل ذلك، ووفى لإسماعيل، فلا يزال إسماعيل معترفاً بأنّه فقيد رافع وجريحه، ويحتاج [أن] يتصرّف على أمره ونهيه، فاجتمعتُ برافع خلوة، وقلتُ له : نصيحتك واجبة عليّ، وقد ظهر لي من نصر وإسماعيل ما كان خفيّاً عنّي، ولستُ آمنهما عليك، والرأي أن لا تشاهد الحرب، وتحملهما على الصلح؛ فقبل ذلك، فتصالحا، وانصرف عنهما.

قال حَمَوَيه :ثمّ إنّني أعْلَمتُ إسماعيلَ، بعد ذلك، الحالَ كيف كان، (٢٨٢/٧) فعذر رافعاً في إلزامه بالصلح، واستصوب فعل حَمَوَيه، وبقي نصر وإسماعيل مدّة، ثمّ عادت السُّعاة، ففسد ما بينهما، حتّى تحاربا سنة خمس وسبعين ومائتين، فظفر إسماعيل بأخيه نصر، فلمّا حُمل إليه ترجّل له إسماعيل، وقبّل يديه، وردّه من موضعه إلى سَمَرْقند، وتصرّف على النيابة عنه ببخارى.

وكان إسماعيل خيّراً، يحبّ أهل العلم والدين، ويكرمهم، ويبركتهم دم مُلكه وملك أولاده وطالت أيّامهم.

حكى أبو الفضل محمّد بن عبد اللّه البلعميُّ قال : سمعتُ الأمير أبا إبراهيم إسماعيل بن أحمد يقول :كنتُ بسمرقند، فجلستُ يوماً للمظالم، وجلس أخي إسحاق إلى جانبي، فدخل أبو عبد اللّه

محمّد بن نصر الفقيه الشافعيُّ، فقمتُ له إجلالاً لعلمه ودينه، فلمّا خرج عاتبني أخي إسحاق، وقال : أنت أمير خُراسان، يدخل عليك رجل من رعيّتك فتقوم له، فتذهب السياسة بهذا.

قال :فبتُّ تلك الليلة، فرأيت النبيّ ﷺ في المنام وكأني واقف وأخي إسحاق؛ فأقبل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، فأخذ بعضدي فقال لي: يا إسماعيل! ثبت ملكك وملك بيتك لإجلالك لمحمّد بن نصر. ثمّ التفت إلى إسحاق وقال : ذهب ملك إسحاق وملك بيته باستخفافه بمحمّد بن نصر.

وكان محمّد بن نصر هذا من العُلماء بالفقه على مذهب الشافعيّ، العاملين بعلمه، المصنّفين فيه، وسافر إلى البلاد في طلب العلم، وأخذ العلم بمصر من أصحاب الشافعيّ يونُس بن عبد الأعلى، والربيع بن سليمان، ومحمّد بن عبد اللّه بن الحكم، وصحب الحارثَ المحاسبيَّ وأخذ عنه علم المعاملة، وبرز فيه أيضاً.(٢٨٣/٧)

ذكر عصيان أهل برقة

وفي هذه السنة عصى أهل بَرقةَ على أحمد بن طولون، وأخرجوا أميرهم محمّد بن الفَرَج الفَرْغانيَّ، فبعث ابن طولون جيشاً عليهم غلامه لؤلؤ، وأمره بالرفق بهم، واستعمال اللين، فإن انقادوا وإلاّ السيف.

فسار العسكر حتّى نزلوا على بَرْقَة، وحصروا أهلها، وفعلوا ما أمرهم من اللين، فطمع أهل برقة، وخرجوا يوماً على بعض العسكر، وهم نازلون على باب البلد، فأوقعوا بهم وقتلوا منهم.

فأرسل لؤلؤ إلى صاحبه أحمد يعرّفه الخبر، فأمره بالجدّ في قتالهم، فنصب عليهم المجانيق، وجدّ في قتالهم، وطلبوا الأمان، فأمّنهم، ففتحوا له الباب، فدخل البلد، وقبض على جماعة من رؤسائهم، وضربهم بالسياط، وقطع أيدي بعضهم، وأخذ معه جماعة منهم وعاد إلى مصر، واستعمل على بَرْقة عاملاً.

ولمّا وصل لؤلؤ إلى مصر خلع عليه أحمد خلعة فيها طَوقان، فوضعها في رقبته، وطيف بالأسرى في البلد.

ذكر ولاية إبراهيم بن أحمد إفريقية

في هذه السنة توفي محمّد بن أحمد بن الأغلب، صاحب إفريقية، سادس جُمادى الأولى، وكانت ولايته عشر سنين، وخمسة أشهر وستّة عشر يوماً.(٢٨٤/٧)

ولمّا حضره الموت عقد لابنه أبي عقال العهد واستخلف أخاه إبراهيم لئلا ينازعه، وأشهد عليه آل الأغلب ومشايخ القَيروان، وأمره أن يتولّى الأمر إلى أن يكبر ولده، فلمّا مات أتى أهلُ القيروان إبراهيمَ وسألوه أن يتولّى أمرهم، لحسن سيرته وعدله، فلم يفعل، ثمّ أجاب، وانتقل إلى قصر الإمارة، وباشر الأمور، وقام بها قياماً مرضيّاً.

وكان عادلاً، حازماً في أموره أمّن البلاد، وقتل أهل البغي والفساد، وكان يجلس للعدل في جامع القيروان يوم الخميس والاثنين، يسمع شكوى الخصوم، ويصبر عليهم، وينصف بينهم.

وكان القوافل والتجار يسيرون في الطرق آمنين.

وبنى الحصون والمحارس على سواحل البحر، حتّى كان يوقد النار من سَبَتة فيصل الخبر إلى الإسكندريّة في الليلة الواحدة، وبني على سُوسة سوراً، وعزم على الحجّ، فردّ المظالم، وأظهر الزُّهد والنُسك، وعلم أنّه إن جعل طريقه إلى مكّة على مصر منعه صاحبها ابن طولون، فتجري بينهما حرب، فيُقتل المسلمون، فجعل طريقه على جزيرة صِقلّية ليجمع بين الحجّ والجهاد، ويفتح ما بقي من حصونها، فأخرج جميع ما ادُّخره من المال والسلاح وغير ذلك، وسار إلى سوسة فدخلها وعليه فرو مرقّع في زيّ الزُّهاد، أوّل سنة تسع وثمانين ومائتين، وسار منها، في الأسطول، إلى صِقلّية.(٢٨٥/٧)

وسار إلى مدينة يرطينوا فملكها سلخ رجب، وأظهر العدل، وأحسن إلى الرعيّة، وسار إلى طَبَرْمِين، فاستعدّ أهلها لقتاله، فلمّا وصل خرجوا إليه والتقوا، فقرأ القارىء: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾ [الفتح:١] فقال الأمير اقرأ : ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج:١٩]؛ فقرأ، فقال : اللهمّ إنّي أختصم أنا والكفّار إليك في هذا اليوم! وحمل، ومعه أهل البصائر، فهزم الكفّار، وقتلهم المسلمون كيف شاؤوا، ودخلوا معهم المدينة عنوة، فركب بعض مَنْ بها من الروم مراكب فهربوا فيها.

والتجأ بعضهم إلى الحصن وأحاط بهم المسلمون وقاتلوهم، فاستنزلوهم قهراً، وغنموا أموالهم، وسبوا ذراريهم، وذلك لسبع بقين من شعبان، وأمر بقتل المقاتلة، وبيع السَّبي والغنيمة.

ولمّا اتصل الخبر بفتح طَبَرْمِين إلى ملك الروم عظم عليه، وبقي سبعة أيّام لا يلبس التاج، وقال : لا يلبس التاج محزونٌ. وتحركت الروم، وعزموا على المسير إلى صِقلّية لمنعها من المسلمين، فبلغهم أنّه سائر إلى القُسطنطينيّة، فترك الملكُ بها عسكراً عظيماً، وسيّر جيشاً كثيراً إلى صِقلّية.

وأمّا الأمير إبراهيم فإنّه لمّا ملك طَبَرْمِين بثّ السرايا في مدن صِقلّية التي بيد الروم، وبعث سريّة إلى ميقش، وسريّة إلى دَمَنْش، فوجدوا أهلها قد أجلوا عنها، فغنموا ما وجدوا بها.

وبعث طائفة إلى رَمْطَة، وطائفة إلى الياج، فأذعن القوم جميعاً

إلى أداء الجزية، فلم يجبهم إلى ذلك، ولم يقبل منهم غير تسليم الحصون، ففعلوا،(٢٨٦/٧) فهدمها، وسار إلى كسنتة، فجاءته الرسل منها يطلبون الأمان فلم يجبهم.

وكان قد ابتدأ به المرض، وهو علّة الذرب، فنزلت العساكر على المدينة، فلم يجدّوا في قتالها لغيبة الأمير عنهم، فإنّه نزل منفرداً لشدّة مرضه، وامتنع منه النوم، وحدث به الفواق، وتُوفّي ليلة السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة تسع وثمانين ومائتين، فاجتمع أهل الرأي من العسكر أن يولّوا أمرهم أبا مضر بن أبي العبّاس عبد اللّه ليحفظ العساكر، والأموال، والخزائن، إلى أن يصل إلى ابنه بإفريقية، وجعلوا الأمير إبراهيم في تابوت، وحملوه إلى إفريقية، ودفنوه بالقيروان، رحمه اللّه.

وكانت ولايته خمساً وعشرين سنة، وكان عاقلاً، حسن السيرة، محبّاً للخير والإحسان، تصدّق بجميع ما يملك، ووقف أملاكه جميعها؛ وكان له فطنة عظيمة بإظهار خفايا العملات، فمن ذلك أنّ تاجراً من أهل القَيروان كانت له امرأة جميلة صالحة عفيفة، فاتّصل خبرها بوزير الأمير إبراهيم، فأرسل إليها، فلم تجبه، فاشتدّ غرامه بها، وشكا حاله إلى عجوز كانت تغشاه، وكانت أيضاً لها من الأمير منزلة، ومن والدته منزلة كبيرة، وهي موصوفة عندهم بالصلاح، يتبرّكون بها، ويسألونها الدُّعاء، فقالت للوزير: أنا أتلطّف بها، وأجمع بينكما.

وراحت إلى بيت المرأة، فقرعت الباب وقالت: قد أصاب ثوبي نجاسة أريد تطهيرها؛ فخرجت المرأة ولقيتها فرحبّت بها، وأدخلتها، وطهّرت ثوبها، وقامت العجوز تصلّي، فعرضت المرأة عليها طعام، فقالت:(٢٨٧/٧)إنّي صائمة، ولا بدّ من التردّد إليك؛ ثمّ صارت تغشاها، ثمّ قالت لها: عندي يتيمة أريد أن أحملها إلى زوجها، فإن خفّ عليك إعارة حليك أجمّلها به فعَلْتِ.

وأحضرتْ جميع حليها وسلّمته إليها، فأخذته العجوز وانصرفت، وغابت أياماً، وجاءت إليها، فقالت لها: أين الحلي؟ فقالت: هو عند الوزير عبرتُ عليه وهو معي فأخذه منّي، وقال لا يسلّمه إلاّ إليك. فتنازعتا، وخرجت العجوز، وجاء التاجر زوج المرأة، فأخبرته الخبر، فحضر دارَ الأمير إبراهيم وأخبره بالخبر، فدخل الأمير إلى والدته، وسألها عن العجوز، فقالت: هي تدعو لك؛ فأمر بإحضارها ليتبرّك بها، فأحضرتها والدته، فلمّا رآها أكرمها وأقبل عليها وانبسط معها.

ثمّ إنّه أخذ خاتماً من إصبعها وجعل يقلّبه ويعبث به، ثمّ إنّه أحضر خصيّاً له وقال له: انطلق إلى بيت العجوز، وقلْ لابنتها تسلّم الحُقّ الذي فيه الحلي، وصفته كذا، وهو كذا وكذا، وهذا الخاتم علامة منها.

فمضى الخادم وأحضر الحُقّ، فقال للعجوز: ما هذا؟ فلمّا رأت الحقّ سقط في يدها، وقتلها، ودفنها في الدار، وأعطى الحُقّ لصاحبه، وأضاف إليه شيئاً آخر، وقال له: أمّا الوزير فإن انتقمتُ منه الآنَ ينكشف الأمر، ولكن سأجعل له ذنباً آخذه به؛ فتركه مُدّة يسيرة، وجعل له جُرماً آخذه به فقتله.(٢٨٨/٧)

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة استعمل المعتمدُ على اللّه، الخليفة على أذْرَبيجان، محمّدَ بن عمر بن عليّ بن مرا الطائيَّ الموصليَّ، فسار إليها، وجمع معه جموعاً كثيرة من خوارج وغيرهم، وكان على أذربيجان العلاء بن أحمد الأزديُّ، وهو مفلوج فخرج في محفّة ليمنع محمّد بن عمر، فقاتله، فانهزم عسكر العلاء، وأُخذ أسيراً، واستوى محمّد بن عمر بن عليّ على قلعة العلاء، وأخذ منها ثلاثة آلاف ألف درهم، ومات العلاء في يده.

وفيها استعمل المعتمدُ على اللّه على الموصل الخضرَ بن أحمد بن عمر بن الخطّاب التغلبيَّ الموصليَّ.

وفيها رجع الحسن بن زيد إلى طَبَرِسْتان، وأحرق شالوس لممالأة أهلها ليعقوب، وأقطع ضياعهم للديالمة.

وفيها أمر المعتمد بجمع حاجّ خُراسان، والرّيّ، وطَبَرِستان، وجُرجان، وأعلمهم أنّه لم يولِّ يعقوبَ خراسان، ولم يكن دخوله خراسان وأسره محمّد ابن طاهر بأمره.

وفيها قَتَلَ مُساورٌ الشاري يحيى بن جعفر الذي كان يلي خراسان، فسار مسرور البلخيُّ في طلبه، وتبعه أبو أحمد، وهو الموفّق بن المتوكّل، فسار مُساور من بين أيديهما فلم يدركاه.

وفيها هرب ابن مَروان الجلّيقيُّ من قُرطُبة، فقصد قلعة الخنش، فملكها وامتنع بها، فسار إليه محمّد، صاحب الأندلس، فحصره ثلاثة أشهر،(٢٨٩/٧)فضاق به الأمر، حتّى أكل دوابّه، فطلب الأمان، فأمّنه محمّد، فسار إلى مدينة بَطَلْيُوس.

وفيها عصى أهلُ تاكَرنّا مع أسد بن الحارث بن رافع، فغزاهم جيش محمّد، صاحب الأندلس، وقاتلهم، فعادوا إلى الطاعة.

وفيها توفّي أبو هاشم داود بن سليمان الجعفريُّ؛ والحسن بن محمّد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، قاضي القضاة، وكان موته في رمضان؛ وأبو الحسين مسلم بن الحجّاج النَّيسابوريُّ، صاحب الصحيح؛ وعبد العزيز بن خَيّان الموصليُّ، وكان كثير الحديث؛ والنظر بن الحسن الفقيه الحنفيُّ، وكان من الموصل أيضاً.(٢٩٠/٧)

سنة اثنتين وستين ومائتين

ذكر الحرب بين الموفّق والصفّار

في هذه السنة، في المحرّم، سار الصفّار من فارس إلى الأهواز، فلمّا بلغ المعتمدَ إقباله أرسل إليه إسماعيل بن إسحاق ويُفْراج، وأطلق من كان في حبسه من أصحاب يعقوب، فإنّه كان حبسهم لمّا أخذ يعقوبُ محمّدَ بن طاهر بن الحسين. وعاد إسماعيل برسالة من عند يعقوب، فجلس أبو أحمد ببغداد، وكان قد أخّر مسيره إلى الزنج لما بلغه من خبر يعقوب، وأحضر التجار، وأخبرهم بتولية يعقوب خُراسان، وجُرجان، وطَبَرِستان، والرَّيّ، وفارس، والشُّرطة ببغداد، وكان بمحضر من دِرْهم، صاحب يعقوب كان يعقوب قد أرسله يطلب لنفسه ما ذكرنا، وأعاده أبو أحمد إلى يعقوب ومعه عمر بن سيما، بما أضيف إليه من الولايات.

فعاد الرسل من عند يعقوب يقولون: إنّه لا يرضيه ما كتب به دون أن يسير إلى باب المعتمد! وارتحل يعقوب من عَسكر مُكْرَم، وسار إليه أبو الساج، وصار معه، فأكرمه، وأحسن إليه ووصله.

فلمّا سمع المعتمد رسالة يعقوب خرج من سامَرّا في عساكره، وسار إلى بغداد، ثمّ إلى الزَّعفرانيّة، فنزلها، وقدّم أخاه الموفّق، وسار يعقوب من(٢٩١/٧) عسكر مُكْرَم إلى واسِط، فدخلها لستّ بقين من جُمادى الآخرة، وارتحل المعتمد من الزّعفرانيّة إلى سيب بني كوما، فوفاه هناك مسرور البلخيُّ عائداً من الوجه الذي كان فيه، وسار يعقوب من واسط إلى دير العاقول؛ وسيّر المعتمد أخاه الموفّق في العساكر لمحاربة يعقوب، فجعل الموفّق على ميمنته موسى بن بُغا، وعلى ميسرته مسرورٌ البلخيُّ، وقام هو في القلب.

والتقيا، فحملت ميسرة يعقوب على ميمنة الموفّق فهزمتها، وقتلت منها جماعة من قوّادهم، منهم إبراهيم بن سيما وغيره، ثمّ تراجع المنهزمون، وكشف أبو أحمد الموفّق رأسه وقال: أنا الغلام الهاشميُّ! وحمل، وحمل معه سائر عسكره على عسكر يعقوب، فثبتوا، وتحاربوا حرباً شديدة، وقُتل من أصحاب يعقوب جماعة منهم الحسن الدِّرهميُّ، وأصابت يعقوبَ ثلاثة أسهم في حلقه ويديه، ولم تزل الحرب إلى آخر وقت العصر، ثمّ وافى أبا أحمد الموفّق الدّيرانيُّ، ومحمّد بن أوس، فاجتمع جميع من بقي في عسكره، وقد ظهر من أصحاب يعقوب كراهة للقتال معه، إذ رأوا الخليفة يُقاتله، فحملوا على يعقوب ومن قد ثبت معه للقتال، فانهزم أصحاب يعقوب، وثبت يعقوب في خاصّة أصحابه، حتّى مضوا، وفارقوا موضع الحرب، وتبعهم أصحاب الموفّق، فغنموا ما في عسكرهم، وكان فيه من الدوابّ والبغال أكثر من عشرة آلاف، ومن الأموال ما يُكِلّ عن حمله، ومن جُرُبِ المسك أمر عظيم، وتخلّص محمّد بن طاهر، وكان مثقلاً بالحديد، وخلع عليه الموفّق، وولاّه الشُّرطة ببغداد بعد ذلك.

وسار يعقوب من الهزيمة إلى خُوزِستان، فنزل جُنْدَيْسَابور، وراسله العلويُّ البصريُّ يحثّه على الرجوع إلى بغداد، ويعده المساعدة، فقال لكاتبه: (٢٩٢/٧) اكتب إليه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١-٢] السورة، وسيّر الكتاب إليه.

وكانت الوقعةلإحدى عشرة خلت من رجب؛ وكتب المعتمد إلى ابن واصل بتوليته فارس، وكان قد سار إليها وجمع جماعة فغلب عليها، فسيّر إليه يعقوب عسكراً عظيماً عليهم ابن عزيز بن السرّيّ إلى فارس، واستولى عليها، ورجع المعتمد إلى سامرّا.

وأما أبو أحمد الموفّق فإنّه سار إلى واسط ليتبع الصفّار، وأمر أصحابه بالتجهّز لذلك، فأصابه مرض، فعاد إلى بغداد ومعه مسرور، وقبض ما لأبي الساج من الضِّياع والمنازل، وأقطعها مسروراً البلخيَّ، وقدم محمّد بن طاهر بغداد.

ذكر اخبار الزنج

وفيها نفذ قائد الزّنج جيوشه إلى ناحية البَطِيحة ودَسْتَ مَيسان.

وكان سبب ذلك أنّ تلك النواحي، لمّا خلت من العساكر السلطانيّة بسبب عود مسرور لحرب يعقوب، بثّ صاحب الزنج سراياه فيها، تنهب، وتخرب.

وأتته الأخبار بخلوّ البطيحة من جند السلطان، فأمر سليمان بن جامع وجماعة من أصحابه بالمسير إلى الحوانيت، وسليمان بن موسى بالمسير إلى القادسيّة. (٢٩٣/٧) وقدم ابن التركيّ في ثلاثين شَذاة يريد عسكر الزنج، فنهب، وأحرق، فكتب الخبيث إلى سليمان بن موسى يأمره بمنعه من العبور، فأخذ سليمان عليه الطريق، فقاتلهم شهراً حتّى تخلّص، وانحاز إلى سليمان بن جامع من مذكوري البلاّليّة، وأنجادهم، وجمعٌ كثير في خمسين ومائة سُمَيْريّة، وكان مسرور قد وجّه قبل مسيره عن واسط إلى المعتمد جماعة من أصحابه إلى سليمان في شذوات، فظفر بهم سليمان، وهزمهم، وأخذ منهم سبع شذوات وقتل من أسر منهم.

وأشار الباهليّون على سليمان أن يتحصّن في عَقر، ما وراء طهثا، والأدغال التي فيها، وكرهوا خروجه عنهم لموافقته في فعله، وخافوا السلطان، فسار إليه، فنزل بقرية مَروان، بالجانب الشرقيّ من نهر طهثا، وجمع إليه رؤساء الباهليّين، وكتب إلى الخبيث يعلمه بما صنع، فكتب إليه يصوّب رأيه، ويأمره بإنفاذ ما عنده من ميرة ونَعَم، فأنفذ ذلك إليه.

وورد على سليمان أنّ أغَرْتمِش وحشيشاً قد أقبلا في الخيل والرجال، والسُّمَيريّات والشُّذا، يريدون حربه، فجزع جزعاً شديداً؛ فلمّا أشرفوا عليه ورآهم أخذ جمعاً من أصحابه وسار راجلاً، واستدبر أغرتمش، وجدّ أغرتمش في المسير إلى عسكر سليمان، وكان سليمان قد أمر الذي استخلفه من جيشه أن لا يظهر منهم أحد لأصحاب أغرتمش، وأن يخفوا أنفسهم ما قدروا إلى أن يسمعوا أصوات طبولهم، فإذا سمعوها خرجوا عليه.

وأقبل أغرتمش إليهم، فجزع أصحاب سليمان جزعاً عظيماً، فتفرّقوا، ونهضت شِرذمة منهم، فواقعوهم، وشغلوهم عن دخول العسكر، وعاد(٢٩٤/٧) سليمان من خلفهم، وضرب طبوله، وألقوا أنفسهم في الماء للعبور إليهم، فانهزم أغرتمش وظهر من كان من السودان بطهثا، ووضعوا السيوف فيهم وقُتل حشيش، وانهزم أغرتمش، وتبعه الزنوج إلى عسكره، فنالوا حاجاتهم منه، وأخذوا منهم شذوات فيها مال وغيره، فعاد أغرتمش فانتزعها من أيديهم، فعاد سليمان وقد ظفر وغنم، وكتب إلى صاحب الزنج بالخبر، وسيّر إليه رأس حشيش، فسيّره إلى عليّ بن أبان، وهو بنواحي الأهواز، وسيّر سليمان سريّة، فظفروا بإحدى عشرة شذاة، وقتلوا أصحابها.

ذكر وقعة للزنج عظيمة انهزموا فيها

وفيها كانت وقعة للزنوج مع أحمد بن ليثويْه؛ وكان سببها أنّ مسروراً البلخيّ وجّه أحمد بن ليثويْه إلى كُوَر الأهواز، فنزل السُّوس، وكان يعقوب الصَّفّار قد قلّد محمّدَ بن عُبيد الله بن هَزارمرد الكُرديّ كُوَرَ الأهواز، فكاتب محمّدٌ قائدَ الزنج يُطمعه في الميْل إليه، وأوهمه أنّه يتولّى له كُور الأهواز.

وكان محمّد يكاتبه قديماً، وعزم على مُداراة الصَّفّار، وقائد الزنج، حتّى يستقيم له الأمر فيها، فكاتبه صاحب الزنج يجيبه إلى ما طلب على أن يكون عليُّ بن أبان المتولّي للبلاد، ومحمّد بن عبيد الله يخلفه عليها، فقبل محمّد ذلك، فوجّه إليه عليُّ بن أبان جيشاً كثيراً، وأمدّهم محمّد بن عبيد الله، فساروا نحو السوس، فمنعهم أحمد بن ليثويْه ومن معه من جند الخليفة عنها، وقاتلهم (٢٩٥/٧) فقتل منهم خلقاً كثيراً، وأسر جماعة.

وسار أحمد حتّى نزل سابور، وسار عليُّ بن أبان من الأهواز ممدّاً محمّد بن عبيد الله على أحمد بن ليثويْه، فلقيه محمّد في جيش كثير من الأكراد والصعاليك، ودخل محمّد تُستَر، فانتهى إلى أحمد بن ليثويْه الخبر بتضافرهما على قتاله، فخرج عن جُنْدَيْسابور إلى السوس.

وكان محمّد قد وعد عليَّ بن أبان أن يخطب لصاحبه قائد الزنج، يوم الجمعة، على منبر تُستَر، فلمّا كان يوم الجمعة خطب للمعتمد وللصفّار، فلمّا علم عليُّ بن أبان ذلك انصرف إلى الأهواز، وهدم قنطرة كانت هناك لئلا تلحقه الخيل، فانتهى أصحاب عليّ إلى عسكر مُكْرَم فنهبوها، وكانت داخلة في سِلم الخبيث، فغدروا بها وساروا إلى الأهواز.

فلمّا علم أحمد ذلك أقبل إلى تُستَر، فواقع محمّدَ بن عُبيد الله ومن معه، فانهزم محمّد بن عبيد الله، ودخل أحمد تُستَر، وأتت الأخبارُ عليَّ بن أبان بأن أحمد على قصدك، فسار إلى لقائه ومحاربته، فالتقيا، واقتتل العسكران، فاستأمن إلى أحمد جماعة من الأعراب الذين مع عليّ بن أبان، فانهزم باقي أصحاب عليّ، وثبت معه جماعة يسيرة، واشتدّ القتال، وترجّل عليُّ بن أبان وباشر القتال راجلاً، فعرفه بعض أصحاب أحمد فأنذر الناسَ به، فلمّا عرفوه انصرف هارباً، وألقى نفسه في المسرقان، فأتاه بعض أصحابه بسُمَيْريّة، فركب فيها ونجا مجروحاً، وقُتل من أبطال أصحابه جماعة كثيرة.(٢٩٦/٧)

ذكر أخبار أحمد بن عبد الله الخُجُسْتَانيّ

كان أحمد بن عبد الله الخُجُسْتانيُّ من خُجُسْتانَ، وهي من جبال هَراة من أعمال بَاذَغِيسَ، وكان من أصحاب محمّد بن طاهر، فلمّا استولى يعقوب بن اللّيث على نَيسابور، على ما ذكرناه، ضمّ أحمد إليه وإلى أخيه عليّ بن الليث، وكان بنو شرْكُب ثلاثة إخوة: إبراهيم، وأبو حفص يَعْمَر، وأبو طَلحة منصور، بنو مسلم، وكان أسنّهم إبراهيم، وكان قد أبلى بين يدي يعقوب عند مواقعة الحسن بن زيد بجُرجان، فقدّمه، فدخل عليه يوماً نَيسابور، وهو يوم فيه برد شديد، فخلع عليه يعقوب وبرّ سمّور كان على كتفه، فحسده عليه الخُجُسْتانيُّ فقال له: إن يعقوب يريد الغدر بك، لأنّه لا يخلع على أحد من خاصّتِه خلعة إلاّ غدر به.

فغمّ ذلك إبراهيم، وقال: كيف الحيلة في الخلاص؟ قال: الحيلة أن نهرب جميعاً إلى أخيك يَعْمَر، فإنّي خائف عليه أيضاً. وكان يعمر قد حاصر أبا داود الناهجوزيّ ببلخ، ومعه نحو من خمسة آلاف رجل، فاتّفقا على الخروج ليلتهم، فسبقه إبراهيم إلى الموعد، فانتظره ساعةً فلم يره، فسار نحو سَرْخَس، وذهب الخُجُسْتانيُّ إلى يعقوب فأعلمه، فأرسله في أثره، فلحقوه بَسَرْخَس فقتلوه، ومال يعقوب إلى الخُجُسْتانيّ. (٢٩٧/٧)

فلمّا أراد يعقوب العود إلى سِجِسْتان استخلف على نَيسابور عزيز بن السرّيّ، وولّى أخاه عمرو بن الليث هَراة، فاستخلف عمرو عليها طاهر بن حفص الباذَغِيسيُّ، وسار يعقوب إلى سِجِستان سنة إحدى وستّين ومائتين، وأحبّ الخُجُسْتانيُّ التخلّف لِما كان يُحدّث به نفسه، فقال لعليّ بن الليث: إنّ أخويك قد اقتسما خُراسان، وليس لك بها مَنْ يقوم بشغلك، فيجب أن تردّني

إليها لأقوم بأمورك؛ فاستأذن أخاه يعقوب في ذلك، فأذن له، فلمّا حضر أحمد يودّع يعقوب أحسن له القول، وردّه وخلع عليه، فلمّا ولّى عنه قال يعقوب: أشهد أنّ قفاه قفا مستعصٍ، وأنّ هذا آخر عهدنا بطاعته، فلمّا فارقهم جمع نحواً من مائة رجل فورد بهم بُشْتَ نيسابور، فحارب عاملها، وأخرجه عنها، وجباها، ثمّ خرج إلى قومس، فقتل بِسْطَامَ مقتله عظيمة، وتغلّب عليها وذلك سنة إحدى وستّين ومائتين.

وسار إلى نيسابور، وبها عزيز بن السرّيّ، فهرب عزيز، وأخذ أحمد أثقاله، واستولى على نَيسابور يدعو إلى الطاهريّة، وذلك أوّل سنة اثنتين وستّين ومائتين، وكتب إلى رافع بن هَرْثَمة يستقدمه، فقدم عليه، فجعله صاحب جيشه، وكتب إلى يَعْمَر بن شركب، وهو يحاصر بلخ، يستقدمه ليتّفقا على تلك البلاد، فلم يثق إليه يَعْمَر لفعله بأخيه، وسار يعمر إلى هراة، فحارب طاهر بن حفص فقتله، واستولى على أعمال طاهر، فسار إليه أحمد، فكانت بينهما مناوشات. (٢٩٨/٧)

وكان أبو طلحة بن شركب غلاماً من أحسن الغلمان، وكان عبد اللّه ابن بلال يميل إليه، وهو أحد قوّاد يعمر، فراسل الخُجُسْتانيُّ، وأعلمه أنّه يعمل ضيافة ليعمر وقوّاده، ويدعوهم إليه يوماً ذكره، ويأمره بالنهوض إليهم فيه، فإنّه يساعده، وشرط عليه أن يسلّم إليه أبا طلحة، فأجابه أحمد إلى ذلك، فصنع ابن بلال طعاماً، ودعا يعمر وأصحابه، وكبسهم أحمد، وقبض على يعمر، وسيّره إلى نائبه بنَيسابور فقتله، واجتمع إلى أبي طلحة جماعة من أصحاب أخيه فقتلوا ابن بلال وساروا إلى نيسابور وكان بها الحسين بن طاهر أخو محمّد بن طاهر قد وردها من أصبهان، طمعاً أن يخطب لهم أحمد كما كان يظهره من نفسه، فلم يفعل، فخطب له أبو طلحة بها، وأقام معه، فسار إليه الخُجُسْتانيُّ، من هَراة في اثني عشر ألف عنان، فأقام على ثلاث مراحل من نيسابور، ووجّه أخاه العبّاس إليها، فخرج إليه أبو طلحة، فقاتله، فقُتل العبّاس وانهزم أصحابه.

فلمّا بلغ خبرهم إلى أحمد عاد إلى هَراة، ولم يعلم لأخيه خبراً، فبذل الأموال لمن يأتيه بخبره، فلم يقدم أحد على ذلك، وأجابه رافع بن هَرْثمة إليه، فاستأمن إلى أبي طلحة فأمّنه وقرّبه ووثق إليه، وتحقّق رافع خبر العبّاس، فأنهاه إلى أخيه أحمد، وأنفذه أبو طلحة إلى بيهق وبُست ليجبي أموالها لنفسه، وضمّ إليه قائدَيْن، فجبى رافع الأموال، وقبض على القائدَيْن، وسار إلى الخُجُسْتانيّ، إلى قرية من قرى خَوافَ، فنزلها وبها حَلْبي بن يحيى الخارجيُّ،(٢٩٩/٧) فنزل ناحية عنه.

فبلغ الخبر إلى أبي طلحة، فركب مجدّاً، فوصل إليهم ليلاً، فأوقع بحَلْبي وأصحابه، وهو يظنّه رافعاً، وهرب رافع سالماً، وعلم أبو طلحة بحال حلْبي بعد حرب شديدة، فكفّ عنه، وأحسن إليه وإلى أصحابه.

ثمّ وجّه أبو طلحة جيشاً إلى جُرجان، وبها ثابت بن الحسن بن زيد، ومعه الدّيْلم، وكان على جيش أبي طلحة إسحاق الشاري، فحاربوا الدّيْلم بجُرجان، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وأجلوهم عنها، وذلك في رجب سنةثلاث وستّين ومائتين.

ثمّ عصى إسحاق على أبي طلحة، فسار إليه أبو طلحة، واشتغل في طريقه باللّهو والصيد، فكبسه إسحاق وقتل أصحابه، وانهزم أبوطلحة إلى نَيسابور، فاستضعفه أهلها، فأخرجوه منها، فنزل على فرسخ عنها، وجمع جمعاً وحاربهم، ثمّ افتعل كتاباً عن أهل نَيسابور إلى إسحاق، يستقدمونه إليهم، ويعدونه المساعدة على أبي طلحة، فاغترّ إسحاق بذلك، وكتب أبو طلحة عن إسحاق كتاباً إلى أهل نَيسابور يعدهم أنّه يساعدهم على أبي طلحة، ويأمرهم بحفظ الدروب، وترْك مقاربة البلد إلى أن يوافيهم، فاغترّوا بذلك، وظنّوه كتابه، ففعلوا ما أمرهم.

وسار إسحاق مجدّاً، فلمّا قارب نَيسابور لقيه أبو طلحة، فغافصه، فطعنه أبو طلحة، فألقاه عن فرسه في بئر هناك، فلم يُعلم له خبر، وانهزم أصحابه، ودخل بعضهم إلى نَيسابور، وضيّق عليهم أبو طلحة، فكاتبوا الخُجُسْتانيَّ واستقدموه من هَراة، فأتاهم في يومين وليلتين، وورد عليهم ليلاً، ففتحوا له الأبواب، ودخلها وسار عنها أبو طلحة إلى الحسن بن زيد، فأمدّه (٣٠٠/٧)بجنود، فعاد إلىنَيسابور، فلم يظفر بشيء، فسار إلى بَلخ، وحصر أبا داود الناهجوزيّ، واجتمع معه خلق كثير، وذلك سنة خمس وقيل ستّ وستّين ومائتين.

وسار الخُجُسْتانيُّ إلى محاربة الحسن بن زيد لمساعدته أبا طلحة، فاستعان الحسن بأهل جُرجان، فأعانوه، فحاربهم الخُجُسْتانيُّ فهزمهم، وأغار عليهم، وجباهم أربعة آلاف ألف درهم، وذلك في رمضان سنة خمس وستّين [ومائتين].

واتّفق أنّ يعقوب بن الليث توفّي سنة خمس وستّين [ومائتين] أيضاً، وولّي مكانه أخوه عمرو، فعاد إلى سِجستان وقصد هَراة، فعاد الخُجُسْتانيُّ من جُرجان إلى نَيسابور، ووافاه عمرو بن الليث، فاقتتلا، وانهزم عمرو ورجع إلى هَراة، وأقام أحمد بنَيسابور، وكان كيكان، وهو يحيى بن محمّد بن يحيى الذُّهْليُّ، وجماعة من المتطوّعة والفقهاء بنَيسابور يميلون إلى عمرو لتولية السلطان إيّاه، فرأى الخُجُسْتانيُّ أن يوقع بينهم ليشتغل بعضهم ببعض، وأحضر منهم جماعة من الفقهاء القائلين بمذاهب أهل العراق، فأحسن إليهم، وقرّبهم، وأكرمهم، وأظهروا الخلاف على كيكان، ونابذوه.

وكان كيكان يقول بمذهب أهل المدينة، فكُفي شرّهم، وسار إلى هَراة فحصر بها عمرو بن الليث سنة سبع وستّين [ومائتين]، فلم يظفر بشيء، فسار نحو سِجستان فحصر في طريقه رمل سي فلم يظفر بشيء منها، فاحتال حتّى استمال رجلاً قطّاناً كانت داره إلى جانب السور، ووعده أن ينقب من العسكر إلى داره، ويخرج أصحابه إلى البلد، فاستأمن رجلان إلى البلد من أصحاب (٣٠١/٧) الخجستانيّ وذكرا الخبر لصاحبه، فأخذ القطّان وأُخربت داره، وبطل ما كان الخجستانيُّ عزم عليه.

وكان خليفة الخُجُسْتانيّ بنَيسابور قد أساء السيرة وقوّى العيّرين أهل الفساد، فاجتمع الناس إلى كيكان، فثار على نائبه، وأعانهم عمرو بن الليث بجنده، فقبضوا على خليفة الخُجُستانيّ، وأقام أصحاب عمرو بنَيسابور، فبلغ الخبر إلى أحمد، فوافى نَيسابور، فخرج عنها كيكان وغيره، فردّهم أصحاب أحمد الخُجُسْتانيّ، فقتل منهم جماعة، وغيّبَ كيكان، فلم يظهر إلاّ بعد مدّة ميّتاً، وقد بنى عليه حائطاً فمات فيه.

وأقام أحمد بنَيسابور تمامَ سنة سبع وستّين ومائتين؛ ثمّ إنّ عَمراً كاتب أبا طلحة، وهو يحاصر بَلخ، يستقدمه إلى هَراة، فأتاه، فأكرمه وأعطاه مالاً عظيماً، ووعده وتركه بخراسان، وعاد إلى سِجستان؛ فسار أحمد إلى سَرْخَس، وبها عامل عمرو، فأتاه أبو طلحة، فقاتله، فانهزم أبو طلحة، ومرّ على وجهه، وسار أحمد خلفه، فلحقه بخُلم فحاربه، فهزمه أيضاً وسار نحو سِجستان،وأقام أحمد بطخارستان.

وكان ناسرار عبّاس القَطّان قد أتى طلحةَ، فسار نحو نَيسابور، فأعانه أهلُها، فأخذوا والدة الخُجُستانيّ وما كان معها؛ وأقام بنَيسابور، ولحق به أبو طلحة، فمنعه أهل نَيسابور من دخولها. (٣٠٢/٧)

واتصل الخبر بالخُجُستانيّ وهو بطايكان من طَخارِستان، فسار مجدّاً نحو نَيسابور.

ولمّا أيس الطاهريّة من الخُجُستانيّ، وكان أحمد بن محمّد بن طاهر بخُوارزم والياً عليها، أنفذ أبا العبّاس النوفليّ في خمسة آلاف رجل ليُخرج أحمدَ من نَيسابور، فبلغ خبره أحمدَ، فأرسل إليه ينهاه عن سفك الدماء، فأخذ النوفليُّ الرسل، فأمر بضربهم، وحلق لحاهم، وأراد قتلهم، فبينما هم يطلبون الجلاّدين، والحجّامين ليحلقوا لحاهم، أتاهم الخبر بقرب جيش أحمد منهم، فاشتغلوا، وتركوا الرسل، فهربوا إلى أحمد وأعلموه الخبر، فعبّأ أصحابه، وحملوا على النوفليّ حملة رجل واحد، فأكثروا فيهم القتل، وقبضوا على النوفليّ وأحضروه عنده، فقال له: إنّ الرسل لتختلف إلى بلاد الكفّار، فلا تتعرض لهم، أفلا استحيتَ أن تأمر في رسلي بما أمرتَ؟ فقال النوفليُّ: أخطأتُ؛ فقال: لكنّي سأصيب في أمرك! ثمّ أمر به فقُتل.

وبلغه أنّ إبراهيم بن محمّد بن طلحة بمرو قد جبى أهلها في سنتَيْن خمسة عشر خراجاً، فسار إليه في أبيوَرْدَ في يوم وليلة، فأخذه من على فراشه، وأقام بمرْو، فجبى خراجها، ثمّ ولاّها موسى البلخيُّ، ثمّ وافاها الحسين بن طاهر، فأحسن فيهم السيرة، ووصل إليه نحو عشرين ألف ألف درهم. (٣٠٣/٧)

ذكر قتل الخجستانيّ

لما كان الخجستانيُّ بطخارستان وفاه خبر أخذ والدته من نَيسابور، وسار مجدّاً، فلمّا قارب هَراة أتاه غلام لأبي طلحة، يُعرف بينال ده هزار، مستأمناً، فأتاه خبره قبل وصوله، وكان للخُجُسْتانيّ غلام اسمه رامجور على خزائنه، فقال له كالممازح له: إنّ سيّدك ينال ده هزار قد استأمن إليّ، كما علمتَ، فانظر كيف يكون برّك به. فحقدها عليه رامجور، وخاف أن يقدم ذلك الغلام عليه، ويطلب الفرصة ليقتله.

وكان لأحمد غلام [يُدعى] قتلغ، وهو على شرابه، فسقاه يوماً، فرأى في الكوز شيئاً، فأمر به فقُلعتْ إحدى عينَيْه، فتواطأ قتلغ ورامجور على قتله، فشرب يوماً بَيسابور عند وصوله من طايكان، فسكر ونام، فتفرّق عنه أصحابه، فقتله رامجور وقتلغ، وكان قتله في شوّال سنة ثمان وستّين ومائتين، وأخذ رامجور خاتمه فأرسله إلى الإصطبل يأمرهم بإسراج عدّة دوابّ، ففعلوا، فسيّر عليها جماعة إلى أبي طلحة وهوبجُرجان يعلمه الحال، ويأمره بالقدوم، ثمّ أغلق رامجور الباب على أحمد واختفى.

وبكّر القوّاد إلى باب أحمد، فوجدوا باب حجرته مغلقاً، فانتظروه ساعة طويلة، فرابهم الأمر، ففتحوا الباب فرأوه مقتولاً، فبحثوا عن الحال، وأخبرهم صاحب الإصطبل خبر رامجور في إنفاذ الخاتم، فطلبوه فلم يجدوه، ثمّ وجدوه بعد مُدّة.

وكان سبب اطلاعهم عليه أنّ صبيّاً من أهل تلك الدار التي هو بها طلب (٣٠٤/٧)ناراً، فقيل له: ما تعملون بالنار في اليوم الحارّ؟ فقيل: نتّخذ طعاماً للقائد؛ قيل: ومَن القائد؟ قال: رامجور؛ فأنهوا خبره إلى بعض القوّاد، فأخذوه وقتلوه.

واجتمع أصحاب أحمد بعد قتله على رافع بن هَرثَمة، وسنذكر أخبار رافع سنة ثمان وستّين ومائتين.

وكان أحمد بن عبد اللّه، لمّا عاد من طايكان بعد قتل والدته، نصب رمحاً طويلاً في صحن داره وقال: يحتاج أهل نَيسابور أن يضعوا الدُّرّ حتى يغمروا هذا الرمح. فخافوا منه، واستخفى جمع من الرؤساء والتجار، وفزع الناس إلى الدُّعاء، وسألوا أبا عثمان

وغيره من أصحاب أبي حفص الزاهد أن يتضرّعوا إلى اللّه تعالى ليُفرِّج عنهم، وفعلوا، فتداركهم اللّه برحمته، فقُتل تلك الليلة، وفرَّج اللّه عنهم.

وكان أحمد كريماً، جواداً، شجاعاً، حسن العِشرة، كثير البرّ لإخوانه الذين صحبوه قبل إمارته، والإحسان إليهم، ولم يتغيّر لهم عمّا كان يفعله من التواضع والآداب.

ذكر عدّة حوادث

فيها وليَ القضاءَ عليُّ بن محمّد [بن] أبي الشوارب.

وفيها سار الحسين بن طاهر بن عبد اللّه بن طاهر إلى الجبل في صفر.(٣٠٥/٧)

وفيها مات الصلانيُّ والي الرَّيّ ووليَها كَيْغَلَغ.

وفيها نُهب ابن زيدوَيْه الطبيب؛ ومات صالح بن علي بن يعقوب بن المنصور، ووليَ إسماعيل بن إسحاق قضاء الجانب الشرقيّ من بغداد، فصار له قضاء الجانبَيْن.

وفيها تنافر أبو أحمد الموفّق وأحمد بن طولون، أمير ديار مصر، وصار به بينهما وحشة مستحكمة، وتطلّب الموفّق من يتولّى الديار المصريّة، فلم يجد أحداً لأنّ ابن طولون كانت خدمه وهداياه متّصلة إلى القوّاد بالعراق وأرباب المناصب، فلهذا لم يجد من يتولاها، فكتب إلى ابن طولون يهدّده بالعزل، فأجابه جواباً فيه بعض الغلظة، فسيّر إليه الموفّقُ موسى بن بُغا في جيش كثيف، فسار إلى الرَّقّة.

وبلغ الخبر ابنَ طولون، فحصّن الديار المصريّة، وأقام ابن بُغا عشرة أشهر بالرَّقّة، لم يُمكنه المسير لقلّة الأموال معه، وطالبه الأجناد بالعطاء، فلم يكن معه ما يعطيهم، فاختلفوا عليه، وثاروا بوزيره عبد اللّه بن سليمان، فاستتر، واضطرّ ابن بُغا إلى العود إلى العراق، وكفى اللّه أحمدَ بن طولون شرّه فتصدّق بأموال كثيرة.

وفيها قُتل محمّد بن عتّاب وكان سائراً إلى السيبين، وهي في ولايته، فقتله الأعراب. (٣٠٦/٧)

وفيها قُتل القَطّان صاحب مُفلح، وكان عاملاً بالموصل، فانصرف عنها، فقُتل بالرَّقّة.

وفيها عقد لكفتمر عليّ بن الحسين بن داود على طريق مكّة.

وفيها وقع بين الخيّاطين والجزّارين بمكّة قتال يوم التروية، حتّى خاف الناس أن يبطل الحجّ، ثمّ تحاجزوا إلى أن يحجّ الناس، وقد قُتل منهم سبعة عشر رجلاً؛ وحجّ بالناس الفضل بن إسحاق بن الحسن بن العبّاس بن محمّد.

وفيها سيّر محمّد صاحب الأندلس ابنه المنذر في جيش إلى الجلّيقيّ، وكان بمدينة بَطَلْيوس، فلمّا سمع خبرهم فارقها، ودخل حصن كَرْكَر، فحوصر فيه، وكثر القتل في أصحابه في شوّال.

وفيها مات عمر بن شبّة النميريُّ الأخباريُّ، وكان مولده سنة ثلاث وسبعين ومائة. (٣٠٧/٧)

سنة ثلاث وستين ومائتين

ذكر وقعة الزنج

لمّا انهزم عليُّ بن أبان جريحاً، كما ذكرناه، وعاد إلى الأهواز لم يُقمْ بها، ومضى إلى عسكر صاحبه يداوي جراحه، واستخلف على عسكره بالأهواز، فلمّا برأ جرحه عاد إلى الأهواز، ووجّه أخاه الخليل بن أبان في جيش كثيف إلى أحمد بن ليثوَيْه، وكان أحمد بعسكر مُكْرَم، فكمّن لهم أحمد، وخرج إلى قتالهم، فالتقى الجمعان، واقتتلوا أشدّ قتال، وخرج الكمين على الزنج فانهزموا، وتفرّقوا، وقُتلوا، ووصل المنهزمون إلى عليّ بن أبان، فوجّه مسلحة إلى المَسْرُقان، فوجّه إليهم أحمد ثلاثين فارساً من أصحابه، من أعيانهم، فقتلهم الزنج جميعهم.

ذكر استيلاء يعقوب على الأهواز وغيرها

وفيها أقبل يعقوب بن الليث من فارس، فلمّا بلغ النُّوبَنْدَجَانَ انصرف أحمد بن الليث عن تُستَر، فلمّا بلغ يعقوب جُنْدَيْسَابور ونزلها، ارتحل عن تلك الناحية كلّ من بها من عسكر الخليفة، ووجّه إلى الأهواز رجلاً من (٣٠٨/٧) أصحابه يقال [له] الخضر بن العنبر، فلمّا قاربها خرج عنها عليُّ بن أبان ومن معه من الزنج، فنزل نهر السِّدرة، ودخل الخضر الأهواز، وجعل أصحابه وأصحاب عليّ بن أبان يغير بعضهم على بعض، ويصيب بعضهم من بعض، إلى أن استعدّ عليُّ بن أبان وسار إلى الأهواز، فأوقع بالخضر ومَنْ معه وقعة قتل فيها من أصحاب الخضر خلقاً كثيراً، وأصاب الغنائم الكثيرة، وهرب الخضر ومن معه إلى عسكر مُكْرَم.

وأقام عليٌّ بالأهواز ليستخرج ما كان فيها، ورجع إلى نهر السِّدرة، وسيّر طائفة إلى دَوْرق، وأوقعوا بمن كان هناك من أصحاب يعقوب، وأنفذ يعقوب إلى الخضر مدداً، وأمره بالكفّ عن قتال الزنج والاقتصار على المقام بالأهواز فلم يجبهم عليٌّ إلى ذلك دون نقل طعام كان هناك، فأجابه يعقوب إليه، فنقله وترك العلف الذي كان بالأهواز وكفّ بعضهم عن بعض.

ذكر ملك الروم لؤلؤة

وفيها سلّمت الصَّقالبة لؤلؤة إلى الروم؛ وكان سبب ذلك أنّ أحمد بن طولون قد أدمن الغزو بطَرَسُوس قبل أن يليَ مصر، فلمّا

وليَ مصر كان يؤثر أن يليَ طَرَسُوس ليغزو منها أميراً، فكتب إلى أبي أحمد الموفّق يطلب ولايتها، فلم يجبه إلى ذلك، واستعمل عليها محمّدَ بن هارون التغلبيَّ، فركب في سفينة في دجلة فألقتها الريح إلى الشاطئ، فأخذه أصحاب مُساور الشاري فقتلوه، واستعمل عوضه محمّدَ بن عليّ الأرمنيَّ، وأضيف إليه أنطاكية فوثب به أهل طَرَسُوس فقتلوه، فاستعمل عليها أرخوز بن يولغ بن (٣٠٩/٧) طرخان التركيّ، فسار إليها، وكان غِرّاً جاهلاً، فأساء السيرة، وأخّر عن أهل لؤلؤة أرزاقهم وميرتهم، فضجّوا من ذلك، وكتبوا إلى أهل طَرَسُوس يشكون منه ويقولون: إن لم ترسلوا إلينا أرزاقنا وميرتنا وإلاّ سلّمنا القلعة إلى الروم.

فأعظم ذلك أهل طَرَسُوس وجمعوا من بينهم خمسة عشر ألف دينار ليحملوها إليهم، فأخذها أرخوز ليحملها إلى أهل لؤلؤة، فأخذها لنفسه.

فلمّا أبطأ عليهم المال سلّموا القلعة إلى الروم، فقامت على أهل طَرَسُوس القيامة، لأنّها كانت شجاً في حلق العدوّ، ولم يكن يخرج للروم في برّ أو بحر إلاّ رأوه وأنذروا به؛ واتّصل الخبر بالمعتمد، فقلّدها أحمد بن طولون، واستعمل عليها مَنْ يقوم بغزو الروم ويحفظ ذلك الثغر.

ذكر عدّة حوادث

وفي هذه السنة مات مُساور الشاري، وكان قد رحل من البوازيج يريد لقاء عسكر قد سار إليه من عند الخليفة، فكتب أصحابه إلى محمّد بن خرزاد وهو بشَهْرَزور ليولّوه أمرهم فامتنع، وكان كثير العبادة، فبايعوا أيّوب بن حيّان الوارقيَّ البجَلّيَّ، فأرسل إليهم محمّد بن خرزاد ليذكر لهم أنّه نظر في أمره، فلم يسعه إهمال الأمر لأنّ مُساوراً عهد إليه، فقالوا له: قد بايعنا هذا الرجل ولا نغدر به؛ فسار إليهم فيمن بايعه فقاتلهم، فقُتل أيّوب بن حيّان، فبايعوا بعده محمّد بن عبد اللّه بن يحيى الوارقيَّ المعروف بالغلام، فقُتل أيضاً، (٣١٠/٧) فبايع أصحابه هارون بن عبد اللّه البجَلّيَّ، فكثر أتباعه، وعاد عنه ابن خرزاد، واستولى هارون على أعمال الموصل، وجبى خراجه.

وفيها كانت وقعة بين موسى والأعراب، فوجّه الموفق ابنه أبا العبّاس المعتضد في جماعة من قوّاده في طلب الأعراب.

وفيها وثب الدّيرانيُّ بابن أوس، فكبسه ليلاً، فتفرّق عسكره، ونهبه، ومضى ابن أوس إلى واسط.

وفيها ظفر أصحاب يعقوب بن الليث بمحمّد بن واصل، فأسروه.

وفيها مات عبيد اللّه بن يحيى بن خاقان، وزير المعتمد، سقط بالمَيدان من صدمة خادم له، فسال دماغه من منخريه وأذنه، فمات لوقته، وصلّى عليه الموفّق، ومشى في جنازته، واستوزر من الغد الحسن بن مخلّد، فقدم موسى بن بُغا سامرّا، فاختفى الحسن، واستوزر مكانه سليمان بن وهب ودُفعت دار عبيد اللّه إلى كَيْغَلَغ.

وفيها أخرج أخو شركُب الحسينَ بن طاهر عن نَيسابور، وغلب عليها، وأخذ أهله بإعطائه ثُلْث أموالهم، وسار الحسين إلى مرو وبها ابن خُوارزم شاه يدعو لمحمّد بن طاهر.

وفيها سيّر محمّد، صاحب الأندلس، ابنه المنذر في جيش كثير، وجعل طريقه على ماردة، فلمّا جاز ماردة إلى أرض العدوّ تبعه تسع مائة فارس من العسكر، فخرج عليهم جمع كثير من المشركين قد استظهر، فاقتتلوا قتالاً (٣١١/٧) كثيراً صبروا فيه، وقُتل من المشركين عدد كثير، ثمّ استظهر ابن الجلّيقيّ ومَنْ معه من المشركين على السبعمائة، فوضعوا السيف فيهم فقتلوهم عن آخرهم، أكرمهم اللّه بالشهادة.

وفيها ابتدأ إبراهيم أمير إفريقية ببناء مدينة رَقّادة.

وفيها توفّي أحمد بن حرب الطائيُّ الموصليُّ أخو عليّ بن حرب، توفّي بآذنة من بلد الثغر. (٣١٢/٧)

سنة أربع وستين ومائتين

ذكر أسر عبد اللّه بن كاوس

في هذه السنة أسرت الروم عبد اللّه بن رشيد بن كاوس.

وكان سبب ذلك أنّه دخل بلد الروم في أربعة آلاف من أهل الثغور الشاميّة، فغنم وقتل، فلمّا رحل عن البَدَنْدُون خرج عليه بطريق سَلُوقِية، وبطريق قُرّة كَوكَب، وخَرْشَنَة، فأحدقوا بالمسلمين، فنزل المسلمون وعرقبوا دوابّهم وقاتلوا، فقُتلوا إلاّ خمس مائة، فإنّهم حملوا حملة رجل واحد، ونجوا على دوابّهم، وقتل الروم من قتلوا، وأسروا عبد اللّه بن رشيد بعد ضربات أصابته، وحُمل إلى ملك الروم.

ذكر أخبار الزنج هذه السنة ودخولهم واسط

قد ذكرنا سنة اثنتين وستّين ومائتين مسير سليمان بن جامع إلى البطائح، وما كان منه مع أغرتمش، فلمّا أوقع به كتب إلى صاحبه يستأذنه في المسير إليه ليحدث به عهداً، ويصلح أمور منزله، فأذن له في ذلك، فأشار عليه (٣١٣/٧) الحياتيُّ أن يتطرّق إلى عسكر تكين البُخاريّ، وهو بيزدود، فقبل قوله، وسار إلى تكين، فلمّا كان على فرسخ منه قال له الحياتيُّ: الرأي أن تقيم أنت ها هنا، وأمضي أنا في السُّمَيريّات، وأجرّ القوم إليك، فيأتونك وقد تعبوا، فتنال

منهم حاجتك.

ففعل سليمان ذلك، وجعل بعض أصحابه كميناً، ومضى الحياتيُّ إلى تكين، فقاتله ساعة، ثمّ تطارد لهم، فتبعوه، فأرسل إلى سليمان يُعلمه ذلك، وقال لأصحابه، وهو بين يدي أصحاب تكين شبه المنهزم، ليسمع أصحاب تكين قوله فيطمعوا فيه: غرّرتُموني وأهلكتموني، وكنتُ نهيتكم عن الدخول ها هنا، فأبيتم، ولا أرانا ننجو منه.

وطمع أصحاب تكين وجدّوا في طلبه، وجعلوا ينادون: بلبل في قفص فما زالوا كذلك حتّى جازوا موضع الكمين، وقاربوا عسكر سليمان، وقد كمّن أيضاً خلف جُدُر هناك، فخرج سليمان إليهم في أصحاب فقاتلهم، وخرج الكمين من خلفهم، وعطف الحياتيُّ على مَنْ في النهر، فاشتدّ القتال فانهزم أصحاب تكين من الوجوه كلّها، وركبهم الزنج يقتلونهم ويسلبونهم أكثر من ثلاثة فراسخ، وعادوا عنهم.

فلمّا كان الليل عاد الزنج إليهم وهم في معسكرهم، فكبسوهم، فقاتلهم تكين وأصحابه، فانكشف سليمان، ثمّ عبّأ أصحابه، فأمر طائفة أن تأتيهم من جهة ذكرها لهم، وطائفة في الماء، وأتى هو في الباقين، فقصدوا تكين من جهاته كلّها، فلم يقف من أصحابه أحد، وانهزموا، وتركوا عسكرهم، فغنم الزنج ما فيه، وعادوا بالغنيمة، واستخلف سليمان الحياتيّ على عسكره، (٣١٤/٧) وسار إلى صاحبه، وكان ذلك سنة ثلاث وستّين ومائتين.

فلمّا سار سليمان إلى الخبيث خرج الحياتيُّ بالعسكر الذي خلّفه سليمان معه إلى مازوران لطلب الميرة، فاعترضه جَعلان، فقاتله، فانهزم الحياتيُّ، وأُخذت سفنه، وأتته الأخبار أنّ منجوراً ومحمّد بن عليّ بن حبيب اليشكُريّ قد بلغا الحجّاجيّة، فكتب إلى صاحبه بذلك، فسيّر إليه سليمان، فوصل إلى طهثا مجدّاً، وأظهر أنّه يريد قصد جَعلان، وقدم الحياتيُّ، وأمره أن يأتيَ جَعلان ويقف بحيث يراه ولا يقاتله.

ثمّ سار سليمان نحو محمّد بن عليّ بن حبيب مجدّاً، فأوقع به وقعة عظيمة، وغنم غنائم كثيرة، وقتل أخاً لمحمّد بن عليّ ورجع، وكان ذلك في رجب من هذه السنة أيضاً.

ثمّ سار في شعبان إلى قرية حسّان وبها قائد يقال له حسن بن خمارتكين، فأوقع به، فهزمه، ونهب القرية وأحرقها وعاد.

ثمّ سار في شعبان أيضاً إلى مواضع، فنهبها وعاد؛ ثمّ سار في رمضان وأظهر أنّه يريد جَعلان بمازوران، فبلغت الأخبار إلى جَعلان بذلك، فضبط عسكره، فتركه سليمان وعدل إلى أبا فأوقع به وهو غارّ، وغنم منه ستّ شذوات، ثمّ أرسل الحياتيّ في جماعة لينتهب، فصادفهم جَعلان، فأخذ سفنهم، وغنم منهم، فأتاه سليمان في البرّ، فهزمه، واستنقذ سفنهم، وغنم شيئاً آخر وعاد.

ثمّ سار سليمان إلى الرُّصافة في ذي القعدة، فأوقع بمطر بن جامع وهو بها، فغنم غنائم كثيرة، وأحرق الرُّصافة واستباحها، وحمل أعلاماً (٣١٥/٧) وانحدر إلى مدينة الخبيث، وأقام ليُعيّد هناك بمنزله، فسار مطر إلى الحجّاجيّة، فأوقع بأهلها، وأسر جماعة، وكان بها قاضٍ لسليمان، فأسره مطر وحمله إلى واسط، وسار مطر إلى قريب طهثا ورجع، فكتب الحياتيُّ إلى سليمان بذلك، فسار نحوه فوفاه لليلتين من ذي الحجّة سنة ثلاث وستّين [ومائتين]، ثمّ صرف جَعلان ووافى أحمد بن ليثويْه فأقام بالشديديّة.

ومضى سليمان إلى نهر أبان، وبه قائد من قوّاد أحمد، فأوقع به فقتله، ثمّ سار سليمان إلى تكين في خمس شذوات سنة أربع وستّين [ومائتين]، فواقعه تكين بالشديديّة.

وكان أحمد بن ليثويْه حينئذ قد سار إلى الكوفة وجَنْبلاء، فظهر تكين على سليمان، وأخذ الشذوات بما فيها، وكان بها صناديد سليمان وقوّاده فقتلهم، ثمّ إنّ أحمد عاد إلى الشديديّة، وضبط تلك الأعمال، حتّى وافاه محمّد بن المولّد، وقد ولاّه الموفّق مدينة واسط، فكتب سليمان إلى الخبيث يستمدّه فأمدّه بالخليل بن أبان في زهاء ألف وخمسمائة فارس، فلمّا أتاه المدد قصد إلى محاربة محمّد بن المولّد، ودخل سليمان مدينة واسط، فقتل فيها خلقاً كثيراً، ونهب وأحرق، وكان بها ابن منكجور البخاريُّ، فقاتله يومه إلى العصر، ثمّ قُتل، وانصرف سليمان عن واسط إلى جَنْبلاء ليعيث ويخرب، فأقام هناك تسعين ليلة، وعسكرهم بنهر الأمير.(٣١٦/٧)

ذكر وزارة سليمان بن وهب للخليفة ووزارة الحسن بن مخلّد وعزله

وفيها خرج سليمان بن وهب من بغداد إلى سامرّا وشيّعه الموفّق والقوّاد، فلمّا صار إلى سامرّا غضب عليه المعتمد وحبسه وقيّده وانتهب داره، واستوزر الحسنَ بن مخلّد في ذي القعدة، فسار الموفّق من بغداد إلى سامرّا ومعه عبيد اللّه بن سليمان بن وهب، فلمّا قرب من سامرّا تحوّل المعتمد إلى الجانب الغربيّ فعسكر به مغاضباً للموفّق، واختلفت الرسل بينه وبين الموفّق واتّفقا، وخلع على الموفّق ومسرور وكَيْغَلَغ وأحمد بن موسى بن بُغا وأطلق سليمان بن وهب وعاد إلى الجوسق، وهرب الحسن بن مخلّد وأحمد بن صالح بن شيرزاد فكتب بقبض أموالهما وقبض أحمد بن أبي الأصبغ، وهرب القوّاد الذين كانوا بسامرّا مع المعتمد خوفاً من الموفّق، فوصلوا إلى الموصل وجبوا الخراج.

ذكر وفاة أماجور وملك ابن طولون الشام وطرسوس وقتل سيما الطويل

وفي هذه السنة توفّي أماجور مُقْطَع دمشق، ووليَ ابنه مكانه، فتجهّز ابن طولون ليسير إلى الشام فيملكه، فكتب إلى ابن أماجور يذكر له أنّ الخليفة قد أقطعه الشام والثغور، فأجابه بالسمع والطاعة، وسار أحمد، واستخلف بمصر ابنه العبّاس، فلقيه ابن أماجور بالرملة فأقره عليها، وسار إلى دمشق فملكها وأقرّ قوّاد أماجور على أقطاعهم، وسار إلى حمص فملكها، (٣١٧/٧) وكذلك حماة، وحلب.

وراسل سيما الطويل بأنطاكية يدعوه إلى طاعته ليقرّه على ولايته، فامتنع فعاوده فلم يطعه، فسار إليه أحمد بن طولون، فحصره بأنطاكية، وكان سيئ السيرة مع أهل البلد، فكاتبوا أحمد بن طولون، ودلّوه على عورة البلد، فنصب عليه المجانيق وقاتله، فملك البلد عنوة، والحصن الذي له، وركب سيما وقاتل قتالاً شديداً حتّى قُتل ولم يعلم به أحد، فاجتاز به بعض قوّاده فرآه قتيلاً، فحمل رأسه إلى أحمد، فساءه قتله.

ورحل عن أنطاكية إلى طرَسوس، فدخلها وعزم على المقام بها، وملازمة الغزاة، فغلا السعر بها، وضاقت عنه وعن عساكره، فركب أهلها إليه بالمخيّم وقالوا له: قد ضيّقت بلدنا، وأغليت أسعارنا، فإمّا أقمتَ في عدد يسير، وإمّا ارتحلت عنّا؛ وأغلظوا له في القول، وشغبوا عليه، فقال أحمد لأصحابه: لتنهزموا من الطَّرَسُوسيّين، وترحلوا عن البلد، ليظهر للناس وخاصّة العدوّ أنّ ابن طولون على بُعد صيته وكثرة عساكره لم يقدر على أهل طَرَسُوس؛ وانهزم عنهم ليكون أهيب لهم في قلب العدوّ وعاد إلى الشام.

فأتاه خبر ولده العبّاس، وهو الذي استخلفه بمصر، أنّه قد عصى عليه، وأخذ الأموال وسار إلى بَرْقة مُشاقّاً لأبيه، فلم يكترث لذلك، ولم ينزعج له، وثبت، وقضى أشغاله، وحفظ أطراف بلاده، وترك بحرّان عسكراً، وبالرَّقّة (٣١٨/٧) عسكراً مع غلامه لؤلؤ، وكانت حرّان لمحمّد بن أتامش، وكان شجاعاً فأخرجه عنها وهزمه هزيمة قبيحة.

واتّصل خبره بأخيه موسى بن أتامش، وكان شجاعاً بطلاً، فجمع عسكراً كثيراً وسار نحو حرّان، وبها عسكر ابن طولون، ومقدّمهم أحمد ابن جيعوَيه، فلمّا اتّصل به خبر مسير موسى أقلقه ذلك وأزعجه، فقطن له رجل من الأعراب يقال له أبو الأغرّ، فقال له: أيّها الأمير أراك مفكّراً منذ أتاك خبر ابن أتامش، وما هذا محلّه، فإنّه طيّاش قلق، ولو شاء الأمير أن آتيه به أسيراً لفعلت. فغاظه قوله وقال: قد شئتُ أن تأتي به أسيراً؛ قال: فاضمم إليّ عشرين رجلاً أختارهم؛ قال: افعل، فاختار عشرين رجلاً وسار بهم إلى عسكر موسى، فلمّا قاربهم كمّن بعضهم، وجعل بينه وبينهم علامة إذا سمعوها ظهروا.

ثمّ دخل العسكر في الباقين في زيّ الأعراب، وقارب مضارب موسى، وقصد خيلاً مربوطة فأطلقها، وصاح هو وأصحابه فيها فنفرت، وصاح هو ومن معه من الأعراب، وأصحاب موسى غارّون، وقد تفرّق بعضهم في حوائجهم، وانزعج العسكر، وركبوا، وركب موسى، فانهزم أبو الأغرّ من بين يديه، فتبعه حتّى أخرجه من العسكر، وجاز به الكمين، فنادى أبو الأغرّ بالعلامة التي بينهم، فثاروا من النواحي، وعطف أبو الأغرّ على موسى فأسروه، فأخذوه وساروا حتّى وصلوا إلى ابن جيعوَيه، فعجب الناس من ذلك، وحاروا، فسيّره ابن جيعوَيه إلى ابن طولون، فاعتقله وعاد إلى مصر، وكان ذلك في سنة خمس وستّين ومائتين. (٣١٩/٧)

ذكر الفتنة ببلاد الصين

وفي هذه السنة ظهر ببلاد الصين إنسان لا يُعْرَف، فجمع جمعاً كثيراً من أهل الفساد والعامّة، فأهمل الملك أمره استصغاراً لشأنه، فقويَ، وظهر حاله، وكثف جمعه، وقصده أهل الشرّ من كلّ ناحية، فأغار على البلاد وأخربها، ونزل على مدينة خانقوا وحصرها، وهي حصينة، ولها نهر عظيم، وبها عالم كثير من المسلمين، والنصارى، واليهود، والمجوس، وغيرهم من أهل الصين، فلمّا حصر البلد اجتمعت عساكر الملك وقصدته، فهزمها، وافتتح المدينة عنوة، وبذل السيف، فقتل منهم مالا يحصى كثرة.

ثمّ سار إلى المدينة التي فيها الملك، وأراد حصرها، فالتقاه ملك الصين، ودامت الحرب بينهم نحو سنة، ثمّ انهزم الملك، وتبعه الخارجيُّ إلى أن تحصّن منه في مدينة من أطراف بلاده، واستولى الخارجيُّ على أكثر البلاد والخزائن، وعلم أنّه لا بقاء له في الملك إذ ليس هو من أهله، فأخرب البلاد، ونهب الأموال، وسفك الدماء.

فكاتب ملك الصين ملوك الهند يستمدّهم، فأمدّوه بالعساكر، فسار إلى الخارجيّ، فالتقوا نحو سنة أيضاً، وصبر الفريقان، ثمّ إنّ الخارجيّ عدم، فقيل إنّه قُتل، وقيل بل غرق، وظفر الملك بأصحابه وعاد إلى مملكته، ولقب ملوك الصين يعفور، ومعناه ابن السماء تعظيماً لشأنه؛ وتفرّق الملك عليه، وتغلّبت كلّ طائفة على طرف من البلاد، وصار الصين على ما كان عليه ملوك الطوائف يظهرون له الطاعة، وقنع منهم بذلك، وبقي على ذلك مدّة طويلة. (٣٢٠/٧)

ذكر ملك المسلمين مدينة سَرَقُوسة

وفي هذه السنة، رابع عشر رمضان، ملك المسلمون سَرَقُوسةَ، وهي من أعظم [مُدن] صِقلّية.

وكان سبب ملكها أنّ جعفر بن محمّد أمير صِقلّية غزاها، فأفسد زرعها وزرع قَطانية، وطَبَرْمِينَ، ورَمْطةَ، وغيرها من بلاد صِقلّية التي بيد الروم، ونازل سَرَقُوسة، وحصرها برّاً وبحراً وملك بعض أرباضها ووصلت مراكب الروم نجدة لها، فسيّر إليها أسطولاً، فأصابوها، فتمكّنوا حينئذ من حصرها، فأقام العسكر محاصراً لها تسعة أشهر، وفُتحت، وقُتل من أهلها عدّة آلوف، وأصيب فيها من الغنائم مالم يُصَب بمدينة أخرى، ولم ينج من رجالها إلاّ الشاذّ الفذّ.

وأقاموا فيها بعد فتحها بشهرين، ثمّ هدموها، ثمّ وصل بعد هدمها من القُسطنطينيّة أسطول، فالتقوا هم والمسلمون، فظفر بهم المسلمون، وأخذوا منهم أربع قطع، فقتلوا مَنْ فيها، وانصرف المسلمون إلى بلدهم آخر ذي القعدة.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة سيّر محمّد بن عبد الرحمن، صاحب الأندلس، ابنه المنذر في جيش إلى مدينة بَنْبَلُونة، وجعل طريقه على سَرَقُسطة، فقاتل أهلها، (٣٢١/٧)

ثمّ انتقل إلى تُطيلَة، وجال في مواضع بني موسى، ثمّ دخل بَنْبلونة، فخرّب كثيراً من حصونها وأذهب زروعها وعاد سالماً.

وفيها سار جمع من العرب إلى مدينة جِلّيقيّة، فكان بينهم وقعة عظيمة قُتل فيها من الطائفتَيْن كثير.

وفيها فرغ إبراهيم بن محمّد بن الأغلب، صاحب إفريقية، من بناء رَقّادة، وكان ابتداء عمارتها سنة ثلاث وستّين ومائتين، ولمّا فرغت انتقل إبراهيم إليها.

وفيها وجّه يعقوب بن الليث جيشاً إلى الصَّيْمَرة، مقدّمة إليها، وأخذوا صعون فأحضروه عنده، فمات.

وفيها ماتت قبيحة أم المعتزّ.

وفيها وقع الطاعون بخُراسان جميعها وقُومِسَ، فأفنى خلقاً كثيراً وحجّ بالناس هذه السنة هارون بن محمّد بن إسحاق بن موسى الهاشميُّ.

وفيها توفّي أبو زرعة الرازيُّ، واسمه عبيد الله بن عبد الكريم، وكان حافظاً للحديث ثقة؛ ومحمّد بن إسماعيل بن عُليّة، وكان موته بدمشق.

وفيها مات أبو إبراهيم المزنيُّ، صاحب الشافعيّ، وكان موته بمصر؛ وعليُّ بن حرب الطائيُّ، وكان إماماً في الحديث. (٣٢٢/٧)

سنة خمس وستين ومائتين

ذكر أخبار الزنج

في هذه السنة كانت وقعة بين أحمد بن ليثوَيْه وبين سليمان بن جامع والزّنج بناحية جَنْبلاء.

وكان سببها أنّ سليمان كتب إلى الخبيث يخبره بحال نهر يسمّى الزُّهري، ويسأله أن يأذن في عمله، فإنّه متى أنفذه تهيّأ له حمل ما في جَنبلاء وسواد الكوفة، فأنفذ إليه نكروَيْه لذلك، وأمره بمساعدته، والنفقة على عمل النهر، فمضى سليمان فيمن معه، وأقام بالشريطة نحواً من شهر، وشرعوا في عمل النهر.

وكان أصحاب سليمان، في أثناء ذلك، يتطرّقون ما حولهم، فواقعه أحمد بن ليثَوَيْه، وهو عامل الموفّق بجَنبلاء، فقتل من الزنوج نيّفاً وأربعين قائداً، ومن عامتهم مالا يحصى كثرةً، وأحرق سفنهم، فمضى سليمان مهزوماً إلى طهثا.

وفيها سار جماعة من الزُّنوج في ثلاثين سُمَيْريّة إلى جُبَل، فأخذوا أربع سُفن فيها طعام وانصرفوا.

وفيها دخل الزنج النُّعمانيّة فأحرقوها، وسبوا، وساروا إلى جَرْجَرايا، ودخل أهل السواد بغداد. (٣٢٣/٧)

ذكر استعمال مسرور البلخيّ على الأهواز وانهزام الزنج منه

وفيها استعمل الموفّق مسروراً البلخيّ على كُوَر الأهواز، فولّى مسرور ذلك تكينَ البُخاريَّ، فسار إليها تكين، وكان عليُّ بن أبان والزنج قد أحاطوا بتُستَر، فخاف أهلها، وعزموا على تسليمها إليهم، فوفاهم في تلك الحال تكين البخاريُّ، فواقع عليُّ بن أبان قبل أن ينزع ثيابه، فانهزم عليٌّ والزنج، وقُتل منهم كثير، وتفرّقوا، ونزل تكين بتُستر؛ وهذه الوقعة تُعرف بوقعة باب كورك، وهي مشهورة.

ثمّ إنّ عليّاً قدم عليه جماعة من قوّاد الزنج، فأمرهم بالمقام بقنطرة فارس، فهرب منهم غلام رومّي إلى تكين، وأخبره بمقامهم بالقنطرة، وتشاغلهم بالنبيذ، وتفرّقهم في جمع الطعام، فسار تكين إليهم ليلاً، فأوقع بهم، وقتل من قوّادهم جماعة، فانهزم الباقون.

وسار تكين إلى عليّ بن أبان، فلم يقف له عليٌّ، وانهزم وأُسر غلام له يُعرف بجعفروَيْه، ورجع عليٌّ إلى الأهواز، ورجع تكين إلى تُستَر، وكتب عليٌّ إلى تكين يسأله الكفّ عن قتل غلامه، فحبسه، ثمّ تراسل عليٌّ وتكين وتهاديا، فبلغ الخبر مسروراً بميل

تكين إلى الزنج، فسار حتّى وافى تكين وقبض عليه، وحبسه عند إبراهيم بن جَعلان، حتّى مات وتفرّق أصحاب تكين، ففرقة سارت إلى الزنج، وفرقة إلى محمّد بن عبيد اللّه الكرديّ، فبلغ ذلك مسروراً، فأمّنهم، فجاءه منهم الباقون؛ وكان بعض ما ذكرناه من أمر مسرور سنة خمس وستّين، وبعضه سنة ستّ وستّين ومائتين. (٣٢٤/٧)

ذكر عصيان العبّاس بن أحمد بن طولون على أبيه

وفيها عصى العبّاس بن أحمد بن طولون على أبيه؛ وسبب ذلك أن أباه كان قد خرج إلى الشام، واستخلف ابنه العبّاس، كما ذكرناه، فلمّا أبعد عن مصر حسّن للعبّاس جماعة كانوا عنده أخْذ الأموال والانشراح إلى بَرْقة، ففعل ذلك، وأتى بَرْقة في ربيع الأوّل.

وبلغ الخبر أباه، فعاد إلى مصر، وأرسل إلى ابنه ولاطفه واستعطفه، فلم يرجع إليه، وخاف مَنْ معه فأشاروا عليه بقصد إفريقية، فسار إليها، وكاتب وجوه البربر، فأتاه بعضهم، وامتنع بعضهم، وكتب إلى إبراهيم بن الأغلب يقول: إن أمير المؤمنين قد قلّدني أمر إفريقية وأعمالها؛ ورحل، حتّى أتى حصن لَبْدَة، ففتحه أهله له، فعاملهم أسوأ معاملة، ونهبهم، فمضى أهل الحصن إلى إلياس بن منصور النفوسيّ، رئيس الإباضيّة هناك، فاستعانوا به، فغضب لذلك، وسار إلى العبّاس ليقاتله.

وكان إبراهيم بن الأغلب قد أرسل إلى عامل طرابلس جيشاً، وأمره بقتال العبّاس، فالتقوا، واقتتلوا قتالاً شديداً قاتل العبّاس فيه بيده، فلمّا كان الغد وافاهم إلياس بن منصور الإباضيُّ في اثني عشر ألفاً من الإباضيّة، فاجتمع هو وعامل طرابلس على قتال العبّاس، فقُتل من أصحابه خلق كثير، وانهزم أقبح هزيمة، وكاد يؤسر، فخلّصه مولى له، ونهبوا سواده وأكثر ما حمله (٣٢٥/٧) من مصر، وعاد إلى بَرْقة أقبح عود.

وشاع بمصر أنّ العبّاس انهزم، فاغتمّ والده حتّى ظهر عليه، وسيّر إليه العساكر لمّا علم سلامته، فقاتلوه قتالاً صبر فيه الفريقان، فانهزم العبّاس ومَنْ معه، وكثر القتلى في أصحابه، وأُخذ العبّاس أسيراً، وحُمل إلى أبيه، فحبسه في حجرة في داره إلى أن قدم باقي الأسرى من أصحابه، فلمّا قدموا أحضرهم أحمد عنده، والعبّاس معهم، فأمره أبوه أن يقطع أيدي أعيانهم وأرجلهم، ففعل، فلمّا فرغ منه وبّخه أبوه وذمّه وقال له :هكذا يكون الرئيس والمقدّم؟ كان الأحسن أنّك كنتَ ألقيتَ نفسك بين يديّ، وسألتَ الصفح عنك وعنهم، فكان أعلى لمحلّك، وكنت قضيت حقوقهم فيما ساعدوك وفارقوا أوطانهم لأجلك، ثمّ أمر به فضُرب مائة مقرعة، ودموعه تجري على خدّيه رقّة لولده، ثمّ ردّه إلى الحجرة واعتقله وذلك سنة ثمان وستّين ومائتين.

ذكر موت يعقوب وولاية أخيه عمرو

وفيها مات يعقوب بن الليث الصفّار تاسع شوّال بجُنْد يُسابور من كُوَر الأهواز، وكانت علّته القُولَنْج، فأمره الأطبّاء بالاحتقان بالدواء، فلم يفعل، واختار الموت.

وكان المعتمد قد أنفذ إليه رسولاً وكتاباً يستميله ويترضّاه، ويقلّده أعمال فارس، فوصل الرسول ويعقوب مريض، فجلس له، وجعل عنده سيفاً، ورغيفاً من الخبز الخُشكار، ومعه بصل، وأحضر الرسول، فأدّى الرسالة، فقال له :قل للخليفة إنّني عليل، فإن متُّ فقد استرحتُ منك (٣٢٦/٧) واسترحتَ منّي، وإن عوفيتُ فليس بيني وبينك إلاّ هذا السيف، حتى آخذ بثأري، أو تكسرني وتعقرني، وأعود إلى هذا الخبز والبصل، وأعاد الرسول، فلم يلبث يعقوب أن مات.

وكان الحسن بن زيد العلويُّ يسمّى يعقوب بن الليث السندان لثباته؛ وكان يعقوب قد افتتح الرُّخج، وقتل ملكها، وأسلم أهلها على يده، وكانت مملكته واسعة الحدود، وكان اسم ملكها كبتير، وكان يُحمل على سرير من ذهب يحمله اثنا عشر رجلاً، وابتنى على جبل عال بيتاً، وسمّاه مكّة، وكان يدّعي الإلهيّة، فقتله يعقوب، وافتتح الخَلْجيّة وزَابُل وغير ذلك، ولم أعلم أيّ سنة كان ذلك حتّى أذكره فيها.

وكان يعقوب عاقلاً، حازماً، وكان يقول:من عاشرتهُ أربعين يوماً فلم تعرف أخلاقه، فلا تعرفها في أربعين سنة؛ وقد تقدّم من سيرته ما يدلّ على عقله.

ولمّا مات قام بالأمر بعده أخوه عمرو بن الليث، وكتب إلى الخليفة بطاعته، فولاّه الموفّق خُراسان، وفارس، وأصبهان، وسِجستان، والسِّند، وكَرمان، والشُّرطة ببغداد، وأشهد بذلك، وسيّره إليه مع الخلع.(٣٢٧/٧)

ذكر عدّة حوادث

وفي هذه السنة وثب القاسم بن مهاة بدُلفَ بن عبد العزيز بن أبي دُلَف بأصبهان، فقتله، ووثب جماعة من أصحاب أبي دُلَف بالقاسم، فقتلوه وريّسوا عليهم أحمد بن عبد العزيز.

وفيها لحق محمّد المولّد بيعقوب بن الليث، فأكرمه يعقوب، وأحسن إليه، فأمر الخليفة بقبض أمواله وعقاره.

وفيها قتلت الأعراب جَعلان، المعروف بالعيّار، بدِمِمّا، وكان خرج يسيّر قافلة فقتلوه، فوُجّه في طلبهم، فلم يُلحقوا.

وفيها حبس الموفّقُ سليمانَ بن وهب، وابنه عبيد اللّه، وعدّة

من أصحابها، وقبض أموالهم وضياعهم، خلا أحمد بن سليمان، ثمّ صالحَ سليمان وابنه عبيد اللّه على تسع مائة ألف دينار، وجُعلا في موضع يصل إليهما من أرادوا، وعسكر موسى بن أتامش، وإسحاق بن كنداجيق، والفضل بن موسى بن بُغا، وعبروا جسر بغداد، ومنعهم الموفَّق، فلم يرجعوا، ونزلوا صَرْصَر، فاستكتب أبو أحمد الموفَّق صاعد بن مخلّد، فمضى إلى أولئك القوّاد، فردّهم من صَرْصَر فخلع عليهم.

وفيها خرج خمسة بطارقة [من] الروم إلى أذَنَة فقتلوا وأسروا، وكان أرجوز والي الثغور، فعُزل عنها، فأقام مرابطاً، وأسروا نحواً من أربع مائة، وقتلوا نحواً من ألف وأربع مائة، وذلك في جمادى الأولى.(٣٢٨/٧)

وفيها غلب أحمد بن عبد اللّه الخُجُستانيُّ على نَيسابور، وسار الحسين بن طاهر بن عبد اللّه إلى مَرْو، وهو عامل أخيه محمّد بن طاهر، وأُخربت طُوس.

وفيها استوزر أبو الصقر إسماعيل بن بُلبُل.

وفيها وثب جماعة من الأعراب، من بني أسد، على عليّ بن مسرور البَلْخيّ قبل وصوله إلى المُغيثة بطريق مكّة، وكان الموفَّق ولاّه الطريق.

وفيها بعث ملك الروم إلى أحمد بن طولون بعبد اللّه بن رشيد بن كاوس وعدّة أسرى، وأنفذ معهم عدّة مصاحف منه هدية إليه، وحجّ بالناس هارون بن محمّد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشميُّ.

وفيها كانت موافاة أبي المُغيرة عيسى بن محمّد المخزوميّ إلى مكّة لصاحب الزنج.

وفيها توفّي أبو بكر أحمد بن منصور الزناديُّ وعمره ثلاث وثمانون سنة؛ وإبراهيم بن هاني أبو إسحاق النَّيسابوريُّ، وكان من الأبدال قد صحب أحمد بن حَنبَل؛ وعليُّ بن حرب بن محمّد الطائيُّ الموصليُّ ومولده سنة خمس وسبعين ومائة وقيل غير ذلك، وقد تقدّم ؛ وعليُّ بن موفّق الزاهد.

وفيها قُتل أبو الفضل العبّاس بن الفرج الرياشيُّ، قتله الزنج بالبصرة، أخذ العلم عن أبي عُبيدة والأصمعيّ.(٣٢٩/٧)

سنة ستّ وستين ومائتين

ذكر أخبار الفرنج مع أغرتمش

في هذه السنة وُلّيَ أغرتمش ما كان يتولاّه تكين البخاريُّ من أعمال الأهواز، فدخل تُستَر في رمضان، ومعه أنا، ومطر بن جامع، وقتل مطرُ بن جامع جَعْفَرَوَيْه غلام عليّ بن أبان، وجماعة معه كانوا مأسورين، وساروا إلى عسكر مُكْرَم، وأتاهم الزنج هناك مع عليّ بن أبان، فاقتتلوا، فلمّا رأوا كثرة الزنج قطعوا الجسر وتحاجزوا، ورجع عليٌّ إلى الأهواز، وأقام أخوه الخليل بالمَسْرُقان في جماعة كثيرة من الزنج.

وسار أغرتمش ومن معه نحو الخليل ليعبروا إليه من قنطرة أربُك، فكتب إلى أخيه عليّ، فوافاه في النهر، وأخاف أصحابه الذين خلّفهم بالأهواز، فارتحلوا إلى نهر السِّدرة، وتحارب عليٌّ وأغرتمش يومهم، ثمّ انصرف عليٌّ إلى الأهواز، فلم يجد أصحابه الذين خلّفهم بالأهواز، فوجّه من يردّهم من نهر السِّدرة، فعسر عليهم ذلك، فتبعهم وأقام معهم، ورجع أغرتمش فنزل عسكر مُكرَم، واستعدّ عليٌّ لقتالهم.

وبلغ ذلك أغرتمش ومن معه من عسكر الخليفة، فساروا إليه، فكمّن لهم عليٌّ وقدم الخليل إلى قتالهم، فاقتتلوا، فكان أوّل النهار لأصحاب الخليفة، (٣٣٠/٧) ثمّ خرج عليهم الكمين، فانهزموا وأُسر مطر بن جامع وعدّة من القوّاد، فقتله عليٌّ بغلامه جَعْفَرَوَيْه، وعاد إلى الأهواز، وأرسل رؤوس القتلى إلى الخبيث العلويّ.

وكان عليٌّ وأغرتمش بعد ذلك في حروبهم على السواء، وصرّف صاحب الزنج أكثر جنوده إلى عليّ بن أبان؛ فلمّا رأى ذلك أغرتمش وادعه، وجعل عليٌّ يغير على النواحي، فمن ذلك أنّه أغار على قرية بِيرُوذَ فنهبها، ووجّه الغنائم إلى صاحبه.

ذكر دخول الزنج رامَهُرْمُز

وفيها دخل عليُّ بن أبان والزنج رامَهُرْمُز؛ وسبب ذلك أنّ محمّد بن عبيد اللّه كان يخاف عليَّ بن أبان لما في نفس عليّ منه، لما ذكرناه، فكتب إلى انكلاي بن العلويّ وسأله أن يسأل أباه ليرفع يد عليّ عنه ويضمّه إلى نفسه، فزاد ذلك غيظ عليّ منه، وكتب إلى الخبيث بالإيقاع بمحمّد، ويجعل ذلك الطريق إلى مطالبته بالخراج، فأذن له، فكتب إلى محمّد يطلب منه حمْل الخراج، فمطله ودافعه، فسار إليه عليٌّ وهو برامَهُرْمُز، فهرب محمّد عنها، ودخلها عليٌّ والزنج فاستباحها، ولحق محمّد بأقصى معاقله، وانصرف عليّ غانماً.

وخاف محمّد فكتب إليه يطلب المسالمة، فأجابه إلى ذلك على مال يُؤدّيه إليه، فحمل إليه مائتَيْ ألف درهم، فأنفذها إلى صاحب الزنج، وأمسك عن محمّد بن عبيد اللّه، وأعماله. (٣٣١/٧)

وفيها كانت وقعة للزنج انهزموا فيها، وكان سببها أنّ محمّد بن عبيد اللّه كتب إلى عليّ بن أبان، بعد الصلح، يسأله المعونة على

الأكراد الدارنان، على أن يجعل له ولأصحابه غنائمهم، فكتب عليٌّ إلى صاحبه يستأذنه، فكتب إليه أن وجِّهْ إليه جيشاً، وأقمْ أنت، ولا تنفذ أحداً حتّى تستوثق منه بالرهائن، ولا يأمن غزوه والطلب بثأره. فكتب عليٌّ إلى محمّد يطلب منه اليمين والرهائن، فبذل له اليمين، ومطله بالرهائن، فلحِرْص عليّ على الغنائم أنفذ إليه جيشاً، فسيّر محمّد معهم طائفة من أصحابه إلى الأكراد، فخرج إليهم الأكراد فقاتلوهم، ونشبت الحرب، فتخلّى أصحاب محمّد عن الزنج، فانهزموا وقتلت الأكراد منهم خلقاً كثيراً.

وكان محمّد قد أعدّ لهم من يتعرّضهم إذا انهزموا، فصادفوهم، وأوقعوا بهم، وسلبوهم، وأخذوا دوابّهم، ورجعوا بأسوأ حال، فكتب عليٌّ إلى الخبيث بذلك فعنّفه وقال: ضيّعتَ أمري في ترك الرهائن؛ وكتب إلى محمّد يتهدّده، فخاف محمّد وكتب [إليه] يخضع ويذلّ، وردّ بعض الدوابّ وقال: إنّني كبسْت من كانت عندهم، وخلّصتُ هذه منهم. فأظهر الخبيث الغضب عليه، فأرسل محمّدٌ إلى بهبود، ومحمّد بن يحيى الكرمانيّ، وكانا أقرب الناس إلى عليّ، فضمن لهما مالاً إن أصلحا له عليّاً وصاحبه، ففعلا ذلك، فأجابهما الخبيث إلى الرضى عن محمّد على أن يخطب له على منابر بلاده، وأعلما محمّداً ذلك، فأجابهما إلى كلّ ما طلبا، وجعل يراوغُ في الدُّعاء له على المنابر.

ثمّ إنّ عليّاً استعدّ لِمَتُّوثَ، وسار إليها، فلم يظفر بها، فرجع، وعمل السلاليم والآلات التي يصعد بها إلى السور، واستعدّ لقصدها، فعرف (٣٣٢/٧) ذلك منصور البَلْخيُّ، وهو يومئذ بكُوَر الأهواز، فلمّا سار عليٌّ إليها سار إليه مسرور، فوافاه قبل المغرب، وهو نازل عليها، فلمّا عاين الزنجُ أوائل خيل مسرور، انهزموا أقبح هزيمةٍ، وتركوا جميع ما كانوا أعدّوه، وقُتل منهم خلق كثير، وانصرف عليٌّ مهزوماً، فلم يلبث إلاّ يسيراً حتّى أتته الأخبار بإقبال الموفّق، ولَم يكن لعليّ بعد مَتُّوث وقعة، حتّى فتحت سوق الخميس وطهثا على الموفّق، فكتب إليه صاحبه يأمره بالعود إليه، ويستحثّه حثّاً شديداً.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ولّى عمرو بن الليث عُبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر خلافته على الشُّرطة ببغداد وسُرّ من رأى في صفر، وخلع عليه الموفّق، وعمرو بن الليث.

وفيها، في صفر، غلب أساتكين على الشُّرطة وهي الآن من أعمال سِجستان، وعلى الرَّيّ، وأخرج منها خطلنخجور العامل عليها، ثمّ مضى إلى قَزوين وعليها أخو كَيْغَلَغ، فصالحه، ودخل أساتكين قَزوين، ثمّ رجع إلى الرَّيّ.

وفيها وردت سريّة من سرايا الروم إلى تَلّ يسهى، من ديار ربيعة، فأسرت نحواً من مائتين وخمسين إنساناً، ومثلت بالمسلمين، فنفر إليهم (٣٣٢/٧) أهل الموصل ونَصيبين، فرجعت الروم.

وفيها مات أبو الساج بجُنْدَيْسابور، منصرفاً من عسكر عمرو بن الليث إلى بغداد؛ ومات قبله سليمان بن عبد اللّه بن طاهر، وولّى عمرو بن الليث فيها أحمدَ بن عبد العزيز بن أبي دُلَف أصبهانَ؛ وولّى محمّدَ ابن أبي الساج طريق مكّة والحرمَيْن.

وفيها فارق إسحاق بن كَنداج أحمدَ بن موسى بن بُغا، وكان سبب ذلك أنّ أحمد لمّا سار إلى الجزيرة، وولّيَ موسى بن أتامش ديار ربيعة، أنكر ذلك إسحاق بن كنداج، وفارق عسكره، وسار إلى بَلَد، فأوقع بالأكراد اليَعقوبيّة فهزمهم، وأخذ أموالهم، ثمّ لقي ابنَ مساور الخارجيَّ فقتله، وسار إلى الموصل فقاطع أهلها على مال قد أعدّوه.

وكان قائد كبير بمَعْلَثايا، اسمه عليُّ بن داود، وهو المخاطب له عن أهل الموصل، والمدافع فسار ابن كنداج إليه، فلمّا بلغه الخبر فارق مَعْلَثايا، وعبر دجلة، ومعه حمدان بن حمدون، إلى إسحاق بن أيّوب بن أحمد التغلبيّ العدويّ، فاجتمعوا كلّهم فبلغت عدّتهم نحو خمسة عشر ألفاً، وسمع ابن كنداج باجتماعهم، فعبر إلى بَلَد، وعبر دجلة إليه وهو في ثلاثة آلاف، وسار إلى نهر أيّوب، فالتقوا بكَرَاثا، وهي التي تُعرف اليوم بتلّ موسى، وتصافّوا للحرب، فأرسل مقدّم ميسرة بن أيّوب إلى ابن كنداج يقول (٣٣٤/٧) له: إنني في الميسرة، فاحمل عليّ لأنهزم، ففعل ذلك، فانهزمت ميسرة ابن أيّوب، وتبعها الباقون، فسار حَمدان بن حمدون، وعليُّ بن داود إلى نَيسابور وأخذ ابن أيّوب نحو نَصيبين، فاتّبعه ابن كنداج، فسار ابن أيّوب عن نَصيبين إلى آمِد، واستولى ابن كنداج على نَصيبين وديار ربيعة، واستجار ابن أيّوب بعيسى بن الشيخ الشيبانيّ، وهو بآمِد، فأنجده، وطلب النجدة من أبي المعزّ بن موسى بن زُرارة، وهو بأرْزَن، فأنجده أيضاً، وعاد ابن كنداج إلى الموصل، ووصل إليه من الخليفة المعتمد عهد بولاية الموصل، فعاد إليها، فأرسل إليه ابن الشيخ وابن زُرارة وغيرهما بذلوا له مائتَيْ ألف دينار ليقرّهم على أعمالهم، فلم يجبهم، فاجتمعوا على حربه، فلمّا رأى ذلك أجابهم إلى ما طلبوا وعاد عنهم وقصدوا بلادهم.

وفيها أمر محمّد بن عبد الرحمن بإنشاء مراكب بنهر قُرطُبة، وحملها إلى البحر المحيط، وكان سبب عملها أنّه قيل له إنّ جليقيّة ليس لها مانع من جهة البحر المحيط، إن مُلْكها من هناك سَهْل، فأمر بعمل المراكب، فلمّا فرغت، وكملت برجالها وعدّتها، سيّرها إلى البحر المحيط، فلمّا دخلته المراكب تقطّعت، ولم يجتمع منها مركبان، ولم يرجع منها إلاّ اليسير.

وفيها التقى أسطول المسلمين وأسطول الروم عند صِقِلِّية، فجرى بينهم قتال شديد، فظفر الروم بالمسلمين، وأخذوا مراكبهم، وانهزم من سلم منهم إلى مدينة بَلَرْمَ بصِقِلِّية.

وفيها كان بإفريقية غلاء شديد وقحط عظيم، كادت الأقوات تعدم.(٣٣٥/٧)

وفيها قتل أهل حِمص عاملهم عيسى الكرخيّ.

وفيها أسرى لؤلؤ غلام أحمد بن طولون من رابية بني تميم إلى موسى بن أتامش، وهو برأس عين، فأخذه أسيراً، وسيّره إلى الرُّقّة، ثمّ لقي لؤلؤ أحمد بن موسى بن أتامش ومن معه من الأعراب، فانهزم لؤلؤ، ورجع الأعراب إلى عسكر أحمد لينهبوه، فعطف عليهم لؤلؤ وأصحابه، فانهزموا، فبلغت هزيمتهم قَرْقيسيا، ثمّ ساروا إلى بغداد وسامرّا، وقد ذكرتُ فيما تقدّم أنّ الذي أسر موسى غير لؤلؤ على ما ذكره مؤرّخو مصر.

وفيها كانت بين أحمد بن عبد العزيز وبكتمر وقعة، فانهزم بكتمر، وسار إلى بغداد.

وفيها أوقع الخجُستانيُّ بالحسن بن زيد بجُرجان، وهو غارٌّ، فلحق بآمل، وغلب الخُجُستانيُّ على جُرجان وأطراف طَبَرستان، فكان الحسن لمّا سار عن طبرستان إلى جُرجان استخلف بسارية الحسنَ بن محمّد بن جعفر بن عبد الله بن حسين الأصغر العقيقيّ، فلمّا انهزم الحسن بن زيد أظهر العقيقيُّ بسارية أنّه قُتل، ودعا إلى البيعة لنفسه، فبايعه قوم، ووافاه الحسن بن زيد، فحاربه، ثمّ ظفر به فقتله.

وفيها كانت وقعة بين الخُجُستانيّ وعمرو بن الليث انهزم فيها عمرو، ودخل الخُجُستانيُّ نَيسابور، وأخرج منها عامل عمرو ومن كان يميل إليه.

وفيها كانت فتنة بالمدينة ونواحيها بين العلويّين والجعفريّة.

وفيها وثب الأعراب على كسوة الكعبة فانتهبوها، وصار بعضها إلى صاحب الزنج، وأصاب الحُجّاجَ فيها شدّةٌ شديدة.(٣٣٦/٧)

وفيها خرجت الروم على ديار ربيعة، فاستُنفر الناس، فنفروا في برد شديد لا يمكن فيه دخول الدرب.

وفيها غزا سيما خليفة أحمد بن طولون على الثغور الشامية في ثلاثمائة رجل من أهل طَرَسوس، فخرج عليهم نحو من أربعة آلاف من بلاد هِرَقْلَةَ، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقتل المسلمون خلقاً كثيراً من العدوّ، وأصيب من المسلمين جماعة.

وفيها كانت بمدينة النبيّ ﷺ حرب بين العلويّين والجعفريّين، وغلا السعر بها حتّى تعذّرت الأقوات، وعمّ الغلاء سائر البلاد من الحجاز، والعراق، والموصل، والجزيرة، والشام، وغير ذلك، إلاّ أنّه لم يبلغ الشدّة التي بالمدينة.

وفيها كان الناس في البلاد التي تحت حكم الخليفة جميعها في شدّة عظيمة بتغلّب القوّاد وأمراء الأجناد على الأمر وقلّة المراقبة والأمن من إنكار ما يأتونه ويفعلونه، لاشتغال الموفّق بقتال صاحب الزنج، ولعجز الخليفة المعتمد، واشتغاله بغير ذلك.

وفيها اشتدّ الحرّ في تشرين الثاني، ثمّ اشتدّ فيه البرد حتّى جمد الماء.

وفيها قدم محمّد بن أبي الساج مكّة، فحاربه المخزوميُّ، فهزمه محمّد، واستباح ماله، وذلك يوم التروية.

وفيها سار كَيْغَلغ إلى الجبل وبكتمر راجعاً إلى الدِّينَوَر. وحجّ بالناس (٣٣٧/٧) في هذه السنة هارون بن محمّد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشميُّ.

وفيها توفّي محمّد بن شجاع أبو بكر الثلجيُّ، وكان من أصحاب الحسن بن زياد اللؤلؤيّ صاحب أبي حنيفة. الثلجيُّ بالثاء المعجمة بثلاث والجيم.

وفيها توفّي صالح بن أحمد بن حَنْبَل، وكان مولده سنة ثلاث وثلاثين ومائتين.(٣٣٨/٧)

سنة سبع وستين ومائتين

ذكر أخبار الزنج

وفيها غلب أبو العبّاس بن الموفّق على عامّة ما كان بيد سليمان بن جامع والزنج من أعمال دجلة، وأبو العبّاس هذا هو الذي صار خليفة بعد المعتمد، فلُقّب المعتضد بالله.

وكان سبب مسيره أنّ الزنج لمّا دخلوا واسط، وعملوا بأهلها ما ذكرنا، بلغ ذلك الموفّق، فأمر ابنه بتعجيل المسير بين يديه إليهم، فسار في ربيع الآخر سنة ستّ وستّين ومائتين، وشيّعه أبوه، وسيّر معه عشرة آلاف من الرَّجّالة والخيّالة في العدّة الكاملة، وأخذ معه الشذوات، والسُّمَيريّات، والمعابر للرَّجّالة، فسار حتّى وافى دير العاقول.

وكان على مقدّمته في الشذوات نصير، المعروف بأبي حمزة، فكتب إليه نصير يخبره أنّ سليمان بن جامع قد وافى بخَيْله في شذوات وسُميريّات، والحياتيُّ على مقدّمته، حتّى نزل الجزيرة بحضرة بَرْدَرويا، وأنّ سليمان بن موسى الشعرانيّ قد وافى معرابان بخيله ورجله في سُميريّات، (٣٣٩/٧) فركب أبو العبّاس حتّى

وافى الصُّلْحَ، ووجّه طلائعه ليعرف أخبارهم، فعادوا وأعلموه بموافاة الزنج وجيشهم، وأنّ أوّلهم بالصُّلْحِ، وآخرهم ببستان موسى بن بُغا، أسفل واسط.

وكان سبب جمع الزنج وحشدهم أنّهم قالوا: إنّ أبا العبّاس فتى حدث، غِرٌّ بالحرب، والرأي لنا أن نرميه بحدّنا كلّه، ونجبهه في أوّل مرة نلقاه في إزالته، فلعلّ ذلك يروعه فينصرف عنّا؛ فجمعوا، وحشدوا، فلمّا علم أبو العبّاس قربهم عدل عن سَنن الطريق، واعترض في مسيره، ولقي أصحابه أوائل الزنج، فتطاردوا لهم، حتّى طمعوا فيهم، واغترّوا واتّبعوهم، وجعلوا يقولون: اطلبوا أميراً للحرب، فإنّ أميركم قد اشتغل بالصيد.

فلمّا قربوا منه خرج عليهم فيمن معه من الخيل والرَّجل، وصاح بنصير: إلى أين تتأخّر عن هذه الأكلُب! فرجع نصير، وركب أبو العبّاس سُمَيريّة وحفّ به أصحابه من جميع الجهات، فانهزمت الزنج، وكثر القتل فيهم، وتبعوهم إلى أن وصلوا قرية عبد اللّه، وهي على ستّة فراسخ من الموضع الذي لقوهم به، وأخذوا منهم خمس شذوات، وعدّة سُمَيريّات، وأُسر جماعة، واستأمن جماعة، فكان هذا أوّل الفتح، فسار سليمان بن جامع إلى نهر الأمير، وسار سليمان بن موسى الشعرانيُّ إلى سوق الخميس، وانحدر أبو العبّاس فأقام بالعُمر وهو على فرسخ من واسط، وأصلح شذواته، وجعل يراوح القومَ القتالَ ويغاديهم.

ثمّ إنّ سليمان استعدّ وحشد، وجعل أصحابه في ثلاثة أوجه، وقالوا: إنّه (٣٤٠/٧) حَدَث، غِرٌّ يُغرُّر بنفسه، وكمّنوا كمناء، فبلغ الخبر أبا العبّاس، فحذروا وأقبلوا وقد كمّنوا الكمناء ليغترّ باتّباعهم فيخرج الكمين عليه، فمنع أبو العبّاس أصحابه أن يتبعوهم، فلمّا علموا أنّ كيدهم لم يتمّ خرج سليمان في الشذوات والسُّميريّات، فأمر أبو العبّاس نصيراً أن يبرز إليهم، وركب هو شذاة من شذواته، سمّاها الغزال، ومعه جماعة من خاصّته، وأمر الخيّالة بالمسير بإزائه على شاطىء النهر إلى أن ينقطع، فعبّروا دوابّهم، ونشبت الحرب بين الفريقَيْن، فوقعت الهزيمة على الزنج، وغنم أبو العبّاس منهم أربع عشرة شذاة، وأفلت سليمان والحياتيُّ بعد أن أشفيا على الهلاك، وبلغوا طهثا، وأسلموا ما كان معهم.

ورجع أبو العبّاس إلى معسكره، وأمر بإصلاح ما أخذ منهم من الشذوات والسُّميريّات، وأقام الزنج عشرين يوماً لا يظهر منهم أحد، وجعلوا على طريق الخيل آباراً، وجعلوا فيها سفافيد حديد، وجعلوا على رؤوسها البواريُّ والتراب ليسقط فيها المجتازون، فاتّفق أنّه سقط فيها رجل من الفراغنة، ففطنوا لها، وتركوا ذلك الطريق.

واستمدّ سليمانُ صاحبَ الزنج، فأمدّه بأربعين سُميريّة بآلاتها ومقاتلتها، فعادوا للتعرّض للحرب، فلم يكونوا يثبتون لأبي العبّاس، ثمّ سيّر إليهم عدّة سُميريّات، فأخذها الزنج، فبلغه الخبر وهو يتغدّى، فركب في سُميريّة، ولم ينتظر أصحابه، وتبعه منهم من خفّ، فأدرك الزنج، فانهزموا، وألقوا أنفسهم في الماء، فاستنقذ سُمَيريّاته ومن كان فيها، وأخذ منهم إحدى وثلاثين سُمَيريّة؛ ورمى أبو العبّاس، يومئذ، عن قوس حتّى دميت إبهامه؛ فلمّا رجع أمر لمن معه بالخِلَع، وأمر بإصلاح السُّميريّات المأخوذة من الزنج.

ثمّ إنّ أبا العبّاس رأى أن يتوغّل [في] مازروان حتّى يصير إلى (٣٤١/٧) الحجّاجيّة ونهر الأمير، ويعرف ما هناك، فقدّم نصيراً في أوّل السُّميريّات وركب أبو العبّاس في سُميريّة ومعه محمّد بن شُعَيْب، ودخل مازروان وهو يظنّ أنّ نصيراً أمامه، فلم يقف له على خبر، وكان قد سار على غير طريق أبي العبّاس، وخرج من مع أبي العبّاس من الملاّحين إلى غنم رأوها ليأخذوها، فبقي هو ومحمّد بن شعيب، فأتاهما جمع من الزنج من جانبَي النهر، فقاتلهم أبو العبّاس بالنشّاب، ووافاه زيرك في باقي الشذوات، فسلم أبو العبّاس وعاد إلى عسكره.

ورجع نصير وجمع سليمان بن جامع أصحابه وتحصّن بطهثا، وتحصّن الشعرانيُّ وأصحابه بسوق الخميس، وجعلوا يحملون الغلاّت إليها، وكذلك اجتمع بالصينيّة جمع كثير، فوجّه أبو العبّاس جماعة من قوّاده على الخيل إلى ناحية الصينيّة، وأمرهم بالمسير في البرّ، وإذا عرض لهم نهر عبروه، وركب هو في الشذوات والسُّميريّات، فلمّا أبصرت الزنج الخيل خافوا، ولجؤوا إلى الماء والسفن؛ فلم يلبثوا أن وافتهم الشذا مع أبي العبّاس، فلم يجدوا ملجأ، فاستسلموا، فقُتل منهم فريق، وأُسر فريق، وألقى نفسه في الماء فريق، وأخذ أصحاب أبي العبّاس سفنهم وهي مملوءة أرزّاً، وأخذ الصينيّة، وأزاح الزنج عنها، فانحازوا إلى طهثا وسوق الخميس.

وكان قد رأى أبو العبّاس كُركيّاً، فرماه بسهم، فسقط في عسكر الزنج، فعرف الزنج السهم فزاد ذلك في خوفهم، ورجع أبو العبّاس إلى عسكره وقد فتح الصينيّة.(٣٤٢/٧)

وبلغه أنّ جيشاً عظيماً للزنج مع ثابت بن أبي دُلَف ولؤلؤ الزنجيّين، فسار إليهم، وأوقع بهم وقعة عظيمة وقت السَّحَر، فقتل منهم خلقاً كثيراً، منهم لؤلؤ، وأسر ثابتاً، فمنّ عليه، وجعله مع بعض قوّاده، واستنقذ من النساء خلقاً كثيراً، فأمر بإطلاقهنّ وردّهنّ إلى أهلهنّ، وأخذ كلّ ما كان الزنج جمعوه، وأمر أصحابه أن يستريحوا للمسير إلى سوق الخميس، وأمر نصيراً بتعبئة أصحابه للمسير، فقال له :إنّ نهر سوق الخميس ضيّق، فأقمْ أنت ونسير نحن؛ فأبى عليه، فقال له محمّد بن شعيب : إن كنت لا بد فاعلاً

فلا تكثر من الشذا، ولا من الرجال، فإنّ النهر ضيّق.

فسار إليه، ونصير بين يديه، إلى فم نهر مساور، فوقف أبو العبّاس، وتقدّمه نصير في خمس عشرة شذاة في نهر براطق، وهو الذي يؤدي إلى مدينة الشعرانيّ التي سمّاها المنيعة في سوق الخميس، فلمّا غاب عنه نصير خرج جماعة كبيرة في البرّ على أبي العبّاس، فمنعوه من الوصول إلى المدينة، وقاتلوه قتالاً شديداً من أوّل النهار إلى الظهر، وخفي عليه خبر نصير، وجعل الزنج يقولون : قد قتلنا نصيراً. واغتمّ أبو العبّاس لذلك، وأمر محمّدَ بن شعيب بتعرّف خبره، فسار، فرآه عند عسكر الزنج وقد أحرقه وأضرم النّار في مدينتهم، وهو يقاتلهم قتالاً شديداً، فعاد إلى أبي العبّاس فأخبره، فسُرّ بذلك.

وأسر نصير من الزنج جماعة كثيرة، ورجع حتّى وافى أبا العبّاس (٣٤٣/٧) فأخبره، ووقف أبو العبّاس يقاتلهم، فرجعوا عنه، وكمّن بعض شذواته، وأمر أن يظهر واحدة منها، فطمعوا فيها وتبعوها حتّى أدركوها فعلقوا بسُكانها، فخرجت عليهم السفن المكمّنة وفيها أبو العبّاس، فانهزم الزنج، وغنم أبو العبّاس منهم ستّ سُميريّات، وانهزموا لا يلوون على شيء من الخوف، ورجع إلى عسكره سالماً، وخلع على الملاّحين وأحسن إليهم.

ذكر وصول الموفّق إلى قتال الزنج وفتح المنيعة

وفيها، في صفر، سار الموفّق عن بغداد إلى واسط لحرب الزنج؛ وكان سبب تأخّره عن ابنه أبي العبّاس هذه المدّة أنّه [كان] يجمع ويحشد الفرسان والرجّالة، ويستكثر من العدّة التي يقوى بها على حرب الزنج، ويسدّ الجهات التي يخاف فيها لئلاّ يبقى له ما يشغل قلبه.

إلاّ أنّ الخبيث رئيس الزنج قد أرسل إلى عليّ بن أبان المهلّبيّ يأمره بالاجتماع مع سليمان بن جامع على حرب أبي العبّاس، فخاف وهناً يتطرّق إلى ابنه أبي العبّاس، فسار عن بغداد في صفر، فوصل إلى واسط في ربيع الأوّل، فلقيه ابنه، وأخبره بحال جنده وقوّاده، فخلع عليه وعليهم، ورجع أبو العبّاس إلى معسكره بالعُمر، ثمّ نزل الموفّق على نهر شداد بإزاء قرية عبد اللّه، وأمر ابنه فنزل شرقيّ دجلة بإزاء فوهة بردودا، وولاّه مقدّمته، وأعطى (٣٤٤/٧) الجيش أرزاقهم، وأمر ابنه أن يسير بما معه من آلات الحرب إلى فوهة نهر مُساور، فرحل في نخبة أصحابه، ورحل الموفّق بعده، فنزل فوهة نهر مُساور فأقام يومَيْن.

ثمّ رحل إلى المدينة التي سمّاها صاحب الزنج المنيعة من سوق الخميس يوم الثلاثاء لثمان خلون من ربيع الآخر من هذه السنة، وسلك بالسفن في نهر مُساور، وسارت الخيل بإزائه شرقيّ نهر مُساور، حتّى جاوزوا براطق الذي يوصل إلى المنيعة، وأمر بتعبير الخيل، وتصييرها من الجانبَيْن، وأمر ابنه أبا العبّاس بالتقدّم بالشذا بعامّة الجيش، ففعل، فلقيه الزنج، فحاربوه حرباً شديدة، ووافاهم أبو أحمد الموفّق والخيل من جانبي النهر، فلمّا رأوا ذلك انهزموا وتفرّقوا، وعلا أصحاب أبي العبّاس السور، ووضعوا السيوف فيمن لقيهم، ودخلوا المدينة فقتلوا فيها خلقاً كثيراً، وأسروا عالماً عظيماً، وغنموا ما كان فيها، وهرب الشعرانيُّ ومن معه، وتبعه أصحاب الموفّق إلى البطائح، فغرق منهم خلق كثير، ولجأ الباقون إلى الآجام.

ورجع أبو أحمد إلى معسكره من يومه، وقد استنقذ من المسلمات زُهاء خمسة آلاف امرأة سوى من ظفر به من الزنجيّات، وأمر أبو أحمد بحفظ النساء وحملهنّ إلى واسط ليُدْفعن إلى أهلهنّ، ثمّ بكر إلى المدينة، فأمر الناس بأخذ ما فيها، فأُخذ جميعه، وأمر بهدم سورها، وطمّ خندقها، وإحراق ما بقي فيها من السفن، وأخذوا من الطعام والشعير، والأرزّ، وغير ذلك، ما لا حدّ عليه، فأمر بَبيع ذلك وصرفه إلى الجند.(٣٤٥/٧)

ولمّا انهزم سليمان لحق بالمراز، وكتب إلى الخائن، صاحب الزنج، بذلك، فورد الكتاب عليه وهو يتحدّث، فانحلّ بطنه، فقام إلى الخلاء دفعات، وكتب إلى سليمان بن جامع يحذّره مثل الذي نزل بالشعراني، ويأمره بالتيقّظ.

وأقام الموفّق بنهر مُساور يومَيْن يتعرّف أخبار الشعرانيّ وسليمان بن جامع، فأتاه مَنْ أخبره أنّ سليمان بن جامع بالجوانيت، فسار حتّى وافى الصينيّة، وأمر ابنه أبا العبّاس بالتقدّم بالشذا والسُميريّات إلى الجوانيت مختفياً، فسار أبو العبّاس إليها، فلم ير سليمان بها، ورأى هناك جمعاً من الزنج مع قائدَيْن لهم خلّفهم سليمان بن جامع هناك لحفظ غلاّت كثيرة لهم فيها، فحاربهم أبو العبّاس، ودامت الحرب إلى أن حجز بينهم الليل، واستأمن إلى أبي العبّاس رجل، فسأله عن سليمان بن جامع، وأخبره أنّه مقيم بطهثا، بمدينته التي سمّاها المنصورة، فعاد أبو العبّاس إلى أبيه بالخبر، فأمره بالمسير إليه، فسار حتّى نزل بردودا، فأقام بها لإصلاح ما يحتاج إليه، واستكثر من الآلات التي يسدّ بها الأنهار، ويصلح بها الطرق للخيل، وخلّف ببردودا بُفْراج التركيّ.

ذكر استيلاء الموفّق على طهثا

لمّا فرغ الموفّق من الذي يحتاج إليه سار عن بردودا إلى طهثا لعشر بقين من ربيع الآخر سنة سبع وستّين ومائتين، وكان مسيره على الظهر في خيله، وانحدرت السفن والآلات، فنزل بقرية الجوزية، وعقد جسراً، ثمّ غدا فعبّر خيله عليه، ثمّ عبر بعد ذلك، فسار حتّى نزل معسكراً على ميلين من (٣٤٦/٧) طهثا، فأقام هنالك يومَيْن.

ومطرت السماء مطراً شديداً، فشُغل عن القتال، ثمّ ركب لينظر موضعاً للحرب، فانتهى إلى قريب من سور مدينة سليمان بطهثا، وهي التي سمّاها المنصورة، فتلقّاه خلق كثير، وخرج عليهم كمناء من مواضع شتّى، اشتدّت الحرب، وترجّل جماعة من الفرسان، وقاتلوا حتى خرجوا عن المضيق الذي كانوا فيه، وأسروا من غلمان الموفّق جماعة.

ورمى أبو العبّاس بن الموفّق أحمدَ بن هنديّ الحياميّ بسهم خالط دماغه، فسقط وحُمل إلى العلويّ، صاحب الزنج، فلم يلبث أن مات، فحضره الخبيث، وصلّى عليه، وعظمت لديْه المصيبة بموته، إذا كان أعظم أصحابه غناء عنه.

وانصرف الموفّق إلى عسكره وقت المغرب وأمر أصحابه بالتحارس ليلتهم والتأهّب للحرب، فلمّا أصبحوا، وذلك يوم السبت لثلاث بقين من ربيع الآخر، عبّأ الموفّق أصحابه، وجعلهم كتائب يتلو بعضهم بعضاً، فرساناً ورجّالة، وأمر بالشذا والسُّميريّات أن يُسار بها إلى النهر الذي يشقّ مدينة سليمان، وهو النهر المعروف بنهر المُنذر، ورتّب أصحابه في المواضع التي يخاف منها، ثمّ نزل فصلّى أربع ركعات، وابتهل إلى اللّه تعالى في النصر، ثمّ لبس سلاحه، وأمر ابنه أبا العبّاس أن يتقدّم إلى السور، فتقدّم إليه، فرأى خندقاً، فأحجم النّاس عنه، فحرّضهم قوّادهم وترجّلوا معهم، فاقتحموه وعبروه، وانتهوا إلى الزنج وهم على سورهم. (٣٤٧/٧)

فلمّا رأى الزنج تسرّعهم إليهم ولّوا منهزمين،واتّبعهم أصحاب أبي العبّاس، فدخلوا المدينة، وكان الزنج قد حصّنوها بخمسة خنادق، وجعلوا أمام كلّ خندق سوراً، فجعلوا يقفون عند كلّ سور وخندق، فكشفهم أصحاب أبي العبّاس، ودخلت الشذا والسُّميريّات المدينة من النهر، فجعلت تُغرق كلّ ما مرّت لهم به من سُميريّة وشذاة، وقتلوا مَنْ بجانبي النهر وأسروا حتى أجلوهم عن المدينة وعمّا اتّصل بها، وكان مقدار العمارة فيها فرسخاً.

وحوى الموفّق ذلك كلّه، وأفلت سليمان بن جامع ونفرٌ من أصحابه، وكثر القتل فيهم واالأسر، واستنفذ أبو أحمد من نساء أهل واسط، والكوفة، والقرى، وغيرها، وصبيانهم أكثر من عشرين ألفاً، فأمر أبو أحمد بحملهم إلى واسط، ودفعهم إلى أهليهم؛ وأخذ ما كان فيها من الذخائر والأموال، وأمر بصرفه إلى الأجناد، وأسر من نساء سليمان وأولاده عدّة، وتخلّص من كان أُخذ من أصحاب الموفّق، ونجا جمع كثير إلى الآجام فأمر أصحابه بطلبهم، فأقام سبعة عشر يوماً، وهدم سور المدينة، وطمّ خنادقها، وجعل لكلّ من أتاه برجل منهم جعلاً، فكان إذا أُتيَ بالواحد منهم عفا عنه وضمّه إلى قوّاده وغلمانه، لما كان دبّره من استمالتهم.

وأرسل في طلب سليمان بن جامع، حتى بلغوا دجلة العَوْراء، فلم يظفروا به، وأمر زيرك بالمقام بطهثا ليتراجع إلى تلك الناحية أهلها ويأمنوا. (٣٤٨/٧)

ذكر مسير الموفّق إلى الأهواز وإجلاء الزنج عنها

فلمّا فرغ أبو أحمد الموفّق من المنصورة رحل نحو الأهواز لإصلاحها وإجلاء الزنج عنها، فأمر ابنه أبا العبّاس أن يتقدّمه، فأمر بإصلاح الطريق للجيوش، واستخلف على من ترك من عسكره بواسط ابنه هارون، ولحقه زيرك فأخبره بعود أهل طهثا إليها، وأمّن النّاس، فأمره الموفّق بالانحدار في الشذا والسُّميريّات مع نصير، وتتبُّع المنهزمين، والإيقاع بهم وبمن ظفروا به من الزنج، حتى ينتهي إلى مدينة الخبيث بنهر أبي الخصيب، وسار.

وارتحل الموفّق مستهلّ جمادى الآخرة من واسط حتى أتى السُّوس، وأمر مسروراً بالقدوم عليه، وهو عامله هناك، فأتاه.

وكان الخبيث لمّا بلغه ما عمل الموفّق بسليمان بن جامع والزنج خاف أن يأتيه وهو على حال تفرُّق أصحابه عنه، وكتب إلى عليّ بن أبان بالقدوم عليه، وكان بالأهواز في ثلاثين ألفاً، فترك جميع ما كان عنده من طعام ودوابّ وأغنام وغير ذلك، واستخلف عليه محمّدَ بن يحيى الكرنبائيّ، فلم يُقم، واتّبع عليّاً.

وكتب صاحب الزنج أيضاً إلى بهبود بن عبد الوهّاب، وهو بالفيدم والباسيان، وما اتصل بهما، يأمره بالقدوم عليه، فترك ما كان عنده من الذخائر وسار نحوه، فحوى ذلك جميعه الموفّق، وقوي به على حرب الخبيث.(٣٤٩/٧)

ولمّا سار عليُّ بن أبان عن الأهواز تخلّف بها جمع من أصحابه، زُهاء ألف رجل، فأرسلوا إلى الموفّق يطلبون الأمان فأمّنهم، فقدموا عليه، فأجرى عليهم الأرزاق، ثمّ رحل عن السُّوس إلى جُنْدَ يْسابور، وتُستَر، وجبى الأموال، ووجّه إلى محمد بن عبيد اللّه الكرديّ، وكان خائفاً منه، فأمّنه وعفا عنه، فطلب منه الأموال والعساكر، فحضر عنده فأحسن إليه.

ثمّ رحل إلى عسكر مُكرَم ووافى الأهواز، ثمّ رحل عنها إلى نهر المبارك من فُرات البصرة، وكتب إلى ابنه هارون ليوافيه بجميع الجيش إلى نهر المبارك، فلقيه الجيش بالمبارك منتصف رجب.

وكان زيرك ونصير لمّا خلّفهما الموفّق ليتتبعا الزنج انحدرا حتّى وافيا الأُبُلّة، فاستأمن إليهما رجل أخبرهما أنّ الخبيث قد أنفذ إليهما عدداً كثيراً في الشذا والسُّميريّات إلى دجلة ليمنع عنها من يريدها، فإنّهم يريدون عسكر نصير، وكان عسكره بنهر المَرْأة، فرجع نصير إلى عسكره من الأُبُلّة لمّا بلغه ذلك، وسار زيرك من طريق آخر، لأنّه قدّر أنّ الزنج يأتون عسكر نصير من ذلك الوجه،

فكان كذلك، فلقيهم في طريقهم، فظفر بهم، وانهزموا منه، وكانوا قد جعلوا كميناً، فدلّ زيرك عليه، فتوغّل حتّى أتاه، فقتل من الكمناء جماعة وأسر جماعة.

وكان ممّن ظفر به مقدّم الزنج، وهو أبو عيسى محمّد بن إبراهيم البصريُّ، وهو من أكابر قوّادهم، وأخذ منهم ما يزيد على ثلاثين سُميريّة، فجزع لذلك جميع الزنج، فاستأمن إلى نصير منهم زهاء ألفَيْ رجل، فكتب بذلك إلى الموفّق، فأمره بقبولهم والإقبال إليه بالنهر المبارك، فوافاه هناك. (٣٥٠/٧)

وأمر الموفّقُ ابنه أبا العبّاس بالمسير إلى محاربة العلويّ بنهر أبي الخصيب، فسار إليه، فحاربه من بُكرة إلى الظُّهر، فاستأمن إليه قائد من قوّاد العلويّ ومعه جماعة، فكسر ذلك الخبيث، وعاد أبو العبّاس بالظفر، وكتب الموفّق إلى العلويّ كتاباً يدعوه إلى التوبة والإنابة إلى اللّه تعالى ممّا ركب من سفك الدماء، وانتهاك المحارم، وإخراب البلدان، واستحلال الفروج والأموال، وادّعاء النبوّة والرسالة، ويبذل له الأمان، فوصل الكتاب إليه، فقرأه، ولم يكتب جوابه.

ذكر محاصرة مدينة صاحب الزنج

لمّا أنفذ الموفّق الكتاب إلى العلويّ، ولم يردّ جوابه، عرض عسكره، وأصلح آلاته، ورتّب قوّاده، ثمّ سار هو وابنه أبو العبّاس في العشرين من رجب إلى مدينة الخبيث التي سمّاها المختارة، وأشرف عليها، وتأمّلها ورأى حصانتها بالأسوار والخنادق، وغور الطريق إليها، وما أعدّ من المجانيق والعرّادات والقسيّ وسائر الآلات على سورها، ممّا لم ير مثله لمن تقدّم من منازعي السلطان، ورأى من كثرة عدد المقاتلة ما استعظمه.

فلمّا عاين الزنجُ أصحابَ الموفّق ارتفعت أصواتهم حتّى ارتجّت الأرض، فأمر الموفّق ابنه بالتقدّم إلى سور المدينة والرمي لمن عليه بالسهام، فتقدّم حتّى ألصق شذواته بمُسنّاةِ قصر الخبيث، فكثر الزنج وأصحابهم على أبي العبّاس ومن معه، وتتابعت سهامهم وحجارة مجانيقهم ومقاليعهم، (٣٥١/٧) ورمى عوامهم بالحجارة عن أيديهم، حتّى ما يقع الطرف إلاّ على سهم أو حجر.

وثبت أبو العبّاس، فرأى العلويُّ من صبره وثبات أصحابه ما لم يَرَ مثله من أحد [ممّن] حاربهم، ثمّ أمرهم الموفّق بالرجوع ففعلوا، واستأمن إلى الموفّق مقاتلة في سُميريّتَيْن، فأمّنهم، فخلع على من فيهما من المقاتلة والملاّحين على أقدارهم ووصلهم وأمر بإدنائهم إلى موضع يراهم فيه نظراؤهم، وكان ذلك من أنجع المكايد، فلمّا رآهم الباقون رغبوا في الأمان، وتنافسوا فيه، وابتدروا إليه، فصار إلى الموفّق عدد كثير ذلك اليوم من أصحاب السُّميريّات، فعمّهم بالخِلَع والصِّلات.

فلمّا رأى صاحب الزنج ذلك أمر بردّ أصحاب السُّمَيريّات إلى نهر أبي الخصيب، ووكّل بفوهة النهر من يمنعهم من الخروج، وأمر بهبودَ، وهو من شرّ قوّاده، أن يخرج في الشذوات، فخرج وبرز إليه أبو العبّاس في شذواته، وقاتله، واشتدّت الحرب، فانهزم بهبود إلى فِناء قصر الخبيث، وأصابته طعنتان، وجُرح بالسهام، وأُوهنت أعضاؤه بالحجارة، فأولجوه نهر أبي الخصيب وقد أشفى على الموت، فقُتل ممّن كان معه قائد ذو بأس يقال له عُميرة، وظفر أبو العبّاس بشذاة فقتل أهلها، ورجع هو ومن معه سالمين، فاستأمن إلى أبي العبّاس أهل شذاة منهم، فأمّنهم، وأحسن إليهم، وخلع عليهم.

ورجع الموفّق ومَنْ معه إلى عسكره بالنهر المبارك، واستأمن إليه عند (٣٥٢/٧) منصرفه خلق كثير، فأمّنهم، وخلع عليهم، ووصلهم، وأثبت أسماءهم مع أبي العبّاس، وأقام في عسكره يومَيْن، ثمّ نقل عسكره لستّ بقين من رجب إلى نهر جطّي فنزله، وأقام به إلى منتصف شعبان لم يقاتل.

ثمّ ركب منتصف شعبان في الخيل والرجال وأعدّ الشذا والسُّميريّات، وكان من معه من الجند والمتطوّعة زهاء خمسين ألفاً، وكان من مع الخبيث أكثر من ثلاثمائة ألف إنسان، كلّهم ممّن يقاتل بسيف، أو رمح، أو قوس، أو مقلاع، أو مِنجنيق، وأضعفهم رُماة الحجارة من أيديهم، وهم النظّارة، والنساء تشركهم في ذلك، فأقام أبو أحمد ذلك اليوم، ونودي بالأمان للناس كافّة إلاّ الخبيث، وكتب الأمان في رقاع، ورماها في السهام، ووعد فيها الإحسان، فمالت قلوب أصحاب الخبيث، واستأمن ذلك اليوم خلق كثير، فخلع عليهم ووصلهم، ولم يكن ذلك اليوم حرب.

ثمّ رحل من نهر جَطّى من الغد، فعسكر قرب مدينة الخبيث، ورتّب قوّاده وأجناده، وعيّن لكلّ طائفة موضعاً يحافظون عليه ويضبطونه، وكتب الموفّق إلى البلاد في عمل السُّميريات، والشذوات، والزوارق، والإكثار منها ليضبط بها الأنهار، ليقطع الميرة عن الخبيث، وأسّس في منزلته مدينة سمّاها الموفّقيّة، وكتب إلى عُمّاله في النواحي بحمل الأموال والميرة في البرّ والبحر إلى مدينته، وأمرهم بإنفاذ من يصلح للإثبات في الديوان، وأقام ينتظر ذلك شهراً، فوردت عليه الميرة متتابعة، وجهّز التجار صنوف التجارات إلى (٣٥٣/٧) الموفّقيّة، واتُّخذت فيها الأسواق، ووردتها مراكب البحر، وبنى الموفّق بها المسجد الجامع، وأمر الناس بالصلاة فيه، فجمعت هذه المدينة من المرافق، وسيق إليها من صنوف الأشياء ما لم يكن في مصر من الأمصار القديمة، وحُملت الأموال، وأدرّت الأرزاق.

وعبرت طائفة من الزنج، فنهبوا أطراف عسكر نصير، وأوقعوا

به، فأمر الموفّق نصيراً بجمع عسكره وضبطهم، وأمر الموفّق ابنه أبا العبّاس بالمسير إلى طائفة من الزنج كانوا خارج المدينة، فقاتلهم، فقتل منهم خلقاً كثيراً، وغنم ما كان معهم، فصار إليه طائفة منهم في الأمان، فأمّنهم، وخلع عليهم ووصلهم، وأقام أبو أحمد يكايد الخبيث ببذل الأموال لمن صار إليه، ومحاصرة الباقين، والتضييق عليهم.

وكانت قافلة قد أتت من الأهواز، وأسرى إليها بهبود في سُميريّات فأخذها، وعظم ذلك على الموفّق، وغرم لأهلها ما أُخذ منهم، وأمر بترتيب الشذوات على مخارج الأنهار، وقلّد ابنه أبا العبّاس الشذا، وحفظ الأنهار بها من البحر إلى المكان الذي هم به.

وفي رمضان عبر طائفة من أصحاب الخبيث يريدون الإيقاع بنصير، فنذر بهم الناس، فخرجوا إليهم فردّوهم خائبين، وظفروا بصندل الزنجيّ، وكان يكشف رؤوس المسلمات، ويقلّبهن تقليب الإماء، فلمّا أُتي به أمر الموفّق أن يُرمى بالسهام ثمّ قتله.

واستأمن إلى الموفّق من الزنج خلق كثير، فبلغت عدّة من استأمن إليه (٣٥٤/٧) في آخر رمضان خمسين ألفاً.

وفي شوّال انتخب صاحب الزنج من عسكره خمسة آلاف من شجعانهم وقوّادهم، وأمر عليّ بن أبان المهلّبيّ بالعبور لكبس عسكر الموفّق، فكان فيهم أكثر من مائتيْ قائد، فعبروا ليلاً، واختفوا في آخر النخل، وأمرهم، إذا ظهر أصحابهم، وقاتلوا الموفّق من بين يديه، ظهروا، وحملوا على عسكره وهم غارّون، مشاغيل بحرب مَنْ أمامهم، فأستأمن منهم إنسان من الملاّحين، فأخبر الموفّق، فسيّر ابنه أبا العبّاس لقتالهم وضبْط الطرق التي يسلكونها، فقاتلوا قتالاً شديداً، وأُسر أكثرهم، وغرق منهم خلق كثير، وقُتل بعضهم، ونجا بعضهم، فأمر أبو العبّاس أن يُحمل الأسرى والرؤوس والسُّميريّات ويُعبر بهم على مدينة الخبيث، ففعلوا ذلك.

وبلغ الموفّقَ أنّ الخبيث قال لأصحابه : إنّ الأسرى من المستأمنة، وإنّ الرؤوس تمويه عليهم، فأمر بإلقاء الرؤوس في منجنيق إليهم، فلمّا رأوها عرفوها، فأظهروا الجزع والبكاء، وظهر لهم كذب الخبيث.

وفيها أمر الخبيث باتّخاذ شذوات، فعُملت له، فكانت له خمسون شذاة، فقسّمها بين ثلاثة من قوّاده، وأمرهم بالتعرّض لعسكر الموفّق؛ وكانت شذوات الموفّق يومئذ قليلة لأنّه لم يصل إليه ما أمر بعمله، والتي كانت عنده منها فرّقها على أفواه الأنهار لقطع الميرة عن الخبيث، فخافهم أصحاب الموفّق، فورد عليهم شذوات كان الموفّق أمر بعملها، فسيّر ابنه أبا العبّاس ليوردها خوفاً عليها من الزنج، فلمّا أقبل بها رآها الزنج فعارضوها بشذواتهم، فقصدهم غلام لأبي العبّاس ليمنعهم، وقاتلهم، فانكشفوا بين يديه، وتبعهم حتّى أدخلهم نهر أبي الخصيب، وانقطع عن أصحابه، فعطفوا عليه، فأخذوه ومَنْ (٣٥٥/٧) معه بعد حرب شديدة، فقُتلوا، وسلمت الشذوات مع أبي العبّاس، وأصلحها، ورتّب فيها من يقاتل.

ثمّ أقبلت شذوات العلويّ على عادتها، فخرج إليهم أبو العباس في أصحابه، فقاتلهم فهزمهم، وظفر منهم بعدّة شذوات، فقتل منهم مَنْ ظفر به فيها، فمنع الخبيث أصحابه من الخروج عن فِناء قصره، وقطع أبو العبّاس الميرة عنهم، فاشتدّ جزع الزنج، وطلب جماعة من وجوه أصحابه الأمان، فأُمّنوا، وكان منهم محمّد بن الحارث القُمّيّ، وكان إليه ضبط السور ممّا يلي عسكر الموفّق، فخرج ليلاً، فأمّنه الموفّق، ووصله بصلات كثيرة له ولمن خرج معه، وحمله على عدّة دوابّ بآلاتها وحليتها، وأراد إخراج زوجته فلم يقدر، فأخذها الخبيث فباعها؛ ومنهم أحمد اليربوعيّ، وكان من أشجع رجال العلويّ، وغيرهما، فخلع عليهم، ووصلهم بصلات كثيرة.

ولمّا انقطعت الميرة والموادّ عن العلويّ أمر شبلاً وأبا البذي، وهما من رؤساء قوّاده [الذّين] يثق بهم، بالخروج إلى البطيحة في عشرة آلاف من ثلاثة وجوه للغارة على المسلمين، وقطع الميرة عن الموفّق، فسيّر الموفّق إليهم زيرك في جمع من أصحابه، فلقيهم بنهر ابن عُمر، فرأى كثرتهم، فراعه ذلك، ثمّ استخار اللّه تعالى في قتالهم، فحمل عليهم وقاتلهم، فقذف اللّه تعالى الرُّعب في قلوبهم فانهزموا، ووضع فيهم السيف، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وغرق منهم مثل ذلك، وأسر خلقاً كثيراً، وأخذ من سفنهم ما أمكنه أخذه، وغرّق ما أمكنه تغريقه، وكان ما أخذه من سفنهم نحو أربع مائة سفينة، وأقبل بالأسارى والرؤوس إلى مدينة الموفّق. (٣٥٦/٧)

ذكر عبور الموفّق إلى مدينة صاحب الزنج

وفيها عبر الموفّق إلى مدينة الخبيث لستّ بقين من ذي الحجّة؛ وكان سبب ذلك أنّ جماعة من قوّاد الخبيث لمّا رأوا ما حلّ بهم من البلاء من قِبَل من يظهر منهم، وشدّة الحصار على مَنْ لزم المدينة، وحالَ من خرج بالأمان، جعلوا يهربون من كلّ وجه، ويخرجون إلى الموفّق بالأمان.

فلمّا رأى الخبيث ذلك جعل على الطرق التي يمكنهم الهرب منها مَنْ يحفظها؛ فأرسل جماعة من القوّاد إلى الموفّق يطلبون الأمان، وأن يوجّه لمحاربة الخبيث جيشاً ليجدوا طريقاً إلى المصير إليه، فأمر ابنه أبا العبّاس بالمسير إلى النهر الغربيّ، وبه عليّ بن أبان يحميه فنهض أبو العبّاس ومعه الشذوات، والسُّميريّات،

والمعابر، فقصده، وتحارب هو وعليُّ بن أبان واشتدّت الحرب، واستظهر أبو العبّاس على الزنج، وأمدّ الخبيث أصحابه بسليمان بن جامع في جمع كثير، فاتّصلت الحرب من بُكرة إلى العصر، وكان الظفر لأبي العبّاس، وصار إليه القوم الذين كانوا طلبوا الأمان.

واجتاز أبو العبّاس بمدينة الخبيث عند نهر الأتراك، فرأى قلّة الزنج هناك، فطمع فيهم، فقصدهم أصحابه وقد انصرف أكثرهم إلى الموفّقيّة، فدخلوا ذلك المسلك، وصعد جماعة منهم السور وعليه فريق من الزنج، فقتلوهم، وسمع العلويُّ فجهّز أصحابه لحربهم، فلمّا رأى أبو العبّاس اجتماعهم وحشدهم لحربه مع قلّة أصحابه، رحل فأرسل إلى الموفّق يستمدّه، فأتاه من خفّ من الغلمان، فظهروا على الزنج فهزموهم.(٣٥٧/٧)

وكان سليمان بن جامع لمّا رأى ظهور أبي العبّاس سار في النهر مصعداً في جمع كبير، ثمّ أتى أصحاب أبي العبّاس من خلفهم، وهم يحاربون مَنْ بإزائهم، وخفقت طبوله، فانكشف أصحاب أبي العبّاس، ورجع عليهم من كان انهزم عنهم من الزنج، فأصيب جماعة من غلمان الموفّق وغيرهم، فأخذ الزنج عدّة أعلام، وحامى أبو العبّاس عن أصحابه، فسلم أكثرهم ثمّ انصرف.

وطمع الزنج بهذه الوقعة، وشدّت قلوبهم، فأجمع الموفّق على العبور إلى مدينتهم بجيوشه أجمع، وأمر الناس بالتأهّب، وجمع المعابر والسفن وفرّقها عليهم، وعبر يوم الأربعاء لستّ بقين من ذي الحجّة، وفرّق أصحابه على المدينة ليضطّر الخبيث إلى تفرقة أصحابه، وقصد الموفّق إلى ركن من أركان المدينة، وهو أحصن ما فيها، وقد أنزله الخبيث ابنه، وهو انكلاي، وسليمان بن جامع، وعليّ بن أبان وغيرهم، وعليه من المجانيق والآلات للقتال ما لا حدّ [له].

فلمّا التقى الجمعان أمر الموفّق غلمانه بالدنوّ من ذلك الركن، وبينهم وبين ذلك السور نهر الأتراك، وهو نهر عريض كثير الماء، فأحجموا عنه، فصاح بهم الموفّق، وحرّضهم على العبور، فعبروا سباحةً، والزنج ترميهم بالمجانيق، والمقاليع، والحجارة، والسهام، فصبروا حتّى جاوزوا النهر وانتهوا إلى السور، ولم يكن عبر معهم من الفَعَلة مَنْ كان أُعدّ لهدم السور، فتولّى الغلمان تشعيث السور بما كان معهم من السلاح، وسهّل اللّه تعالى ذلك، وكان معهم بعض السلاليم، فصعدوا على ذلك الركن، ونصبوا علماً من أعلام الموفّق، فانهزم الزنج عنه، وأسلموه بعد قتال شديد، وقُتل من الفريقَيْن خلق كثير؛ ولمّا علا أصحاب الموفّق السور أحرقوا ما كان عليه من مِنجنيق وقوس وغير ذلك.(٣٥٨/٧)

وكان أبو العبّاس قصد ناحية أخرى، فمضى عليُّ بن أبان إلى مقاتلته، فهزمه أبو العبّاس، وقتل جمعاً كثيراً من أصحابه ونجا عليٌّ، ووصل أصحاب أبي العبّاس إلى السور، فثلموا فيه ثلمة ودخلوه، فلقيهم سليمان ابن جامع، فقاتلهم حتّى ردّهم إلى مواضعهم؛ ثمّ إنّ الفَعَلة وافوا السور فهدموه في عدّة مواضع، فعملوا على الخندق جسراً، فعبر عليه الناس من ناحية الموفّق، فانهزم الزنج عن سُور باب كانوا قد اعتصموا به، وانهزم الناس معهم، وأصحاب الموفّق يقتلونهم، حتّى انتهوا إلى نهر ابن سمعان، وقد صارت دار ابن سمعان في أيدي أصحاب الموفّق، فأحرقوها، وقاتلهم الزنج هناك، ثمّ انهزموا حتّى بلغوا ميدان الخبيث، فركب في جمع من أصحابه، فانهزم أصحابه عنه، وقرب منه بعض رجّالة الموفّق، فضرب وجه فرسه بترسه، وكان ذلك مع مغيب الشمس، فأمر الموفّق الناس بالرجوع، فرجعوا ومعهم من رؤوس أصحاب الخبيث شيء كثير.

وكان قد استأمن إلى أبي العبّاس أوّل النهار نفر من قوّاد الخبيث، فتوقّف عليهم حتّى حملهم في السفن، وأظلم الليل، وهبّت ريح عاصف، وقوي الجزر، فلصق أكثر السفن بالطين، فخرج جماعة من الزنج فنالوا منها، وقتلوا فيها نفراً، وكان بهبود بإزاء مسرور البَلْخيّ، فأوقع بأصحاب مسرور، وقتل منهم جماعة، وأُسر جماعة، فكسر ذلك من نشاط أصحاب الموفّق.

وكان بعض أصحاب الخبيث قد انهزم على وجهه نحو نهر الأمير، والقِنْدَل، وعَبّادان، وهرب جماعة من الأعراب إلى البصرة، وأرسلوا يطلبون الأمان (٣٥٩/٧) فأمّنهم الموفّق، وخلع عليهم، وأجرى الأرزاق عليهم، وكان ممّن رغب في الأمان من قوّاد الفاجر ريحان بن صالح المغربيُّ، وكان من رؤساء أصحابه، أرسل يطلب الأمان، وأن يرسل جماعة إلى مكان ذكره ليخرج إليهم، ففعل الموفّق، فصار إليه فخلع عليه، وأحسن إليه ووصله، وضمّه إلى أبي العبّاس، واستأمن من بعده جماعة من أصحابه؛ وكان خروج ريحان لليلة بقيت من ذي الحجّة من السنة.

ذكر الحرب بين الخوارج ببلد الموصل

في هذه السنة كان بين هارون الخارجيّ وبين محمّد بن خرزاد، وهو من الخوارج أيضاً، وقعة ببعدرى من أعمال الموصل.

وسبب ذلك أنّا قد ذكرنا سنة ثلاث وستّين ومائتين، الحرب الحادثة بين هارون ومحمّد بعد موت مساور، فلمّا كان الآن جمع محمّد بن خرزاد أصحابه وسار إلى هارون محارباً له، فنزل واسط، وهي محلّة بالقرب من الموصل، وكان يركب البقر لئلا يفرّ من القتال، ويلبس الصوف الغليظ، ويرقع ثيابه، وكان كثير العبادة والنُسك، ويجلس على الأرض ليس بينها وبينه حائل.

فلمّا نزل واسط خرج إليه وجوه أهل الموصل، وكان هارون بمَعْلَثايا (٣٦٠/٧) يجمع لحرب محمّد، فلمّا سمع بنزول محمّد

عند الموصل سار إليه ورحل ابن خرزاد نحوه، فالتقوا بالقرب من قرية شمرخ، واقتتلوا قتالاً شديداً كان فيه مبارزة وحملات كثيرة، فانهزم هارون، وقُتل من أصحابه نحو مائتَيْ رجل، منهم جماعة من الفرسان المشهورين، ومضى هارون منهزماً، فعبر دجلة إلى العرب قاصداً بني تغلب، فنصروه واجتمعوا إليه، ورجع ابن خرزاد من حَيْث أقبل، وعاد هارون إلى الحديثة،فاجتمع عليه خلق كثير، وكاتب أصحابَ ابن خرزاد، واستمالهم، فأتاه منهم الكثير، ولم يبق مع ابن خرزاد إلاّ عشيرته من الشَّمْرَدَليّة، وهم من أهل شَهْرَزور، وإنّما فارقه أصحابه لأنّه كان خشن العيش، وهو ببلد شَهْرَزور، وهو بلد كثير الأعداء، من الأكراد وغيرهم.

وكان هارون ببلد الموصل قد صلح حاله وحال أصحابه، فلمّا رأى أصحاب ابن خرزاد ذلك مالوا إليه وقصدوه، وواقع ابن خرزاد بنواحي شَهرزور الأكراد الجَلاليّة وغيرهم، فقُتل، تفرّد هارون بالرئاسة على الخوارج، وقوي وكثر أتباعه، وغلبوا على القرى والرساتيق، وجعلوا على دجلة من يأخذ الزكاة من الأموال المنحدرة والمصعدة، وبثّوا نوّابهم في الرساتيق يأخذون الأعشار من الغلاّت. (٣٦١/٧)

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ابتدر ابن حفصون بالأندلس بالخلاف على محمّد بن عبد الرحمن، صاحب الأندلس، بناحية رَيّة، فخرج إليه جيش من تلك الناحية مع عاملها، فقاتله، فانهزم الجيش، وقوي أمر عمر بن حَفصون، وشاع ذكره، وأتاه من يريد الشرّ والفساد، فسيّر محمّد، صاحب الأندلس، عاملاً آخر في جيش، فصالحه عمر، فطلب العامل كلّ من كان له أثر في مساعدة عمر، فأهلكه، وفيهم من أبعده، فاستقامت تلك الناحية.

وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام، ومصر، وبلاد الجزيرة، وإفريقية، والأندلس، وكان قبلها هدّة عظيمة قوية.

وفيها وليَ جزيرة صِقلّية الحسن بن العبّاس، فبثّ السرايا إلى كلّ ناحية، وخرج إلى قطانية فأفسد زرعها وزرع طَبَرْمين،وقطع أشجارها، وسار إلى بقارة فأفسد زرعها، وانصرف إلى بَلَرْم، وأخرجت الروم سرايا فأصابوا من المسلمين كثيراً، وذلك أيام الحسن بن العبّاس.

وفيها حبس السلطان محمّدَ بن عبد الله بن طاهر وعدّة من أهل بيته، بعد ظفر الخُجُسْتانيّ بعمرو بن الليث، وكان عمرو اتّهمه بمكاتبة الخُجُسْتانيّ والحسين بن طاهر، حيث كان يذكر أنّه على منابر خراسان.

وفيها كانت بين كَيْغَلغ التركيّ وبين أصحاب أحمد بن عبد العزيز (٣٦٢/٧) ابن أبي دُلَف حرب انهزم فيها أصحاب أحمد، وسار كَيْغَلغ إلى هَمَذان، فوفاه أحمد بن عبد العزيز فيمن اجتمع إليه من أصحابه، فانهزم كيغلغ وانحاز إلى الصَّيْمرة.

وفيها في ربيع الآخر ماتت أمّ حبيب بنت الرشيد.

وفيها كانت وقعة بين إسحاق بن كنداجيق، وإسحاق بن أيّوب، وعيسى ابن الشيخ، وأبي المغرا، وحمدان بن حمدون، ومن اجتمع إليهم من ربيعة، وتغلب، وبكر، واليمن، فهزمهم ابن كنداجيق إلى نَصيبين، وتبعهم إلى آمِد، وخلّف على آمِد من حصر عيسى، فكانت بينهم وقعات عند آمِد.

وفيها دخل الخُجُسْتانيُّ نَيسابور، وانهزم عمرو بن الليث وأصحابه، فأساء السيرة في أهلها، وهدم دور مُعاذ بن مسلم، وضرب من قدر عليه منهم وترك ذكر محمّد بن طاهر، ودعا للمعتمد ولنفسه.

وفيها في شوّال كانت لأصحاب أبي الساج وقعة بالهيصم العجليّ قتلوا فيها مقدّمته، وغنموا عسكره.

وفيها أقبل أحمد بن عبد الله الخُجُسْتانيُّ يريد العراق، فبلغ سَمْنَانَ، وتحصّن منه أهل الرَّيّ، فرجع إلى خُراسان.

وفيها رجع خلق كثير من الحجّاج من طريق مكّة لشدّة الحرّ، ومضى خلق كثير، فمات منهم عالم عظيم من الحرّ والعطش، وذاك كلّه في البيداء، (٣٦٣/٧) وأوقعت فزارة فيها بالتُّجّار، فأفخذ فيما قيل قبل سبع مائة حمل بزّ.

وفيها نُفي الطبّاع من سامرّا. وفيها ضَربَ الخُجُسْتانيُّ لنفسه دنانير ودراهم، وحجّ بالناس هارون بن محمّد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشميُّ.

وفيها توفّي محمّد بن حمّاد بن بكر بن حمّاد أبو بكر المقرئ، صاحب خلف بن هاشم، في ربيع الآخر، ببغداد. (٣٦٤/٧)

سنة ثمان وستين ومائتين

ذكر أخبار الزنج

في هذه السنة في المحرّم خرج إلى الموفّق من قوّاد الخبيث جعفرُ بن إبراهيم المعروفُ بالسحان، وكان من ثقات الخبيث، فارتاع لذلك، وخلع عليه الموفّق، وأحسن إليه، وحمله في سُميريّة إلى إزاء قصر الخبيث، فكلّم الناسَ من أصحابه، وأخبرهم أنّهم في غرور، وأعلمهم بما وقف عليه من كذب الخبيث وفجوره، فاستأمن في ذلك اليوم خلق كثير من قوّاد الزنج وغيرهم، فأحسن إليهم الموفّق، وتتابع الناس في طلب الأمان.

ثمّ أقام الموفّق لا يحارب ليريح أصحابه إلى شهر ربيع الآخر، فلمّا انتصف ربيع الآخر قصد الموفّق إلى مدينة الخبيث، وفرّق قوّاده على جهاتها، وجعل مع كلّ طائفة منهم من النقّابين جماعة لهدم السور، وتقدّم إلى جميعهم أن لا يزيدوا على هدم السور، ولا يدخلوا المدينة، وتقدّم إلى الرماة أن يحموا بالسهام من يهدم السور وينقبه، فتقدّموا إلى المدينة من جهاتها وقابلوها، فوصلوا إلى السور، وثلموه في مواضع كثيرة.

ودخل أصحاب الموفّق من جميع تلك الثلم، وجاء أصحاب الخبيث (٣٦٥/٧) يحاربونهم، فهزمهم أصحاب الموفّق وتبعوهم حتّى أوغلوا في طلبهم، فاختلفت بهم طرق المدينة، فبلغوا أبعد من الموضع الذي وصلوا إليه في المرّة الأولى، وأحرقوا، وأسروا، وتراجع الزنج عليهم، وخرج الكمناء من مواضع يعرفونها ويجهلها الآخرون، فتحيّروا، ودافعوا عن أنفسهم، وتراجعوا نحو دجلة بعد أن قُتل منهم جماعة، وأخذ الزنج أسلابهم.

ورجع الموفّق إلى مدينته، وأمر بجمعهم، فلامهم على مخالفة أمره، والإفساد عليه من رأيه وتدبيره، وأمر بإحصاء مَنْ فُقد، وأقرّ ما كان لهم من رزق على أولادهم وأهليهم، فحسن ذلك عندهم وزاد في صحّة نيّاتهم.

ذكر الوقعة بين المعتضد والأعراب

وفي هذه السنة أوقع أبو العبّاس أحمد بن الموفّق، وهو المعتضد باللّه، بقوم من الأعراب كانوا يحملون الميرة إلى عسكر الخبيث، فقتل منهم جماعة، وأسر الباقين، وغنم ما كان معهم، وأرسل إلى البصرة من أقام بها لأجل قطع الميرة.

وسيّر الموفّق رشيقاً، مولى أبي العبّاس، فأوقع بقوم من بني تميم كانوا يجلبون الميرة إلى الخبيث، فقتل أكثرهم، وأسر جماعة منهم، فحمل الأسرى والرؤوس إلى الموفّقيّة، فأمر بهم الموفّق، فوقفوا بإزاء عسكر الزنج، وكان فيهم رجل يسفر بين صاحب الزنج والأعراب بجلب الميرة، فقُطعت (٣٦٦/٧) يده ورجله، وأُلقي في عسكر الخبيث، وأمر بضرب أعناق الأسارى، وانقطعت الميرة بذلك عن الخبيث بالكليّة، فأضرّ بهم الحصار، وأضعف أبدانهم، فكان يُسأل الأسير والمستأمن عن عهده بالخبز فيقول: عهدي به مُنذ زمان طويل.

فلمّا وصلوا إلى هذا الحال رأى الموفّق أن يتابع عليهم الحرب ليزيدهم ضرّاً وجهداً، فكثر المستأمنون في هذا الوقت، وخرج كثير من أصحاب الخبيث، فتفرّقوا في القرى والأنهار البعيدة في طلب القوت، فبلغ ذلك الموفّق، فأمر جماعة من قوّاد غلمانه السودان بقصد تلك المواضع ودعوة من بها إليه، فمن أبى قتلوه، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأتاه أكثر منهم.

فلمّا كثر المستأمنون عند الموفّق عرضهم، فمن كان ذا قوّة وجَلَد أحسن إليه وخلطه بغلمانه، ومن كان منهم ضعيفاً، أو شيخاً، أو جريحاً قد أزمنته الجراحة كساه، وأعطاه دراهم، وأمر به أن يُحمل إلى عسكر الخبيث فيُلقي هناك، ويؤمر بذكر ما رأى من إحسان الموفّق إلى من صار إليه، وأن ذلك رأيه فيهم. فتهيأ له بذلك ما أراد من استمالة أصحاب الخبيث.

وجعل الموفّق وابنه أبو العبّاس يلازمان قتال الخبيث تارة هذا وتارة هذا، وجُرح أبو العبّاس ثمّ برأ. (٣٦٧/٧) وكان من جملة من قُتل من أعيان قوّاد الخبيث بَهْبُود بن عبد الوهّاب، وكان كثير الخروج في السُّميريّات، وكان ينصب عليها أعلاماً تشبه أعلام الموفّق، فإذا رأى مَنْ يستضعفه أخذه، وأخذ من ذلك مالاً جزيلاً، فواقعه في بعض خرجاته أبو العبّاس، فأفلت بعد أن أشفى على الهلاك، ثمّ إنّه خرج مرّة أخرى فرأى سميريّة فيها بعض أصحاب أبي العبّاس، فقصدها طامعاً في أخذها، فحاربه أهلها، فطعنه غلام من غلمان أبي العبّاس في بطنه فسقط في الماء، فأخذه أصحابه، فحملوه إلى عسكر الخبيث، فمات قبل وصوله، فأراح اللّه المسلمين من شرّه.

وكان قتله من أعظم الفتوح، وعظمت الفجيعة على الخبيث وأصحابه، واشتدّ جزعهم عليه، وبلغ الخبر الموفّق بقتله، فأحضر ذلك الغلام، فوصله، وكساه، وطوّقه، وزاد في أرزاقه، وفعل بكلّ من كان معه في تلك السُّميريّة نحو ذلك؛ ثمّ ظفر الموفّق بالدوابنيّ وكان ممايلاً لصاحب الزنج.

ذكر أخبار رافع بن هَرثمة

لمّا قُتل أحمد بن عبد اللّه الخُجُسْتانيُّ، على ما ذكرناه، وكان قتله هذه السنة، اتّفق أصحابه على رافع بن هَرثمة فولّوه أمرهم.

وكان رافع هذا من أصحاب محمّد بن طاهر بن عبد اللّه بن طاهر، فلمّا استولى يعقوب بن الليث على نَيسابور، وأزال الطاهريّة، وصار رافع في جُملته؛ (٣٦٨/٧) فلمّا عاد يعقوب إلى سِجستان صحبه رافع؛ وكان طويل اللحية، كريه الوجه، قليل الطلاقة، فدخل يوماً على يعقوب، فلمّا خرج من عنده قال: أنا لا أميل إلى هذا الرجل، فليلحق بما شاء من البلاد؛ فقيل له ذلك، ففارقه وعاد إلى منزله بتامين، وهي من باذَغِيس، وأقام به إلى أن استقدمه الخُجُسْتانيُّ، على ما ذكرناه، وجعله صاحب جيشه.

فلمّا قُتل الخُجُسْتانيُّ اجتمع الجيش عليه، وهو بهراة، فأمّروه كما ذكرنا، وسار رافع من هَراة إلى نَيسابور، وكان أبو طلحة بن شركُب قد وردها من جُرجان، فحصره فيها رافع وقطع الميرة عنه وعن نَيسابور، فاشتد الغلاء بها، ففارقها أبو طلحة، ودخلها رافع فأقام بها وذلك سنة تسع وستّين ومائتين، فسار أبو طلحة إلى مرو،

وولّى محمّد بن مهتدي هَراة، وخطب لمحمّد بن طاهر بمرو وهَراة، فقصده عمرو بن الليث، فحاربه، فهزمه، واستخلف عمرو بمرو محمّدَ بن سهل بن هاشم، وعاد عنها، وخرج شركُب إلى بيكَنْدَ، واستعان بإسماعيل بن أحمد السامانيّ، فأمدّه بعسكره، فعاد إلى مرو، فأخرج عنها محمّدَ بن سهل، وأغار على أهل البلد، وخطب لعمرو بن الليث، وذلك في شعبان سنة إحدى وسبعين [ومائتين].

وقلّد الموفّقُ تلك السنة أعمال خُراسان محمّدَ بن طاهر، وكان ببغداد، فاستخلف محمّدٌ على أعماله رافعَ بن هَرثمة، ما خلا ما وراء النهر فإنّه أقرّ عليه نصر بن أحمد، ووردت كتب الموفّق إلى خُراسان بذلك، وبعزل عمرو بن الليث ولعنه، فسار رافع إلى هَراة وبها محمّد بن مُهتدي، خليفة أبي طلحة شركُب، فقتله يوسف بن معبد وأقام بهراة، فلمّا وافاه رافع استأمن إليه يوسف فأمّنه وعفا عنه، فاستعمل على هَراة مهدي بن محسن، (٣٦٩/٧) فاستمدّ رافعٌ إسماعيلَ بن أحمد، فسار إليه بنفسه في أربعة آلاف فارس، واستقدم رافع أيضاً عليَّ بن الحسين المَرْوَرُوذِيَّ، فقدم عليه، فساروا بأجمعهم إلى شركُب، وهو بمرو، فحاربوه فهزموه، وعاد إسماعيل إلى محازل (؟) وذلك سنة اثنتين وسبعين ومائتين، فسار شركُب إلى هَراة، فطابقه مهدي وخالف رافعاً، فقصدهما رافع فهزمهما.

وأمّا شركُب فإنّه لحق بعمرو بن الليث؛ وأمّا مهدي فإنّه اختفى في سرب، فدُلَّ عليه رافع، فأخذه وقال له: تبّاً لك يا قليل الوفاء! ثمّ عفا عنه وخلّى سبيله، وسار رافع إلى خُوارِزْمَ سنة اثنتين وسبعين [ومائتين]، فجبى أموالها ورجع إلى نَيسابور.

ذكر الحوادث بالأندلس وبإفريقية

في هذه السنة سيّر محمّد بن عبد الرحمن، صاحب الأندلس، جيشاً مع ابنه المنذر إلى المخالفين عليه، فقصد مدينة سَرَقُسطة، فأهلك زرعها، وخرّب بلدها، وافتتح حصن روطة، فأخذ منه عبد الواحد الروطيّ، وهو من أشجع أهل زمانه، وتقدّم إلى دير تروجة، وبلد محمّد بن مركب بن موسى، فهتكهما بالغارة، وقصد مدينة لاردة وقَرْطَاجَنّة فكان فيها إسماعيل بن موسى، فحاربه، فأذعن إسماعيل بالطاعة، وترك الخلاف وأعطى رهائنه على ذلك، (٣٧٠/٧) وقصد مدينة أنقرة (؟) وهي للمشركين، فافتتح هنالك حصوناً وعاد.

وفيها أوقع إبراهيم بن أحمد بن الأغلب بأهل بلد الزاب، وكان قد حضر وجوههم عنده، فأحسن إليهم، ووصلهم، وكساهم، وحمّلهم، ثمّ قتل أكثرهم، حتّى الأطفال، وحملهم على العَجَل إلى حفرة فألقاهم فيها.

وفيها سارت سريّة بصِقِلّية مقدّمها رجل يُعرف بأبي الثور، فلقيهم جيش الروم، فأصيب المسلمون كلّهم غيرَ سبعة نفر، وعُزل الحسن بن العبّاس عن صِقلّية، ووليَها محمّد بن الفضل، فبثّ السرايا في كلّ ناحية من صِقلّية وخرج هو في حشد وجمع عظيم، فسار إلى مدينة قَطَانية فأهلك زرعها، ثمّ رحل إلى أصحاب الشَّلَندية فقاتلهم، فأصاب فيهم فأكثر القتل، ثمّ رحل إلى طَبَرْمين فأفسد زرعها، ثمّ رحل فلقي عساكر الروم، فاقتتلوا، فانهزم الروم، وقُتل أكثرهم فكانت عدّة القتلى ثلاثة آلاف قتيل، ووصلت رؤوسهم إلى بَلَرْمَ.

ثمّ سار المسلمون إلى قلعة كان الروم بنوها عن قريب، وسمّوها مدينة الملك، فملكها المسلمون عنوةً، وقتلوا مقاتلتها، وسبوا من فيها.

ذكر عدّة حوادث

فيها سار عمرو بن الليث إلى فارس لحرب عاملها محمّد بن الليث عليها، فهزمه عمرو، واستباح عسكره، ونجا محمّد، ودخل عمرو إصْطَخْرَ، فنهبها وأصحابه، ووجّه في طلب محمّد، فظفر به، وأخذه أسيراً، ثمّ سار إلى شيراز فأقام بها. (٣٧١/٧)

وفيها زلزلت بغداد في ربيع الأوّل، ووقع بها أربع صواعق.

وفيها زحف العبّاس بن أحمد بن طولون لحرب أبيه، فخرج إليه أبوه إلى الإسكندريّة، فظفر به، وردّه إلى مصر، فرجع معه إليها، وقد تقدّم خبره سابقاً.

وفيها أوقع أخو شركُب بالخُجُسْتانيّ وأخذ أمّه.

وفيها وثب ابن شبث بن الحسين، فأسر عمر بن سيما عامل حُلوان.

وفيها انصرف أحمد بن أبي الأصبغ من عند عمرو بن الليث، وكان عمرو قد أنفذه إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلَف، فقدم معه بمال، فأرسل عمرو إلى الموفّق من المال ثلاثمائة دينار، وخمسين منّاً مسكاً، وخمسين منّاً عنبراً، ومائتَيْ منّ عُود، وثلثمائة ثوب وشي، وآنية ذهب وفضّة، ودوابّ، وغلماناً بقيمة مائتَيْ ألف دينار.

وفيها وليَ كَيْغَلَغُ الخليل بن رمال حُلوانَ، فنالهم بالمكاره بسبب عمر ابن سيما، وأخذهم بجريرة ابن شبث، وضمنوا له خلاص عمر وإصلاح ابن شبث.

وفيها كانت وقعة بين أذكوتكين بن أساتكين وبين أحمد بن عبد العزيز ابن أبي دُلَف، فهزمه أذكوتكين، وغلبه على قُمّ. (٣٧٢/٧)

وفيها وجّه عمرو بن الليث قائداً بأمر أبي أحمد إلى محمّد بن عبيد الله الكرديّ، فأسره القائد وحمله إليه.

وفيها، في ذي القعدة، خرج بالشام رجل من ولد عبد الملك بن صالح الهاشميّ يقال له بكّار بين سَلَمِيَة وحلَب وحِمص، فدعا لأبي أحمد، فحاربه ابن عبّاس الكلابيُّ، فانهزم الكلابيُّ، فوجّه إليه لؤلؤ صاحب ابن طولون قائداً يقال له يوذر في عسكر، فرجع وليس معه كبير أمر.

وفيها أظهر لؤلؤ الخلاف على مولاه أحمد بن طولون.

وفيها قُتل أحمد بن عبد الله الخُجُسْتانيُّ في ذي الحجّة، قتله غلام له.

وفيها قتل أصحاب أبي الساج محمّدَ بن عليّ بن حبيب اليشكُريّ بالقرية، بناحية واسط، ونُصب رأسه ببغداد.

وفيها حارب محمّدُ بن كيجور عليَّ بن الحسين كفتمر، فأسر كفتمر ثمّ أطلقه، وذلك في ذي الحجّة.

وفيها سار أبو المُغيرة المخزوميُّ إلى مكّة، وعاملُها هارون بن محمّد الهاشميُّ، فجمع هارون جمعاً احتمى بهم، فسار المخزوميُّ إلى مُشَاشَ فغوّر ماءها، وإلى جُدّة فنهب الطعام، وأحرق بيوت أهلها، فصار الخبز بمكّة أوقيتان بدرهم.

وفيها خرج ملك الروم المعروف بابن الصَّقْلَبيّة، فنازل مَلَطْيَة، فأعانهم أهل مَرْعَش والحدث، فانهزم ملك الروم. (٣٧٣/٧)

وغزا الصائفة، من ناحية الثغور الشاميّة، الفرغانيُّ، عامل ابن طولون فقتل من الروم بضعة عشر ألفاً، وغنم الناس، فبلغ السهم أربعين ديناراً.

وحجّ بالناس فيها هارون بن محمّد بن إسحاق الهاشميُّ، وابن أبي الساج على الأحداث والطريق.

وفيها مات محمّد بن عبد الله بن عبد الحكم البصريُّ، الفقيه المالكيُّ وكان قد صحب الشافعيَّ، وأخذ عنه العلم. (٣٧٤/٧)

سنة تسع وستين ومائتين

ذكر أخبار الزنج

وفي هذه السنة رُميَ الموفّق بسهم في صدره؛ وكان سبب ذلك أن بهبود لمّا هلك طمع العلويُّ في مَا لهُ من الأموال، وكان قد صحّ عنده أنّ ملكه قد حوى مائتَيْ ألف دينار، وجوهراً، وفضّة، فطلب ذلك، وأخذ أهله وأصحابه فضربهم، وهدم أبنيته طمعاً في المال، فلم يجد شيئاً، فكان فِعْله ممّا أفسد قلوب أصحاب عليه، ودعاهم إلى الهرب منه، فأمر الموفّق بالنداء بالأمان في أصحاب بهبود، فسارعوا إليه فألحقهم في العطاء بمن تقدّم.

ورأى الموفّق ما كان يتعذّر عليه من العبور إلى الزنج في الأوقات التي تهبّ فيها الرياح لتحرّك الأمواج، فعزم على أن يوسّع لنفسه ولأصحابه موضعاً في الجانب الغربيّ، فأمر بقطع النخل وإصلاح المكان وأن يُعمل له الخنادق والسور ليأمن البَيَات، وجعل حماية العاملين فيه نوباً على قوّاده.

فعلم صاحب الزنج وأصحابه أنّ الموفّق إذا جاورهم قرب على من يريد اللحاق به المسافة مع ما يدخل قلوب أصحابه من الخوف، وانتقاض تدبيره عليه، فاهتمّوا بمنع الموفّق من ذلك، وبذل الجهد فيه، وقاتلوا أشدّ قتال، فاتّفق أنّ الريح عصفت في بعض تلك الأيّام وقائد من القوّاد هناك، فانتهز (٣٧٥/٧) الخبيث الفرصة في إنفاذ هذا القائد وانقطاع المدد عنه، فسيّر إليه جميع أصحابه، فقاتلوه، فهزموه، وقتلوا كثيراً من أصحابه، ولم تجد الشذوات التي لأصحاب الموفّق سبيلاً إلى القرب منهم خوفاً من الزنج أن تلقيها على الحجارة فتكسر، فغلب الزنج عليهم، وأكثروا القتل والأسر، ومن سلم منهم ألقى نفسه في الشذوات وعبروا إلى الموفّقيّة، فعظم ذلك على الناس.

ونظر الموفّق فرأى أنّ نزوله بالجانب الغربيّ لا يأمن عليه حيلة الزنج وصاحبهم، وانتهاز فرصة، لكثرة الأدغال، وصعوبة المسالك، وأنّ الزنج أعرف بتلك المضايق وأجرأ عليها من أصحابه، فترك ذلك، وجعل قصده إلى هدم سور الفاسق وتوسعة الطريق والمسالك، فأمر بهدم السور من ناحية النهر المعروف بمنكي، وباشر الحرب بنفسه، واشتدّ القتال، وكثر القتل والجراح من الجانبين، ودام ذلك أيّاماً عدّة.

وكان أصحاب الموفّق لا يستطيعون الولوج لقنطرتَيْن كانتا في نهر منكي، كان الزنج يعبرون عليهما وقت القتال، فيأتون أصحاب الموفّق من وراء ظهورهم فينالون منهم، فعمل الحيلة في إزالتهما، فأمر أصحابه بقصدهما عند اشتغال الزنج وغفلتهم عن حراستهما، وأمرهم أن يُعدّوا الفؤوس والمناشير، وما يحتاجون إليه من الآلات، ففعلوا القنطرة الأولى نصف النهار، فأتاهم الزنج لمنعهم، فاقتتلوا، فانهزم الزنج، وكان مقدّمهم أبو النَّدى، فأصابه سهم في صدره فقتله، وقطع أصحاب الموفّق القنطرتَيْن ورجعوا.

وألحّ الموفّق على الخبيث بالحرب، وهدم أصحابه من السور ما أمكنهم، ودخلوا المدينة وقاتلوا فيها، وانتهوا إلى داري ابن سمعان وسليمان بن جامع، (٣٧٦/٧) فهدموهما ونهبوا ما فيهما، وانتهوا إلى سُوَيقة للخبيث، سمّاها الميمونة فهُدمت وأُخربت، وهدموا دار الحياتيّ، وانتهبوا ما كان فيها من خزائن الفاسق،

وتقدّموا إلى الجامع ليهدموه، فاشتدّت محاماة الزنج عنه، فلم يصل إليه أصحاب الموفّق لأنّه كان قد خلص مع الخبيث نخبة أصحابه وأرباب البصائر، فكان أحدهم يُقتل، أو يُجرح، فيجذبه الذي إلى جنبه ويقف مكانه.

فلمّا رأى الموفّق ذلك أمر أبا العبّاس بقصد الجامع من أحد أركانه بشجعان أصحابه، وأضاف إليهم الفَعَلة للهدم، ونصب السلاليم، ففعل ذلك، وقاتل عليه أشدّ قتال، فوصلوا إليه، فهدموه، فأُخذ منبره، فأُتي به الموفّق؛ ثمّ عاد الموفّق لهدم السور فأكثر منه، وأخذ أصحاب دواوين الخبيث وبعض خزائنه، فظهر للموفّق أمارات الفتح، فإنّهم لعلى ذلك إذ وصل سهم إلى الموفّق فأصابه في صدره، رماه به روميٌّ كان مع صاحب الزنج، اسمه قُرطاس، وذلك لخمس بقين من جُمادي الأولى، فستر الموفّق ذلك، وعاد إلى مدينته وبات، ثمّ عاد إلى الحرب على ما به من ألم الجراح ليشتدّ بذلك قلوب أصحابه ، فزاد في علّته، وعظم أمرها، حتّى خيف عليه.

واضطرب العسكر والرعيّة وخافوا، فخرج من مدينته جماعة، وأتاه الخبر، وهو في هذه الحال، بحادث في سلطانه، فأشار عليه أصحابه وثقاته بأن يعود إلى بغداد ويخلّف مَنْ يقوم مقامه، فأبى ذلك، وخاف أن يستقيم (٣٧٧/٧) من حال الخبيث ما فسد، واحتجب عن الناس مدّة، ثمّ برأ من علّته، وظهر لهم، ونهض لحرب الخبيث، وكان ظهوره في شعبان من هذه السنة.

ذكر إحراق قصر صاحب الزنج

لمّا صحّ الموفّق من جراحه عاد إلى ما كان عليه من محاربة العلويّ، وكان قد أعاد [بناء] بعض الثُّلَم في السور، فأمر الموفّق بهدم ذلك، وهدم ما يتّصل به.

وركب في بعض العشايا، وكان القتال، ذلك اليوم، متّصلاً ممّا يلي نهر منكي، والزنج مجتمعون فيه قد شُغلوا بتلك الجهة، وظنّوا أنّهم لا يُؤتَون إلاّ منها، فأتي الموفّق ومعه الفَعَلة، وقرب من نهر منكي وقاتلهم، فلمّا اشتدّت الحرب أمر الذين بالشذوات بالمسير إلى أسفل نهر أبي الخصيب، وهو فارغ من المقاتلة والرجّالة، فقدم أصحاب الموفّق، وأخرجوا الفَعَلة، فهدموا السور من تلك الناحية، وصعد المقاتلة فقتلوا في النهر مقتلة عظيمة، وانتهوا إلى قصور من قصور الزنج فأحرقوها، وانتهبوا ما فيها، واستنقذوا عدداً كثيراً من النساء اللواتي كنّ فيها، وغنموا منها.

وانصرف الموفّق، عند غروب الشمس، بالظفر والسلامة، وبكّر إلى حربهم، وهدم السور، فأسرع الهدم حتّى اتّصل بدار الكلابيّ، وهي متّصلة بدار الخبيث، فلمّا أعيتِ الخبيثَ الحيلُ أشار عليه عليُّ بن أبان بإجراء الماء (٣٧٨/٧) على السباخ، وأن يحفر خنادق في مواضع عدّة تمنعهم عن دخول المدينة، ففعل ذلك؛ فرأى الموفّق أن يجعل قصده لطمّ الخنادق، والأنهار، والمواضع المغوّرة، فدام ذلك، فحامى عنه الخبثاء، ودامت الحرب، ووصل إلى الفريقَيْن من القتل والجراح أمر عظيم، وذلك لتقارب ما بين الفريقَيْن.

فلمّا رأى شدّة الأمر من هذه الناحية قصد لإحراق دار الخبيث، والهجوم عليها من دجلة، فكان يعوق عن ذلك كثرة ما أعدّ الخبيث لها من المقاتلة والحُماة عن داره، فكانت الشذا إذا قربت من قصره رُميت من فوق القصر بالسهام، والحجارة من المنجنيق والمقلاع، وأُذيب الرصاص وأُفرغ عليهم، فتعذّر إحراقها لذلك، فأمر الموفّق أن تُسقف الشذا بالأخشاب، ويُعمل عليها الجبس ويُطلى بالأدوية التي تمنع النار من إحراقها، ففرغ منها، ورتّب فيها أنجاد أصحابه، ومن النفّاطين جمعاً كثيراً.

واستأمن إلى الموفّق محمّد بن سمعان، كاتب الخبيث، وكان أوثق أصحابه في نفسه، وكان سبب استئمانه أن الخبيث أطلعه على أنّه عازم على الخلاص وحده بغير أهل ولا مال، فلمّا رأى ذلك من عزمه أرسل يطلب الأمان، فأمّنه الموفّق وأحسن إليه، وقيل: كان سبب خروجه أنّه كان كارهاً لصحبة الخبيث، مُطّلعاً على كفره وسوء باطنه، ولم يمكنه التخلّص منه إلى الآن ففارقه، وكان خروجه عاشر شعبان.

فلمّا كان الغد بكّر الموفّق إلى محاربة الخبثاء، فأمر أبا العبّاس بقصد دار محمّد الكرنابيّ، وهي بإزاء دار الخبيث، وإحراقها وما يليها من منازل قوّاد الزنج، ليشغلهم بذلك عن حماية دار الخبيث، وأمر المرتّبين في الشّذا المطليّة (٣٧٩/٧) بقصد دار الخبيث وإحراقها، ففعلوا ذلك، وألصقوا شذواتهم بسور قصره، وحاربهم الفجرة أشدّ حرب، ونضحوهم بالنيران، فلم تعمل شيئاً، وأحرق من القصر الرّواشين والأبنية الخارجة، وعملت النار فيها، وسلم الذين كانوا في الشذا ممّا كان الخبثاء يرسلونه عليهم بالظلال التي كانت في الشذا، وكان ذلك سبباً لتمكينهم من قصره.

وأمر الموفّق الذين في الشذا بالرجوع، فرجعوا، فأخرج من كان فيها ورتّب غيرهم، وانتظر إقبال المدّ وعلوّه، فلمّا أقبل عادت الشذا إلى قصره، وأحرقوا بيوتاً منه كانت تشرع على دجلة، وأضرمت النار فيها، واتّصلت، وقويت، فأعجلت الخبيثَ ومن كان معه عن التوقّف على شيء ممّا كان له من الأموال والذخائر وغير ذلك، فخرج هارباً وتركه كلّه.

وعلا غلمان الموفّق قصره مع أصحابهم، فانتهبوا مالم تأتِ النار عليه من الذهب والفضّة والحليّ وغير ذلك، واستنقذوا جماعة من النساء اللواتي كان الخبيث يأنس بهنّ ممّن كان استرقّهنّ، ودخلوا دوره ودور ابنه انكلاي، فأحرقوها جميعاً، وفرح

الناس بذلك، وتحاربوا هم وأصحاب الخبيث على باب قصره، فكثر القتل في أصحابه، والجراح والأسر، وفعل أبو العبّاس في دار الكرنابيّ من النهب والهدم والإحراق مثل ذلك، وقطع أبو العباس، يومئذ، سلسلة عظيمة كان الخبيث قطع بها نهر أبي الخصيب ليمنع الشذا من دخوله، فحازها أبو العبّاس وأخذها معه. (٣٨٠/٧) وعاد الموفّق بالناس مع المغرب مظفّراً، وأُصيب الفاسق في ماله ونفسه وولده، ومن كان عنده من نساء المسلمين، مثل الذي أصاب المسلمين منه من الذعر والجلاء وتشتُّت الشمل والمصيبة، وجرح ابنه انكلاي في بطنه جِراحة أشفى منها على الهلاك.

ذكر غرق نصير

وفي يوم الأحد لعشر بقين من شعبان غرق أبو حمزة نصير، وهو صاحب الشذوات.

وكان سبب غرقه أنّ الموفّق بكّر إلى القتال، وأمر نصيراً بقصد قنطرة كان الخبيث عملها في نهر أبي الخصيب، دون الجسرَيْن اللّذين كان اتّخذهما على النهر، وفرّق أصحابه من الجهات، فعجل نصير فدخل نهر أبي الخصيب، في أوّل المدّ، في عدّة من شذواته، فحملها الماء فألصقها بالقنطرة، ودخلت عدّة من شذوات الموفّق مع غلمانه [ممّن] لم يأمرهم بالدخول، فصكّت شذوات نصير، وصكّ بعضها بعضاً، ولم يبق للملاّحين فيها عمل.

ورأى الزنج ذلك فاجتمعوا على جانِبَي النهر، وألقى الملاّحون أنفسهم في الماء خوفاً من الزنج، ودخل الزنج الشذوات، فقتلوا بعض المقاتلة، وغرق (٣٨١/٧) أكثرهم، وصابرهم نصير، حتّى خاف الأسر، فقذف نفسه في الماء فغرق، وأقام الموفّق يومه يحاربهم، وينهبهم، ويحرق منازلهم، ولم يزل يومه مستعلياً عليهم.

وكان سليمان بن جامع ذلك اليوم من أشدّ الناس قتالاً لأصحاب الموفّق، وثبت مكانه، حتّى خرج عليه كمين للموفّق، فانهزم أصحابه، وجُرح سليمان جِراحة في ساقه، وسقط لوجهِهِ في موضع كان فيه حريق، وفيه بعض الجمر، فاحترق بعض جسده، وحمله أصحابه بعد أن كاد يُؤسَر؛ وانصرف الموفّق سالماً ظافراً؛ وأصاب الموفّقَ مرضُ المفاصل، فبقي به شهر شعبان، وشهر رمضان، وأيّاماً من شوّال، وأمسك عن حرب الزنج، ثمّ برأ وتماثل فأمر بإعداد آلة الحرب.

ذكر إحراق قنطرة العلويّ صاحب الزنج

ولمّا اشتغل الموفّق بعلّته أعاد الخبيث القنطرة التي غرق عندها نصير وزاد فيها وأحكمها، ونصب دونها أدقال ساج، وألبسها الحديد، وسكر أمام ذلك سِكراً من حجارة ليضيق المدخل على الشذا وتحتدّ جرية الماء في النهر، فندب الموفّق أصحابه، وسيّر طائفة من شرقيّ نهر أبي الخصيب، وطائفة من غربيّه، وأرسل معهما النجّارين والفَعَلة لقطع القنطرة وما جُعل (٣٨٢/٧) أمامها، وأمر بسفن مملوءة من القصب أن يُصَبّ عليها النّفط، وتدخل النهر، ويلقى فيها النار ليحترق الجسر، وفرّق جنده على الخبثاء ليمنعوهم عن معاونة من عند القنطرة.

فسار الناس إلى ما أمرهم به عاشر شوّال، وتقدّمت الطائفتان إلى الجسر، فلقيهما انكلاي ابن الخبيث، وعليُّ بن أبان، وسليمان بن جامع، واشتبكت الحرب ودامت، وحامى أولئك عن القنطرة لعلمهم بما عليهم في قطعها من المضرّة، وأنّ الوصول إلى الجسرين العظيمين اللذين يأتي ذكرهما يسهل.

ودامت الحرب على القنطرة إلى العصر، ثمّ إن غلمان الموفّق أزالوا الخبثاء عنها، وقطعها النجّارون ونقضوها وما كان عمل من الأدقال الساج، وكان قطعها قد تعذّر عليهم، فأدخلوا تلك السفن التي فيها القصب والنّفط وأضرموها ناراً، فوافت القنطرة، فأحرقوها، فوصل النجّارون بذلك إلى ما أرادوا، وأمكن أصحاب الشذا دخول النهر، فدخلوا وقتلوا الزنج حتّى أجلوهم عن مواقفهم إلى الجسر الأوّل الذي يتلو هذه القنطرة، وقُتل من الزنج خلق كثير واستأمن بشر كثير، ووصل أصحاب الموفّق إلى الجسر المغربَ، فكره أن يدركهم الليل، فأمرهم بالرجوع فرجعوا، وكتب إلى البلدان أن يُقرأ على المنابر أن يؤتى المحسن على قدر إحسانه ليزدادوا جِدّاً في حرب عدوّه، وأخرب من الغد برجين من حجارة كانوا عملوهما ليمنعوا (٣٨٣/٧) الشذا من الخروج منه إذا دخلته، فلمّا أخربهما سهل له ما أراد من دخول النهر والخروج منه.

ذكر انتقال صاحب الزنج إلى الجانب الشرقيّ وإحراق سوقه

لمّا أُحرقت دوره ومساكن أصحابه، ونُهبت أموالهم، انتقلوا إلى الجانب الشرقيّ من نهر أبي الخصيب، وجمع عياله حوله، ونقل أسواقه إليه، فضعف أمره بذلك ضعفاً شديداً ظهر للناس، فامتنعوا من جلب الميرة إليه، فانقطعت عنه كلّ مادّة، وبلغ الرطل من خبز البرّ عشرة دراهم، فأكلوا الشعير وأصناف الحبوب.

ثمّ لم يزل بهم إلى أن كان أحدهم يأكل صاحبه إذا انفرد به، والقوي يأكل الضعيف، ثمّ أكلوا أولادهم.

ورأى الموفّق أن يُخرب الجانب الشرقيّ كما أخرب الغربيّ، فأمر أصحابه بقصد دار الهَمدانيّ ومعهم الفَعَلة، وكان هذا الموضع محصّناً بجمع كثير، وعليه عَرّادات ومَنجَنيقات وقسيّ، فاشتبكت الحرب، وكثرت القتلى فانتصر أصحاب الموفّق عليهم، وقتلوهم وهزموهم، وانتهوا إلى الدار، فتعذّر عليهم الصعود إليها لعلوّ سورها، فلم تبلغه السلاليم الطوال، فرمى بعض غلمان الموفّق بكلاليب كانت معهم، فعلّقوها في أعلام الخبيث وجذبوها،

فتساقطت الأعلام منكوسة، فلم يشكّ المقاتلة عن الدار في أن أصحاب الموفّق قد ملكوها، فانهزموا لا يلوي أحد منهم على صاحبه، فأخذها أصحاب الموفّق، وصعد النفّاطون وأحرقوها وما كان عليها من المجانيق والعرّادات، ونهبوا ما كان فيها من المتاع والأثاث، وأحرقوا ما كان حولها (٣٨٤/٧) من الدور، واستنقذوا ما كان فيها من النساء، وكنّ عالماً كثيراً من المسلمات، فحُملن إلى الموفّقيّة، وأمر الموفّق بالاحسان إليهنّ.

واستأمن يومئذ من أصحاب الخبيث، وخاصّته الذي يلون خدمته، جماعة كثيرة، فأمّنهم الموفّق، وأحسن إليهم، ودلّت جماعة من المستأمنة الموفّق على سوق عظيمة كانت للخبيث، متّصلة بالجسر الأوّل، تُسمّى المباركة، وأعلموه إن أحرقها لم يبقَ لهم سوق غيرها، وخرج عنهم تجارهم الذي كان بهم قوامهم، فعزم الموفّق على إحراقها، وأمر أصحابه بقصد السوق من جانبَيْها، فقصدوها، وأقبلت الزنج إليهم، فتحاربوا أشدّ حرب تكون، واتّصلت أصحاب الموفّق إلى طرف من أطراف السوق وألقوا فيه النّار فاحترق واتّصلت النّار.

وكان النّاس يقتتلون، والنّار محيطة بهم، واتّصلت النّار بظلال السوق فاحترقت وسقطت على المقاتله، واحترق بعضهم، فكانت هذه حالهم إلى مغيب الشمس، ثمّ تحاجزوا، ورجع أصحاب الموفّق إلى عسكرهم، وانتقل تجار السوق إلى أعلى المدينة، وكانوا قد نقلوا معظم أمتعتهم وأموالهم من هذه السوق خوفاً من مثل هذه.

ثمّ إنّ الخبيث فعل بالجانب الشرقيّ من حفر الخنادق، وتغوير الطرق، مثل ما كان فعل بالجانب الغربيّ، بعد هذه الوقعة، واحتفر خندقاً عريضاً حصّن به منازل أصحابه التي على النهر الغربيّ، فرأى الموفّق أن يخرب باقي السور إلى النهر الغربيّ، ففعل ذلك بعد حرب طويلة في مدّة بعيدة. (٣٨٥/٧)

وكان للخبيث في الجانب الغربيّ جمع من الزنج قد تحصّنوا بالسور وهو منيع، وهم أشجع أصحابه، فكانوا يحامون عنه، وكانوا يخرجون على أصحاب الموفّق، عند محاربتهم، على حرى كور وما يليه. وأمر الموفّق أن يُقصد هذا الموضع، ويخرب سوره، ويخرج من فيه، فأمر أبا العبّاس والقوّاد بالتأهّب لذلك، وتقدّم إليهم، وأمر بالشذا أن تقرب من السور، ونشبت الحرب، ودامت إلى بعد الظهر، وهدم مواضع، وأحرق ما كان عليه من العرّادات، وتحاجز الفريقان، وهما على السواء، سوى هدم السور، وإحراق عرّادات كانت عليه، فنال الفريقين من الجراح أمر عظيم.

وعاد الموفّق، فوصل أهل البلاء والمجروحين على قدر بلائهم، وهكذا كان عمله في محاربته، وأقام الموفّق بعد هذه الوقعة أياماً، ثمّ رأى معاودة هذا الموضع لما رأى من حصانته وشجاعة مَنْ فيه وأنّه لا يقدر على ما بينه وبين حرى كور إلاّ بعد إزالة هؤلاء، فأعدّ الآلات، ورتّب أصحابه، وقصده وقاتل مَنْ فيه، وأُخلت الشذوات النهر واشتدّت الحرب ودامت.

وأمدّ الخبيث أصحابه بالمهلّبيّ وسليمان بن جامع في جيشهما، فحملوا على أصحاب الموفّق حتى ألحقوهم بسفنهم، وقتلوا منهم جماعة، فرجع الموفّق ولم يبلغ منهم ما أراد، وتبيّن له أنّه كان ينبغي أن يقاتلهم من عدّة وجوه لتخفّ وطأتهم على من يقصد هذا الموضع، ففعل ذلك، وفرّق أصحابه على جهات أصحاب الخبيث، وسار هو إلى جهة النهر الغربيّ، وقاتل مَنْ فيه.

وطمع الزنج بما تقدّم من تلك الوقعة، فصدقهم أصحاب الموفّق القتال، (٣٨٦/٧) فهزموهم، فولّوا منهزمين وتركوا حصنهم في أيدي أصحاب الموفّق، فهدموه، وغنموا ما فيه، وأسروا، وقتلوا خلقاً لا يحصى، وخلصوا من هذا الحصن خلقاً كثيراً من النساء والصبيان، ورجع الموفّق إلى عسكره بما أراد.

ذكر استيلاء الموفّق على مدينة صاحب الزنج الغربيّة

لمّا هدم الموفّق دور الخبيث أمر بإصلاح المسالك لتتّسع على المقاتلة الطريق للحرب، ثمّ رأى قلع الجسر الأوّل الذي على نهر أبي الخصيب، لما في ذلك من منع معاونة بعضهم بعضاً، وأمر بسفينة كبيرة أن تُملأ قصباً ويُجعل فيه النفط، ويوضع في وسطها دقل طويل يمنعها من مجاوزة الجسر إذا التصقت به، ثمّ أرسلها عند غفلة الزنج وقوّة المدّ، فوافت الجسر، وعلم بها الزنج، فأتوها وطمّوها بالحجارة والتراب، ونزل بعضهم في الماء فنقبها فغرقت وكان قد احترق من الجسر شيء يسير، فأطفأه الزنج.

فعند ذلك اهتم الموفّق بالجسر، فندب أصحابه، وأعدّ النفّاطين والفَعَلة والفؤوس، وأمرهم بقصده من غربيّ النهر وشرقيّه، وركب الموفّق في أصحابه، وقصد فوهة نهر أبي الخصيب، وذلك منتصف شوّال سنة تسع وستّين [ومائتين]. فسبق الطائفة التي في غرب النهر، فهزم الموكّلين على الجسر، وهما سليمان بن جامع وانكلاي، ولد الخبيث، وأحرقوه. (٣٨٧/٧)

وأتى بعد ذلك الطائفة الأخرى، ففعلوا بالجانب الشرقيّ مثل ذلك، وأحرقوا الجسر، وتجاوزوه إلى جانب حظيرة كانت تُعمل فيها سُميريّات الخبيث وآلاته، واحترق ذلك عن آخره، إلاّ شيئاً يسيراً من الشذوات والسُّميريّات كانت في النهر، وقصدوا سجناً للخبيث، فقاتلهم الزنج عليه ساعة من النهار، ثمّ غلبهم أصحاب الموفّق عليه، فأطلقوا مَنْ فيه، وأحرقوا كلّ ما مرّوا به إلى دار مُصلح، وهو من قدماء أصحابه، فدخلوها، فنهبوها وما فيها، وسبوا نساءه وولده، واستنقذوا خلقاً كثيراً، وعاد الموفّق وأصحابه

سالمين.

وانحاز الخبيث وأصحابه من هذا الجانب إلى الجانب الشرقيّ من نهر أبي الخصيب، واستولى الموفّق على الجانب الغربيّ، غير طريق يسير على الجسر الثاني، فأصلحوا الطرق، فزاد ذلك في رعب الخبيث وأصحابه، فاجتمع كثير من أصحابه وقوّاده، وأصحابه الذين كان يرى أنّهم لا يفارقونه، على طلب الأمان، فبُذل لهم، فخرجوا أرسالاً، فأحسن الموفّق إليهم، وألحقهم بأمثالهم.

ثمّ إنّ الموفّق أحبّ أن يتمرّن أصحابه بسلوك النهر ليحرق الجسر الثاني، فكان يأمرهم بإدخال الشذا فيه وإحراق ما على جانبه من المنازل، فهرب إليه بعض الأيّام قائد للزنج، ومعه قاض كان لهم، ومنبر، ففتّ ذلك في أعضاد الخبثاء، ثمّ إنّ الخبيث وكّل بالجسر الثاني من يحفظه، وشحنه بالرجال، فأمر الموفّق بعض أصحابه بإحراق ما عند الجسر من سفن، ففعلوا حتّى أحرقوها، فزاد ذلك في احتياط الخبيث، وفي حراسته للجسر لئلاّ يُحرق ويستولي الموفّق على الجانب الغربيّ فيهلك.

وكان قد تخلّف من أصحابه جمع في منازلهم المقاربة للجسر الثاني، وكان أصحاب الموفّق يأتونهم ويقفون على الطريق الخفيّة، فلمّا عرفوا ذلك عزموا (٣٨٨/٧) على إحراق الجسر الثاني، فأمر الموفّق ابنه أبا العبّاس والقوّاد بالتجهّز لذلك وأمرهم أن يأتوا من عدّة جهات ليوافوا الجسر، وأعدّ معهم الفؤوس والنّفط والآلات؛ ودخل هو في النهر بالشذوات، ومعه أنجاد غلمانه، ومعهم الآلات أيضاً، واشتبكت الحرب في الجانبَيْن جميعاً بين الفريقَيْن، واشتدّ القتال.

وكان في الجانب الغربيّ بإزاء أبي العبّاس ومن معه انكلاي ابن الخبيث وسليمان بن جامع، وفي الجانب الشرقيّ بإزاء راشد مولى الموفّق، ومَنْ معه، الخبيث، والمهلّبيّ في باقي الجيش، فدامت الحرب مقدار ثلاث ساعات، ثمّ انهزم الخبثاء لا يلوون على شيء، وأخذت السيوف منهم، ودخل أصحاب الشذا النهر، ودنوا من الجسر فقاتلوا من يحميه بالسهام، وأضرموا ناراً.

وكان من المنهزمين سليمان وانكلاي، وكانا قد أُثخنا بالجراح، فوافيا الجسر والنار فيه، فحالت بينهما وبين العبور، وألقيا أنفسهما في النهر ومَن معهما، فغرق منهم خلق كثير، وأفلت انكلاي وسليمان بعد أن أشفيا على الهلاك، وقُطع الجسر وأُحرق، وتفرّق الجيش في مدينة الخبيث في الجانبَيْن، فأحرقوا من دورهم وقصورهم وأسواقهم شيئاً كثيراً، واستنقذوا من النساء والصبيان مالا يحصى، ودخلوا الدار التي كان الخبيث سكنها بعد إحراق قصره، وأحرقوها ونهبوا ما كان فيها ممّا كان سلم معه، وهرب الخبيث ولم يقف ذلك اليوم على مواضع أمواله.

واستُنقذ في هذا اليوم نسوة من العلويّات كنّ محبّسات في موضع قريب من داره التي كان يسكنها، فأحسن الموفّق إليهنّ، وحملهنّ، وفتح سجناً (٣٨٩/٧) كان له وأخرج منه خلقاً كثيراً ممّن كان يحارب الخبيث، ففكّ الموفّق عنهم الحديد، وأخرج ذلك اليوم كلّ ما كان في نهر أبي الخصيب من شذا، ومراكب بحريّة، وسفن صغار وكبار، وحرّاقات وغير ذلك من أصناف السفن إلى دجلة، فأباحها الموفّق أصحابه مع ما فيها من السَّلَب، وكانت له قيمة عظيمة.

وأرسل انكلاي ابن الخبيث يطلب الأمان، وسأل أشياء، فأجابه الموفّق إليها، فعلم أبوه بذلك فعذله، وردّه عمّا عزم عليه، فعاد إلى الحرب ومباشرة القتال.

ووجّه سليمان بن موسى الشعرانيُّ، وهو أحد رؤساء الخبيث، يطلب الأمان، فلم يجبه الموفّق إلى ذلك، لما كان قد تقدّم منه من سفك الدماء والفساد، فاتّصل به أنّ جماعة من رؤساء أصحاب الخبيث قد استوحشوا المنعة، فأجابه إلى الأمان، فأرسل الشذا إلى موضع ذكره، فخرج هو وأخوه وأهله وجماعة من قوّاده، فأرسل الخبيث من يمنعهم عن ذلك، فقاتلهم، ووصل إلى الموفّق، فزاد في الإحسان إليه وخلع عليه وعلى من معه، وأمر بإظهاره لأصحاب الخبيث ليزدادوا ثقة، فلم يبرح من مكانه، حتى استأمن جماعة من قوّاد الزنج منهم، شبل بن سالم، فأجابه الموفّق، وأرسل إليه شذوات، فركب فيها هو وعياله وولده وجماعة من قوّاده، فلقيهم قوم من الزنج، فقاتلهم ونجا ووصل إلى الموفّق، فأحسن إليه ووصله بصلة جليلة، وهو من قدماء أصحاب الخبيث، فعظم ذلك عليه وعلى أوليائه لما رأوا من رغبة (٣٩٠/٧) رؤسائهم في الأمان.

ولمّا رأى الموفّق مناصحة شبل، وجودة فهمه، أمره أن يكفيه بعض الأمور، فسار ليلاً في جمع من الزنج، لم يخالطهم غيرهم، إلى عسكر الخبيث يعرف مكانهم، وأوقع بهم، وأسر منهم وقتل وعاد، فأحسن إليه الموفّق وإلى أصحابه.

وصار الزنج بعد هذه الوقعة لا ينامون الليل، ولا يزالون يتحارسون للرعب الذي دخلهم، وأقام الموفّق ينفذ السرايا إلى الخبيث ويكيده، ويحول بينه وبين القوت، وأصحاب الموفّق يتدرّبون في سلوك تلك المضايق التي في أرضه ويوسّعونها.

ذكر استيلاء الموفّق على مدينة الخبيث الشرقيّة

لمّا علم الموفّق أنّ أصحابه قد تمرّنوا على سلوك تلك الأرض وعرفوها، صمّم العزم على العبور إلى محاربة الخبيث من الجانب الشرقيّ من نهر أبي الخصيب، فجلس مجلساً عامّاً، وأحضر قوّاد المستأمِنة وفرسانهم، فوقفوا بحيث يسمعون كلامه،

ثمّ كلّمهم فعرّفهم ما كانوا عليه من الضلالة والجهل، وانتهاك المحارم، ومعصية اللّه، عزّ وجلّ، وأنّ ذلك قد أحلّ له دماءهم، وأنّه غفر لهم زلّتهم ووصلهم، وأنّ ذلك يوجب عليهم حقّه وطاعته، وأنّهم لن يُرضوا ربّهم وسلطانهم بأكثر من الجدّ في مجاهدة الخبيث، وأنّهم لَيعرفون مسالك العسكر، ومضايق مدينته، ومعاقلها التي أعدّها، فهم أولى (٣٩١/٧) أن يجتهدوا في الوُلوج على الخبيث، والوغول إلى حصونه، حتّى يمكنهم اللّه منه، فإذا فعلوا ذلك فلهم الإحسان والمزيد، ومن قصّر منهم فقد أسقط منزلته وحاله.

فارتفعت أصواتهم بالدعاء له، والاعتراف بإحسانه، وبما هم عليه من المناصحة والطاعة، وأنّهم يبذلون دماءهم في كلّ ما يقرّبهم منه، وسألوه أن يفردهم بناحية ليظهر من نكايتهم في العدوّ ما يعرف به إخلاصهم وطاعتهم، فأجابهم إلى ذلك، وأثنى عليهم ووعدهم، وكتب في جمع السفن والمعابر من دجلة والبطيحة ونواحيها ليضيفها إلى ما في عسكره، إذ كان ما عنده يقصر عن الجيش لكثرته، وأحصى ما في الشذا، والسُّمَيريّات، وأنواع السفن، فكانوا زهاء عشرة آلاف ملاّح ممّن يُجرى عليه الرزق من بيت المال مشاهرة، سوى سفن أهل العسكر التي يُحمل فيها الميرة، ويركبها الناس في حوائجهم، وسوى ما كان لكلّ قائد من السُّمَيريّات، والحربيّات، والزواريق.

فلمّا تكاملت السفن تقدّم إلى ابنه أبي العبّاس، وقوّاده بقصد مدينة الخبيث الشرقيّة من جهاتها، فسيّر ابنه أبا العبّاس إلى ناحية دار المهلّبيّ، أسفل العسكر، وكان قد شحنها بالرجال والمقاتلين، وأمر جميع أصحابه بقصد دار الخبيث وإحراقها، فإن عجزوا عنها اجتمعوا على دار المهلّبيّ، وسار هو في الشذا، وهي مائة وخمسون قطعة، فيها أنجاد غلمانه، وانتخب من الفرسان والرَّجّالة عشرة آلاف، وأمرهم أن يسيروا على جانبَي النهر معه إذا سار، وأن يقفوا معه إذا وقف، ليتصرّفوا بأمره.

وبكّر الموفّق لقتال الفاسقين يوم الثلاثاء لثمان خلون من ذي القعدة (٣٩٢/٧) سنة تسع وستّين ومائتين، وكانوا قد تقدّموا إليهم يوم الاثنين وواقعوهم، وتقدّم كلّ طائفة إلى الجهة التي أمرهم بها، فلقيهم الزنج، واشتدّت الحرب، وكثر القتل والجراح في الفريقَيْن، وحامى الفَسَقة عن الذي اقتصروا عليه من مدينتهم واستماتوا، وصبروا، فنصر اللّه أصحاب الموفّق، فانهزم الزنج، وقُتل منهم خلق كثير، وأُسر من أنجادهم وشجعانهم جمع كثير، فأمر الموفّق فضُربت أعناق الأسرى في المعركة، وقصد بجمعه الدار التي يسكنها الخبيث، وكان قد لجأ إليها، وجمع أبطال أصحابه للمدافعة عنها، فلم يُغنوا عنها شيئاً، وانهزموا عنها وأسلموها، ودخلها أصحاب الموفّق وفيها بقايا ما كان سلم للخبيث من ماله وولده وأثاثه، فنهبوا ذلك أجمع، وأخذوا حُرَمه وأولاده، وكانوا عشرين ما بين صبيّة وصبيّ، وسار الخبيث هارباً نحو دار المهلّبيّ لا يلوي على أهل ولا مال، وأُحرقت داره، وأُتي الموفّق بأهل الخبيث وأولاده، فسيّرهم إلى بغداد.

وكان أصحاب أبي العبّاس قد قصدوا دار المهلّبيّ، وقد لجأ إليها خلق كثير من المنهزمين، فغلبوهم عليها، واشتغلوا بنهبها، وأخذوا ما فيها من حُرم المسلمين وأولادهم، وجعل من ظفر منهم بشيء حمله إلى سفينته، فعلوا في الدار ونواحيها، فلمّا رآهم الزنج كذلك رجعوا إليهم فقتلوا فيهم مقتلة يسيرة.

وكان جماعة من غلمان الموفّق الذين قصدوا دار الخبيث تشاغلوا بحمل الغنائم إلى السفن أيضاً، فأطمع ذلك الزنج فيهم، فأكبّوا عليهم فكشفوهم، (٣٩٣/٧) واتّبعوا آثارهم، وثبت جماعة من أبطال الموفّق، فردّوا الزنج حتّى تراجع الناسُ إلى مواقفهم، ودامت الحرب إلى العصر، فأمر الموفّق غلمانه بصدق الحملة عليهم، ففعلوا، فانهزم الخبيث وأصحابه، وأخذتهم السيوف حتّى انتهوا إلى داره أيضاً، فرأى الموفّق عند ذلك أن يصرف أصحابه إلى إحسانهم، فردّهم وقد غنموا، واستنقذوا جمعاً من النساء المأسورات كنّ يخرجن ذلك اليوم أرسالاً فيُحملن إلى الموفّقيّة.

وكان أبو العبّاس قد أرسل في ذلك اليوم قائداً، فأحرق ثَمَّ بيادرَ كانت ذخيرة للخبيث، وكان ذلك ممّا أضعف به الخبيث وأصحابه، ثمّ وصل إلى الموفّق كتاب لؤلؤ غلام ابن طولون في القدوم عليه، فأمره بذلك، وأخّر القتال إلى أن يحضر.

ذكر خلاف لؤلؤ على مولاه أحمد بن طولون

وفيها خالف لؤلؤ غلام أحمد بن طولون، صاحب مصر، على مولاه أحمد بن طولون، وفي يده حمص، وقِنّسرين، وحلب، وديار مضر، من الجزيرة وسار إلى بَالِسَ فنهبها، وكاتب الموفّق في المسير إليه، واشترط شروطاً، فأجابه أبو أحمد إليها، وكان بالرُّقّة، فسار إلى الموفّق فنزل قَرْقِيسيا، وبها ابن صفوان العُقَيليُّ، فحاربه، وأخذها منه، وسلّمها إلى أحمد بن مالك ابن طَوْق، وسار إلى الموفّق، فوصل إليه وهو يقاتل الخبيث العلويّ. (٣٩٤/٧)

ذكر مسير المعتمد إلى الشام وعوده من الطريق

وفيها سار المعتمد نحو مصر، وكان سبب ذلك أنّه لم يكن له من الخلافة غير اسمها، ولا ينفذ له توقيع لا في قليل ولا كثير، وكان الحكم كلّه للموفّق، والأموال تجبى إليه، فضجر المعتمد من ذلك، وأنف منه، فكتب إلى أحمد بن طولون يشكو إليه حاله سرّاً من أخيه الموفّق، فأشار عليه أحمد باللحاق به بمصر، ووعده النصرة، وسيّر عسكراً إلى الرُّقّة ينتظر وصول المعتمد إليهم، فاغتنم

المعتمد غيبة الموفّق عنه، فسار في جُمادي الأولى، ومعه جماعة من القوّاد، فأقام بالكُحَيل يتصيّد.

فلمّا سار إلى عمل إسحاق بن كنداجيق، وكان عامل الموصل وعامّة الجزيرة، وثب ابن كنداجيق بمن مع المعتمد من القوّاد، فقبضهم، وهم نيزك، وأحمد بن خاقان، وخطارمش، فقيّدهم، وأخذ أموالهم ودوابّهم، وكان قد كتب إليه صاعد بن مخلّد وزير الموفّق عن الموفّق، وكان سبب وصوله إلى قبضهم أنه أظهر أنّه معهم في طاعة المعتمد، إذ هو الخليفة، ولقيهم لمّا صاروا إلى عمله، وسار معهم عدّة مراحل، فلمّا قارب عمل ابن طولون ارتحل الأتباع والغلمان الذين مع المعتمد، وقوّاده، ولم يترك ابن كنداجيق أصحابه يرحلون، ثمّ خلا بالقوّاد عند المعتمد، وقال لهم: إنّكم قاربتم عمل ابن طولون والأمر أمره، وتصيرون من جنده، وتحت يده، أفترضون بذلك، وقد علمتم أنّه كواحد منكم؟

وجرت بينهم في ذلك مناظرة، حتّى تعالى النهار، ولم يرحل المعتمد ومن معه، فقال ابن كنداجيق: قوموا بنا نتناظر في غير حضرة أمير المؤمنين؛ فأخذ (٣٩٥/٧) بأيديهم إلى خيمته لأنّ مضاربهم كانت قد سارت، فلمّا دخلوا خيمته قبض عليهم وقيّدهم، وأخذ سائر من مع المعتمد من القوّاد فقيّدهم، فلمّا فرغ من أمورهم مضى إلى المعتمد فعدله في مسيره من دار ملكه وملك آبائه، وفراق أخيه الموفّق على الحال التي هو بها من حرب من يريد قتله، وقتل أهل بيته، وزوال ملكهم، ثمّ حمله والذين كانوا معه حتّى أدخلهم سامرّا.

ذكر الحرب بين عسكر ابن طولون وعسكر الموفّق بمكّة

وفيها كانت وقعة مكّة بين جيش لأحمد بن طولون وبين عسكر الموفّق في ذي القعدة.

وكان سببها أنّ أحمد بن طولون سيّر جيشاً مع قائدين إلى مكّة، فوصلوا إليها، وجمعوا الحنّاطين، والجزّارين، وفرّقوا فيهم مالاً؛ وكان عامل مكة هارون بن محمّد إذ ذاك ببستان ابن عامر قد فارقها خوفاً منهم، فوافى مكّة جعفر الناعموديُّ في ذي الحجّة في عسكر، وتلقّاه هارون بن محمّد في جماعة، فقوي بهم جعفر، والتقوا هم وأصحاب ابن طولون فاقتتلوا، وأعان أهلُ خراسان جعفراً، فقتل من أصحاب ابن طولون مائتيْ رجل، وانهزم الباقون وسُلبوا وأُخذت أموالهم، وأخذ جعفر من القائدين نحو مائتيْ ألف دينار، وأمّن المصريّين، والجزّارين، والحنّاطين، وقُرئ كتاب في المَسجد الجامع بلعن ابن طولون، وسلم الناس وأموال التجار. (٣٩٦/٧)

ذكر عدّة حوادث

في المحرّم من هذه السنة قطع الأعراب الطريق على قافلة من الحاجّ بين ثَوْر وسَمِيرَاء، فسلبوهم، وساقوا نحواً من خمسة آلاف بعير بأحمالها وأناساً كثيراً.

وفيها انخسف القمر، وغاب منخسفاً، وانكسفت الشمس فيه أيضاً آخر النهار، وغابت منكسفة، فاجتمع في المحرّم كسوفان.

وفيها، في صفر، وثبت العامّة ببغداد بإبراهيم الخليجيّ، فانتهبوا داره، وكان سبب ذلك أنّ غلاماً له رمى امرأة بسهم فقتلها، فاستعدى السلطان عليه، فامتنع، ورمى غلمانه الناس، فقتلوا جماعة، وجرحوا، فثارت بهم العامّة، فقتلوا فيهم رجلَيْن من أصحاب السلطان، ونهبوا منزله ودوابّه، وخرج هارباً، فجمع محمّد بن عُبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر، وكان نائب أبيه، دوابّ إبراهيم، وما أُخذ له، فردّه عليه.

وفيها وُجّه إلى أبي الساج جيش بعدما انصرف من مكّة، فسيّره إلى جُدّة، فأخذ للمخزوميّ مركبَيْن فيهما مال وسلاح.

وفيها وثب خلف صاحب أحمد بن طولون بالثغور الشامية وعامله عليها بازمار الخادم، مولى مُفلح بن خاقان، فحبسه، فوثب به جماعة فاستنقذوا بازمار، وهرب خلف، وتركوا الدُّعاء لابن طولون، فسار إليهم ابن طولون، ونزل أَذَنَةَ، فاعتصم أهل طَرَسُوس بها، ومعهم بازمار، فرجع عنهم ابن طولون إلى حمص، ثمّ إلى دمشق، فأقام بها. (٣٩٧/٧)

وفيها قام رافع بن هَرْثَمة بما كان الخُجُسْتانيُّ غلب عليه من مدن خُراسان، فاجتبى عدّة من كُوَر خراسان خراجها لبضع عشرة سنة، فأفقر أهلها وأخربها.

وفيها كانت وقعة بين الحسنيّين والحسينيّين بالحجاز، والجعفريّين، فقُتل من الجعفريّين ثمانية نفر، وخلّصوا الفضل بن العبّاس العباسيّ عامل المدينة.

وفيها، في جُمادى الآخرة، عقد هارون بن الموفّق لابن أبي الساج على الأنبار وطريق الفرات والرحبة، وولّى محمّد بن أحمد الكوفة وسوادها، فلقي محمّدٌ الهيصمَ العجليّ، فانهزم الهيصم.

ومنها توفّي عيسى بن الشيخ بن الشليل الشيبانيُّ، وبيده أرمينية، وديار بكر.

وفيها لعن المعتمدُ أحمدَ بن طولون في دار العامّة وأمر بلعنه على المنابر، وولّى إسحاق بن كنداجيق على أعمال ابن طولون، وفوّض إليه من باب الشمّاسيّة إلى إفريقية، وولّيَ شُرطة الخاصّة.

وكان سبب هذا اللعن أنّ ابن طولون قطع خطبة الموفّق،

وأسقط اسمه من الطِّراز، فتقدّم الموفّق إلى المعتمد بلعنه، ففعل مكرهاً، لأنّ هوى المعتمد كان مع ابن طولون.(٣٩٨/٧)

وفيها كانت وقعة بين ابن أبي الساج والأعراب، فهزموه، ثمّ بيّتهم فقتل منهم وأسر، ووجّه بالرؤوس والأسرى إلى بغداد.

وفيها، في شوّال، دخل ابن أبي الساج رحبة مالك بن طَوْق، بعد أن قاتله أهلها [فغلبهم] وقتلهم، وهرب أحمد بن مالك بن طوق إلى الشام، ثمّ سار ابن أبي الساج إلى قَرقِيسيا فدخلها. وحجّ بالناس هارون بن محمّد بن إسحاق الهاشميُّ.

وفيها خرج محمّد بن الفضل أمير صِقلّية في عسكر إلى ناحية رَمْطة، وبلغ العسكر إلى قطانية، فقتل كثيراً من الروم، وسبى وغنم، ثمّ انصرف إلى بَلَرْمَ في ذي الحجّة.

وفيها توفّي أحمد بن مخالد، مولى المعتصم، وهو من دُعاة المعتزلة، وأخذ الكلام عن جعفر بن مبشّر.

وفيها توفّي سليمان بن حفص بن أبي عصفور الإفريقيُّ، وكان معتزليّاً يقول بخَلق القرآن، وأراد أهل القيروان، فسلم لذلك، وصحب بِشْراً المَرِّيسيَّ، وأبا الهُذيل وغيرهما من المعتزلة. (٣٩٩/٧)

سنة سبعين ومائتين

ذكر قتل الخبيث صاحب الزنج

قد ذكرنا من حرب الزنج، وعود الموفّق عنهم مؤيَّداً بالظفر، فلمّا عاد عن قتالهم إلى مدينة المُوَفّقيّة عزم على مناجزة الخبثاء، فأتاه كتاب لؤلؤ غلام ابن طولون يستأذنه في المسير إليه، فأذن له وترك القتال ينتظره ليحضر القتال، فوصل إليه ثالث المحرّم من هذه السنة في جيش عظيم، فأكرمه الموفّق، وأنزله وخلع عليه وعلى أصحابه ووصلهم، وأحسن إليهم، وأمر لهم بالأرزاق على قدر مراتبهم، وأضعف ما كان لهم، ثمّ تقدّم إلى لؤلؤ بالتأهّب لحرب الخبثاء.

وكان الخبيث لمّا غُلب على نهر أبي الخصيب، وقُطعت القناطر والجسور التي عليه، أحدث سِكراً في النهر من جانبَيْه، وجعل في وسط النهر باباً ضيّقاً لتُخْتدّ جرية الماء فيه، فتمتنع الشذا من دخوله في الجَزْر، ويتعذّر خروجها منه في المدّ، فرأى الموفّق أن جريه لا يتهيّأ إلاّ بقلع هذا السِّكر، فحاول ذلك، فاشتدّت محاماة الخبثاء عليه، وجعلوا يزيدون كلّ يوم فيه، وهو متوسّط دورهم، والمروية تسهل عليهم، وتعظم على من أراد قلعه، فشرع في محاربتهم بفريق بعد فريق من أصحاب لؤلؤ ليتمرّنوا على قتالهم، ويقفوا على (٤٠٠/٧) المسالك والطرق في مدينتهم، فأمر لؤلؤاً أن يحضر في جماعة من أصحابه للحرب على هذا السِّكر، ففعل، فرأى الموفّق من شجاعة لؤلؤ وإقدامه وشجاعة أصحابه ما سرّه، فأمر لؤلؤاً بصرفهم إشفاقاً عليهم، ووصلهم الموفّق وأحسن إليهم.

وألحّ الموفّق على هذا السِّكر، وكان يحارب المحامين عليه بأصحابه وأصحاب لؤلؤ وغيرهم، والفَعَلة يعملون في قلعة، ويحارب الخبيث وأصحابه في عدّة وجوه، فيحرق مساكنهم، ويقتل مقاتليهم، واستأمن إليه الجماعة، وكان قد بقي للخبيث وأصحابه بقية من أرضين بناحية النهر الغربيّ، لهم فيها مزارع وحصون وقنطرتان، وبه جماعة يحفظونه، فسار إليهم أبو العبّاس، وفرّق أصحابه من جهاتهم، وجعل كميناً، ثمّ أوقع بهم فانهزموا، فكلّما قصدوا جهة خرج عليهم من يقاتلهم فيها، فقُتلوا عن آخرهم لم يسلم منهم إلاّ الشريد، فأخذوا من أسلحتهم ما أثقلهم حمله، وقطع القنطرتَيْن، ولم يزل الموفّق على سِكرهم، حتّى تهيّأ له فيه ما أحبّه في خرقه.

فلمّا فرغ منه عزم على لقاء الخبيث، فأمر بإصلاح السفن والآلات للماء والظهر، وتقدّم إلى أبي العبّاس ابنه أن يأتي الخبيثَ من ناحية دار المهلّبيّ، وفرّق العساكر من جميع جهاته، وأضاف المستأمنة إلى شبل، وأمره بالجدّ في قتال الخبيث، وأمر الناس أن لا يزحف أحد حتّى يحرّك علماً أسود كان نصبه على دار الكرمانيّ وحتى ينفخ في بوق بعيد الصوت.

وكان عبوره يوم الاثنين لثلاث بقين من المحرّم، فعجل بعض الناس، وزحف نحوهم، فلقيه الزنج، فقتلوا منهم، وردّوهم إلى مواقفهم، ولم (٤٠١/٧) يعلم سائر العسكر بذلك لكثرتهم، وبُعد المسافة فيما بين بعضهم وبعض، وأمر الموفّق بتحريك العلم الأسود، والنفخ في البوق، فزحف الناس في البرّ والماء يتلو بعضهم بعضاً، فلقيهم الزنج وقد حشدوا واجترؤوا، بما تهيّأ لهم، على من كان يسرع إليهم، فلقيهم الجيش بنيّات صادقة، وبصائر نافذة، واشتدّ القتال، وقُتل من الفريقَيْن جمع كثير، فانهزم أصحاب الخبيث، وتبعهم أصحاب الموفّق يقتلون ويأسرون، واختلط بهم ذلك اليوم أصحاب الموفّق، فقُتل منهم ما لا يحصى عدداً، وغرق منهم مثل ذلك، وحوى الموفّق المدينة بأسرها، فغنمها أصحابه، واستنقذوا من كان بقي من الأسرى من الرجال، والنساء، والصبيان، وظفروا بجميع عيال عليّ بن أبان المهلّبيّ، وبأخويه : الخليل، ومحمّد، وأولادهما، وعُبر بهم إلى مدينة الموفّقيّة.

ومضى الخبيث في أصحابه، ومعه ابنه اتكلاي، وسليمان بن جامع، وقوّاد من الزنج وغيرهم، هاربين، عامدين إلى موضع كان الخبيث قد أعدّه ملجأ إذا غُلب على مدينته، وذلك المكان على

النهر المعروف بالسّفيانيّ، وكان أصحاب الموفّق قد اشتغلوا بالنهب والإحراق، وتقدّم الموفّق في الشذا نحو نهر السفيانيّ، ومعه لؤلؤ وأصحابه، فظنّ أصحاب الموفّق أنّه رجع إلى مدينتهم الموفّقيّة، فانصرفوا إلى سفنهم بما قد حووا، وانتهى الموفّق ومَن معه إلى عسكر الخبيث وهم منهزمون، واتّبعهم لؤلؤ في أصحابه، حتّى عبر السفيانيّ فاقتحم لؤلؤ بفرسه، واتّبعه أصحابه، حتّى انتهى إلى النهر المعروف بالفِرَبّري فوصل إليه لؤلؤ وأصحابه فأوقعوا به وبمن معه، (٤٠٢/٧) فهزمهم حتّى عبر نهر السفيانيّ، ولؤلؤ في أثرهم، فاعتصموا بجبل وراءه، وانفرد لؤلؤ وأصحابه باتّباعهم إلى هذا المكان في آخر النهار، فأمر الموفّق بالانصراف فعاد مشكوراً محموداً لفعله، فحمله الموفّق معه، وجدّد له من البرّ والكرامة ورفعة المنزلة ما كان مستحقّاً له، ورجع الموفّق فلم يرَ أحداً من أصحابه بمدينة الزنج، فرجع إلى مدينته واستبشر الناس بالفتح وهزيمة الزنج وصاحبهم.

وكان الموفّق قد غضب على أصحابه بمخالفتهم أمره، وتركهم الوقوف حيث أمرهم، فجمعهم جميعاً، ووبّخهم على ذلك، وأغلظ لهم، فاعتذروا بما ظنّوه من انصرافه، وأنّهم لم يعلموا بمسيره، ولو علموا ذلك لأسرعوا نحوه، ثمّ تعاقدوا، وتحالفوا بمكانهم على أن لا ينصرف منهم أحد إذا توجّهوا نحو الخبيث حتّى يظفروا به، فإن أعياهم أقاموا بمكانه حتّى يحكم اللّه بينهم وبينه. وسألوا الموفّق أن يردّ السفن التي يعبرون فيها إلى الخبيث، لينقطع الناس عن الرجوع، فشكرهم وأثنى عليهم وأمرهم بالتأهّب.

وأقام الموفّق بعد ذلك إلى الجمعة يصلح ما يحتاج الناس إليه، وأمر الناس عشية الجمعة بالمسير إلى حرب الخبثاء بُكرة السبت، وطاف عليهم هو بنفسه يعرّف كلّ قائد مركزه، والمكان الذي يقصده، وغدا الموفّق يوم السبت لِلَيْلَتَينِ خلتا من صفر، فعبر بالناس، وأمر بردّ السفن، فُردّت وسار يقدمهم إلى المكان الذي قدّر أن يلقاهم فيه.

وكان الخبيث وأصحابه قد رجعوا إلى مدينتهم بعد انصراف الجيش عنهم، (٤٠٣/٧) وأمّلوا أن تتطاول بهم الأيّام وتندفع عنهم المناجزة، فوجد الموفّق المتسرّعين من فرسان غلمانه والرَّجّالة قد سبقوا الجيش فأوقعوا بالخبيث وأصحابه وقعة هزموهم بها، وتفرّقوا لا يلوي بعضهم على بعض، وتبعهم أصحاب الموفّق يقتلون ويأسرون من لحقوا منهم، وانقطع الخبيث في جماعة من حُماة أصحابه وفيهم المهلّبيُّ، وفارقه ابنه انكلاي، وسليمان بن جامع، فقصد كلّ فريق منهم جمعاً كثيفاً من الجيش.

وكان أبو العبّاس قد تقدّم، فلقيَ المنهزمين في الموضع المعروف بعسكر رَيحان، فوضع أصحابه فيهم السلاح، ولقيهم طائفة أخرى، فأوقعوا بهم أيضاً، وقتلوا منهم جماعة، وأسروا سليمان بن جامع، فأتوا به الموفّق من غير عهد ولا عقد، فاستبشر الناس بأسره، وكثر التكبير، وأيقنوا بالفتح، إذ كان أكثر أصحاب الخبيث غُناءً عنه؛ وأُسر من بعده إبراهيم بن جعفر الهمذانيُّ، وكان أحد أمراء جيوشه، فأمر الموفّق بالاستيثاق منهم، وجعلهم في شذاة لأبي العبّاس.

ثمّ إن الزنج الذين انفردوا مع الخبيث حملوا على الناس حملة أزالوهم عن مواقفهم، ففتروا، فأحسنَ الموفّق بفتورهم، فجدّ في طلب الخبيث وأمعن، فتبعه أصحابه، وانتهى الموفق إلى آخر نهر أبي الخصيب، فلقيه البشير بقتل الخبيث، وأتاه بشير آخر ومعه كفّ ذكر أنّها كفّه، فقوي الخبر عنده، ثمّ أتاه غلام من أصحاب لؤلؤ يركض ومعه رأس الخبيث، فأدناه منه، وعرضه على جماعة من المستأمِنة فعرفوه، فخرّ لله ساجداً، وسجد معه الناس، وأمر الموفّق برفع رأسه على قناة، فتأمّله الناس، فعرفوه، وكثر الضجيج بالتحميد.

وكان مع الخبيث، لمّا أُحيط به، المهلّبيُّ وحده، فولّى عنه هارباً، وقصد (٤٠٤/٧) نهر الأمير فألقى نفسه فيه يريد النجاة. وكان انكلاي قد فارق أباه قبل ذلك وسار نحو الديناريّ.

ورجع الموفّق ورأس الخبيث بين يديه، وسليمان معه، وأصحابه إلى مدينته، وأتاه من الزنج عالم كبير يطلبون الأمان فأمّنهم، وانتهى إليه خبر انكلاي والمهلّبيّ، ومكانهما، ومَنْ معهما من مقدّمي الزنج، فبثّ الموفّقُ أصحابَه في طلبهم، وأمرهم بالتضييق عليهم، فلمّا أيقنوا أن لا ملجأ أعطوا بأيديهم، فظفر بهم وبمن معهم، وكانوا زهاء خمسة آلاف، فأمر بالاستيثاق من المهلّبيّ وانكلاي، وكان ممّن هرب قرطاس الروميُّ الذي رمى الموفّق بالسهم في صدره، فانتهى إلى رامَهُرْمُز، فعرفه رجل، فدلّ عليه عامل البلد، فأخذه وسيّره إلى الموفّق فقتله أبو العبّاس.

وفيها أستأمن دَرمَوَيْه الزنجيُّ إلى أبي أحمد، وكان دَرمَوَيْه من أنجاد الزنج وأبطالهم، وكان الخبيث قد وجّهَهُ قبل هلاكه بمدّة إلى موضع كثير الشجر والأدغال والآجام، متّصل بالبطيحة، وكان هو ومن معه يقطعون الطريق هنالك على السابلة في زواريق خفاف، فإذا طُلبوا دخلوا الأنهار الصغار الضيّقة واعتصموا بالأدغال، وإذا تعذّر عليهم مسلك لضيقه حملوا سفنهم ولجؤوا إلى الأمكنة الوسيعة، ويعبرون على قرى البطيحة، ويقطعون الطريق، فظفر بجماعة من عسكر الموفّق معهم نساء قد عادوا إلى منازلهم، فقتل الرجال، وأخذ النساء، فسألهنّ عن الخبر، فأخبرته بقتل الخبيث وأسْر أصحابه وقوّاده، ومصير كثير منهم إلى الموفّق بالأمان، وإحسانه إليهم، فسقط في يده، ولم ير لنفسه ملجأ إلاّ طلب الأمان

والصفح عن جرمه، فارسل (٤٠٥/٧) يطلب الأمان، فأجابه الموفّق إليه، فخرج وجميع من معه، حتّى وافى عسكرالموفّق، فأحسن إليهم وأمّنهم.

فلمّا اطمأن دَرمويْه أظهر ما كان في يده من الأموال والأمتعة، وردّها إلى أربابها ردّاً ظاهراً، فعُلم بذلك حسن نيّته، فازداد إحسان الموفّق إليه، وأمر أن يُكتب إلى أمصار المسلمين بالنداء في أهل النواحي التي دخلها الزنج بالرجوع إلى أوطانهم، فسار الناس إلى ذلك، وأقام الموفّق بالمدينة الموفّقيّة ليأمن الناس بمقامه، وولّى البصرة، والأُبُلّة، وكُوَر دجلة، رجلاً من قُواده قد حمد مذهبه، وعلم حسن سيرته، يقال له العبّاس بن تركس، وأمره بالمُقام بالبصرة، وولّى قضاء البصرة والأُبُلّة وكُوَر دجلة محمّد بن حمّاد.

وقدّم ابنه أبا العبّاس إلى بغداد، ومعه رأس الخبيث ليراه الناس، فبلغها لاثنتَيْ عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة.

وكان خروج صاحب الزنج يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين، وقُتل يوم السبت لليلَتَيْن خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين، وكانت أيّامه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستّة أيّام، وقيل في أمر الموفّق وأصحاب الزنج أشعار كثيرة، فمن ذلك قول يحيى بن محمّد الأسلميّ:

أقولُ وقد جاء البَشيرُ بوقعةٍ ... أعزّتْ منَ الإسلامِ ما كانَ واهيا
جزَى اللّه خيرَ الناس للناسِ بعدَما ... أُبيحَ حِماهم خيرَ ما كان جازيا

(٤٠٦/٧)

تفرّدَ إذ لم ينصرِ اللّه، ناصرٌ ... بتجديدِ دينٍ كان أصبح باليا
وتجديدِ مُلْكٍ قد وهَى بعدَ عِزّهِ ... وأخذِ بثاراتٍ تُبينُ الأعاديا
وردِّ عِماراتٍ أُزيلتْ وأُخربتْ ... ليرجعَ فيءٌ قد تُخُرِّمَ وافيا
وتَرجِعَ أمصارٌ أُبيحتْ وأُحرقتْ ... مِراراً فقد أمستْ قواءً عَوافيا
ويشفي صدورَ المُسلمين بوَقعةٍ ... يُقِرُّ بها منها العيونُ البواكيا
ويُتلى كتابُ اللّه في كلّ مَسجِدٍ ... ويُلقَى دعاءُ الطالبيّنَ خاسيا
فأعرضَ عن أحبابهِ ونعيمهِ ... وعَن لذّةِ الدنيا وأصبح عاريا

وهي قصيدة طويلة، وقال غيره في هذا المعنى أيضاً شعراً كثيراً؛ انقضى أمر الزنج.

ذكر الظفر بالروم

وفي هذه السنة خرجت الروم في مائة ألف، فنزلوا على قَلَمْيَةَ، وهي على ستّة أميال من طَرَسُوس، فخرج إليهم بازمار ليلاً، فبيّتهم في ربيع الأوّل، فقتل منهم، فيما يقال، سبعين ألفاً، وقتل مقدّمهم، وهو بطريق (٤٠٧/٧) البطارقة، وقتل أيضاً بطريق الفنادين، وبطريق الناطليق، وأفلت بطريق قرّة وبه عدّة جراحات، وأخذ لهم سبعة صُلبان من ذهب وفضّة؛ وصليبهم الأعظم من ذهب مكلّل بالجوهر؛ وأخذ خمسة عشر ألف دابّة، ومن السروج وغير ذلك، وسيوفاً محلاّة، وأربعة كراسي من ذهب، ومائتَيْ كرسيّ من فضّة، وآنية كثيرة، ونحواً من عشرة آلاف علم ديباج، وديباجاً كثيراً ويرنون (؟) وغير ذلك.

ذكر وفاة الحسن بن زيد وولاية أخيه محمّد

وفيها توفّي الحسن بن زيد العلويُّ، صاحب طَبَرِستان، في رجب، وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وستّة أيّام، ووُلّيَ مكانه أخوه محمّد بن زيد.

وكان الحسن جواداً امتدحه رجل فأعطاه عشرة آلاف درهم، وكان متواضعاً للّه تعالى.

حُكي عنه أنّه مدحه شاعرٌ فقال: اللّه فرد، وابن زيد فرد، فقال: بفيك الحجر، يا كذّاب، هلا قلتَ اللّه فرد، وابن زيد عبد! ثمّ نزل عن مكانه، وخرّ ساجداً للّه تعالى، وألصق خدّه بالتراب، وحرم الشاعر.

وكان عالماً بالفِقه والعربيّة، مدحه شاعر فقال: (٤٠٨/٧)

لا تَقُلْ بُشرى، ولكن بُشريانِ ... عِزّةُ الداعي ويومُ المِهرَجانِ

فقال له: كان الواجد أن تفتتح الأبيات بغير لا، فإنّ الشاعر المُجيد يتخيّر لأوّل القصيدة ما يعجب السامع، ويتبرّك به، ولو ابتدأتَ بالمصراع الثاني لكان أحسن؛ فقال له الشاعر: ليس في الدنيا كلمة أجلّ من قول: لا إله إلاّ اللّه، وأوّلها لا؛ فقال: أصبتَ! وأجازه.

وحُكي عنه أنّه غَنّى عنده مغنٍّ بأبيات الفضل بن العبّاس في عُتبة بن أبي لهب التي أوّلها:

وأنا الأخضَرُ مَن يَعرِفُني؟ ... أخضرُ الجِلْدةِ من بيتِ العرب

فلمّا وصل إلى قوله:

برسولِ اللّه وابنَيْ عمّهِ ... وبعبّاسٍ بنِ عبدِ المُطلِبْ

غيّر البيت فقال: لا بعبّاسِ بنِ عبدِ المطّلِبْ، فغضب الحسن وقال يا ابن اللّخناء، تهجو بني عمّنا بين يديّ، وتحرّف ما مُدحوا به ؟لئن فعلتَها مرّة ثانية لأجعلنّها آخر غنائك.

ذكر وفاة أحمد بن طولون وولاية ابنه خُمارَوَيْه

في هذه السنة توفّي أحمد بن طولون، صاحب مصر، والشام، والثغور الشامية.

وكان سبب موته أنّ نائبه بطَرَسُوس وثب عليه بازمار الخادم، وقبض (٤٠٩/٧) عليه، وعصى على أحمد، وأظهر الخلاف، فجمع أحمد العساكر وسار إليه، فلمّا وصل أذّنَ كاتبه وراسله

يستميله، فلم يلتفت إلى رسالته، فسار إليه أحمد، ونازله وحصره، فخرق بازمار نهر البلد على منزلة العسكر، فكاد الناس يهلكون، فرحل أحمد مَغيظاً حَنِقاً وكان الزمان شتاء، وأرسل إلى بازمار: إنّني لم أرحل إلاّ خوفاً أن تنخرق حُرمة هذا الثغر فيطمع فيه العدوّ.

فلمّا عاد إلى أنطاكية أكل لبن الجواميس، فأكثر منه، فأصابه منه هيضة، واتّصلت حتّى صار منها ذَرَب، وكان الأطبّاء يعالجونه، وهو يأكل سرّاً، فلم ينجع الدواء، فتُوفي رحمه اللّه.

وكانت إمارته نحو ستّ وعشرين سنة، وكان عاقلاً، حازماً، كثير المعروف والصدقة، متديّناً، يحبّ العلماء وأهل الدين، وعمل كثيراً من أعمال البرّ ومصالح المسلمين، وهو الذي بنى قلعة يافا، وكانت المدينة بغير قلعة، وكان يميل إلى مذهب الشافعيّ، ويكرم أصحابه.

ووليَ بعده ابنه خُمارَوَيْه، وأطاعه القوّاد، وعصى عليه نائب أبيه بدمشق، فسيّر إليه العساكر فأجلوه، وساروا من دمشق إلى شَيْزَر.

ذكر مسير إسحاق بن كنداجيق إلى الشام

لمّا توفّي أحمد بن طولون كان إسحاق بن كنداجيق على الموصل والجزيرة، فطمع هو وابن أبي الساج في الشام، واستصغرا أولاد أحمد، وكاتبا الموفّق (٤١٠/٧) باللّه في ذلك، واستمدّاه، فأمرهما بقصد البلاد، ووعدهما إنفاذ الجيوش، فجمعا، وقصدا ما يجاورهما من البلاد، فاستوليا عليه، وأعانهما النائب بدمشق لأحمد بن طولون، ووعدهما الانحياز إليهما، فتراجع مَنْ بالشام من نوّاب أحمد بأنطاكية، وحلب، وحمص، وعصى متولّي دمشق، واستولى إسحاق على ذلك.

وبلغ الخبر إلى أبي الجيش خُمارَوَيْه بن أحمد، فسيّر الجيوش إلى الشام فملكوا دمشق، وهرب النائب الذي كان بها؛ وسار عسكر خُمارويه من دمشق إلى شَيْزَر لقتال إسحاق بن كنداجيق وابن أبي الساج، فطاولهم إسحاق ينتظر المدد من العراق، وهجم الشتاء على الطائفتَيْن، وأضرّ بأصحاب ابن طولون، فتفرّقوا في المنازل بشَيزر.

ووصل العسكر العراقيُّ إلى كنداجيق وعليهم أبو العبّاس أحمد بن الموفّق وهو المعتضد باللّه، فلمّا وصل سار مجدّاً إلى عسكر خُمارَوَيْه بشَيزر، فلم يشعروا حتّى كبسهم في المساكن، ووضع السيف فيهم، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وسار من سلم إلى دمشق، على أقبح صورة، فسار المعتضد إليهم، فجلوا عن دمشق إلى الرَّملة، وملك هو دمشق، ودخلها في شعبان سنة إحدى وسبعين ومائتين، وأقام عسكر ابن طولون بالرَّملة، فأرسلوا إلى خُمارَوَيْه يعرّفونه الحال، فخرج من مصر في عساكره قاصداً إلى الشام.(٤١١/٧)

ذكر عدّة حوادث

وفيها، في جُمادى الأولى، توفّي هارون بن الموفّق ببغداد.

وفيها كان فداء أهل سِنْديّة على يد بازمار.

وفيها، في شعبان، شغب أصحاب أبي العبّاس بن الموفّق على صاعد بن مخلّد، وهو وزير الموفّق، وطلبوا الأرزاق، وقاتلهم أصحاب صاعد، وكان بينهم حرب شديدة قُتل فيها جماعة، وأُسرَ من أصحاب أبي العبّاس جماعة، ولم يكن أبو العبّاس حاضراً، كان قد خرج متصيّداً، ودامت الحرب إلى بعد المغرب، ثمّ كفّ بعضهم عن بعض، ثمّ وُضع العطاء من الغد، واصطلحوا.

وفيها كانت وقعة بين إسحاق بن كنداجيق وبين ابن دعباش وكان ابن دعباش بالرُّقّة عاملاً عليها، وعلى الثغور والعواصم، لابن طولون، وابن كنداجيق على الموصل للخليفة.

وفيها ابتدأ إسماعيل بن موسى ببناء مدينة لاردة من الأندلس، وكان مخالفاً لمحمّد صاحب الأندلس، ثمّ صالحه في العام الماضي، فلمّا سمع صاحب بَرشلونة الفرنجيُّ جمع وحشد وسار يريد منعه من ذلك، فسمع به إسماعيل، فقصده وقاتله، فانهزم المشركون، وقُتل أكثرهم، وبقي أكثر القتلى في تلك الأرض دهراً طويلاً.

وفيها توفّي محمّد بن إسحاق بن جعفر الصاغانيُّ الحافظ، ومحمّد بن مسلم بن عثمان، المعروف بابن واره الرازيّ، وكان إماماً في الحديث، وله فيه مصنّفات. (٤١٢/٧)

وفيها توفّي داود بن عليّ الأصبهانيُّ الفقيه، إمام أصحاب الظاهر، وكان مولده سنة اثنتين ومائتين.

وفيها توفّي مُصعب بن أحمد بن مُصعب أبو أحمد الصوفيُّ الزاهد، وهو من أقران الجُنَيْد.

وفيها مات ملك الروم، وهو ابن الصَّقلبيّة، وحجّ بالناس هارون بن محمّد بن محمّد بن إسحاق بن عيسى بن موسى بن محمّد بن عليّ بن عبد اللّه بن العبّاس.

وفيها توفّي خالد بن أحمد بن خالد السّدوسيُّ الذُّهليُّ الذي كان أمير خُراسان ببغداد، وكان قد قصد الحجّ فقبض عليه الخليفة المعتمد وحبسه، فمات بالحبس، وهو الذي أخرج البخاريُّ، صاحب الصحيح، من بخارى، وخبره معه مشهور، فدعا عليه البخاريُّ فأدركته الدعوة.(٤١٣/٧)

سنة إحدى وسبعين ومائتين

ذكر خلاف محمّد وعليّ العلويّين

في هذه السنة دخل محمّد وعليٌّ ابنا الحسين بن جعفر بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب المدينة، وقتلا جماعة من أهلها، وأخذا من قوم مالاً، ولم يصلّ أهل المدينة في مسجد رسول الله ﷺ أربع جمع، لا جُمْعة، ولا جماعة، فقال الفضل بن العبّاس العلويُّ في ذلك:

أُخربَتْ دارُ هِجرةِ المُصطفى البَـ ... ـرّ فـأبكى خرابُها المُسلمينا
عينُ فابكي مَقام جِبْريلَ والقبـ ... ـرَ فبكّي والمِنبَرَ الميمونا
وعلى المسجدِ الذي أُسُّهُ التّقـ ... ـوى، خلاءً امسى من العابدينا
وعلى طَيبةَ التي بارك اللّـ ... ـه عليها بخَاتَمِ المُرسَلينا

(٤١٤/٧)

ذكر عزل عمرو بن الليث عن خُراسان

وفيها أدخل المعتمد إليه حاجَّ خُراسان، وأعلمهم أنّه قد عزل عمرو بن الليث عمّا قد قلّده، ولعنه بحضرتهم، وأخبرهم أنّه قلّد خُراسانَ محمّدَ ابن طاهر، وأمر أيضاً بلعن عمرو على المنابر، فَلُعن، فسار صاعد بن مخلد إلى فارس لحرب عمرو، فاستخلف محمّدُ بن طاهر رافعَ بن هرثمة على خُراسان، فلم يغيّر السامانيّة عمّا وراء النهر.

ذكر وقعة الطواحين

وفي هذه السنة كانت وقعة الطواحين بين أبي العبّاس المعتضد وبين خُمارَوَيْه بن أحمد بن طولون.

وسبب ذلك أنّ المعتضد سار من دمشق، بعد أن ملكها، نحو الرَّملة إلى عساكر خُمارَوَيْه، فأتاه الخبر بوصول خُمارويه إلى عساكره، وكثرة من معه من الجموع، فهمّ بالعود، فلم يمكّنه من معه من أصحاب خُمارَوَيْه الذين صاروا معه؛ وكان المعتضد قد أوحش ابن كنداجيق، وابن أبي الساج، ونسبهما إلى الجبن، حيث انتظراه ليصل إليهما، ففسدت نيّاتهما معه.

ولمّا وصل خُمارَوَيه إلى الرَّملة نزل على الماء الذي عليه الطواحين، فملكه، فنُسبت الوقعة إليه، ووصل المعتضد وقد عبّأ أصحابه، وكذلك أيضاً فعل خُمارَوَيْه، وجعل له كميناً عليهم سعيداً الأيسر، وحملت ميسرة المعتضد على (٤١٥/٧) ميمنة خُمارويه، فانهزمت، فلمّا رأى ذلك خُمارَوَيْه، ولم يكن رأى مصافّاً قبله، ولّى منهزماً في نفر من الأحداث الذين لا علم لهم بالحرب، ولم يقف دون مصر.

ونزل المعتضد إلى خيام خُمارَوَيْه، وهو لا يشكّ في تمام النصر، فخرج الذين عليهم سعيد الأيسر، وانضاف إليه من بقي من جيش خُمارَوَيْه، ونادوا بشعارهم، وحملوا على عسكر المعتضد، وهم مشغولون بنهب السواد، ووضع المصريّون السيف فيهم، وظنّ المعتضد أنّ خُمارَوَيْه قد عاد، فركب فانهزم ولم يلو على شيء، فوصل إلى دمشق، ولم يفتح له أهلها بابها، فمضى منهزماً حتّى بلغَ طَرَسُوس، وبقي العسكران يضطربان بالسيوف، وليس لواحد منهما أمير.

وطلب سعيد الأيسر خُمارَوَيه فلم يجده، فأقام أخاه أبا العشائر، وتمّت الهزيمة على العراقيّين، وقُتل منهم خلق كثير وأُسر كثير.

وقال سعيد للعساكر: إن هذا أخو صاحبكم، وهذه الأموال تُنفق فيكم؛ ووضع العطاء، فاشتغل الجند عن الشغب بالأموال، وسُيّرت البشارة إلى مصر، ففرح خُمارَوَيْه بالظَّفر، وخجل للهزيمة، غير أنّه أكثر الصدقة، وفعل مع الأسرى فعلة لم يَسبق إلى مثلها أحدٌ قبله، فقال لأصحابه: إنّ هؤلاء أضيافكم فأكرموهم؛ ثمّ أحضرهم بعد ذلك وقال لهم: من اختار المقام عندي فله الإكرام والمواساة، ومن أراد الرجوع جهّزناه وسيّرناه؛ فمنهم من أقام ومنهم من سار مكرَّماً؛ وعادت عساكر خُمارَوَيه إلى الشام ففتحته أجمع، فاستقرّ ملك خُمارَوَيْه له.(٤١٦/٧)

ذكر الحرب بين عسكر الخليفة وعمرو الصَّفّار

في هذه السنة عاشر ربيع الأوّل كانت وقعة بين عساكر الخليفة وفيها أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلَف، وبين عمرو بن الليث الصَّفّار، ودامت الحرب من أوّل النهار إلى الظُّهر، فانهزم عمرو وعساكره وكانوا خمسة عشر ألفاً بين فارس وراجل، وجُرح الدرهميُّ مقدّم جيش عمرو بن الليث، وقُتل مائة رجل من حُماتهم، وأُسر ثلاثة آلاف أسير، واستأمن منهم ألف رجل، وغنموا من معسكر عمرو من الدوابّ والبقر والحمير ثلاثين ألف رأس، وما سوى ذلك فخارج عن الحدّ.

ذكر حروب الأندلس وإفريقية

في هذه السنة سيّر محمّد، صاحب الأندلس، جيشاً مع ابنه المنذر إلى مدينة بَطَلْيُوس، فزال عنها ابن مروان الجلّيقيُّ، وكان مخالفاً، كما ذكرنا، وقصد حصن أشِير غرة فتحصّن به، فأحرق المنذر بَطَلْيُوس، وسيّر محمّد أيضاً جيشاً مع هاشم بن عبد العزيز إلى مدينة سَرَقُسْطَة، وبها محمّد بن لب بن موسى، فملكها هاشم وأخرج منها محمّداً، وكان معه عمر بن حَفصون الذي ذكرنا خروجه على صاحب الأندلس فصالحه. (٤١٧/٧)

فلمّا عادوا إلى قُرطُبة هرب عمر بن حَفصون، وقصد بَرْبشْتَر

مخالفاً، فاهتمّ صاحب الأندلس به، على ما نذكره إن شاء اللّه تعالى.

وفيها سارت سريّة للمسلمين عظيمة بصِقلّية إلى رَمْطة، فخرّبت وغنمت وسبت، وأسرت كثيراً وعادت.

وتوفّي أمير صِقلّية، وهو الحسين بن أحمد، فوُلّيَ بعده سَوادةُ بن محمّد بن خَفاجة التميميُّ، وقدم إليها، فسار عسكر كبير إلى مدينة قطانية فأهلك ما فيها، وسار إلى طَبَرْمِين فقاتل أهلها، وأفسد زرعها، وتقدّم فيها، فأتاه رسول بطريق الروم يطلب الهدنة والمفاداة، فهادنه ثلاثة أشهر، وفاداه ثلاثمائة أسير من المسلمين، فرجع سوادة إلى بَلَرْمَ.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عُقد لأحمد بن محمّد الطائيّ على المدينة وطريق مكّة، فوثب يوسف بن أبي الساج، وهو والي مكّة، على بدر غلام الطائيّ، وكان أميراً على الحاجّ، فحاربه وأسره، فثار الجند والحاجّ بيوسف، فقاتلوه، واستنقذوا بدراً، وأسروا يوسف وحملوه إلى بغداد، وكانت الحرب بينهم على أبواب المسجد الحرام.

وفيها خرّبت العامّة الدير العتيق الذي وراء نهر عيسى وانتهبوا ما فيه، وقلعوا أبوابه، فسار إليهم الحسين بن إسماعيل، صاحب شُرطة بغداد من قِبَل محمّد بن طاهر، فمنعهم من هدم ما بقي منه، وكان يتردّد هو والعامّة إليه أيّاماً، حتّى كاد أن يكون بينهم حرب، ثمّ بُني ما هُدم بعد أيّام، وكانت إعادة بنائه بقوّة عبدون أخي صاعد بن مخلّد. وحجّ بالناس هارون بن إسحاق.

وفيها توفّي عبد الرحمن بن محمّد بن منصور البصريُّ. (٤١٨/٧)

سنة اثنتين وسبعين ومائتين

ذكر الحرب بين أذكوتكين ومحمّد بن زيد العلويّ

في هذه السنة، منتصف جُمادى الأولى، كانت حرب شديدة بين أذكوتكين وبين محمّد بن زيد العلويّ، صاحب طَبَرِستان، ثمّ سار أذكوتكين من قَزوين إلى الرَّيّ ومعه أربعة آلاف فارس، وكان مع محمّد بن زيد من الدَّيلم والطَّبَريّة والخُراسانيّة عالم كبير، فاقتتلوا، فانهزم عسكر محمّد بن زيد وتفرّقوا، وقُتل منهم ستّة آلاف وأُسر ألفان، وغنم أذكوتكين وعسكره من أثقالهم وأموالهم ودوابّهم شيئاً لم يروا مثله، ودخل أذكوتكين الرَّيّ فأقام بها، وأخذ من أهلها مائة ألف ألف دينار، وفرّق عمّاله في أعمال الرَّيّ.

ذكر عدّة حوادث

فيها وقع بين أبي العبّاس بن الموفّق وبين بازمار بطَرَسُوس، فثار أهل طرسوس بأبي العبّاس فأخرجوه، فسار إلى بغداد في النصف من المحرّم.

وفيها توفّي سليمان بن وهب في جيش الموفّق في صفر. (٤١٩/٧)

وفيها خرج خارجيٌّ بطريق خُراسان، وسار إلى دَسْكرة الملك فقُتل.

وفيها دخل حَمدان بن حمدون، وهارون الشاري مدينة الموصل، وصلّى بهم الشاري في جامعها.

وفيها نُقب المُطْبق من داخله، وأُخرج منه الدوبانيُّ العلويُّ، وفتيان معه، فركبوا دوابَّ أُعدّت لهم وهربوا، فأُغلقت أبواب بغداد، فأُخذ الدوبانيُّ ومن معه، فأمر الموفّق، وهو بواسط، أن تُقطع يده ورجله من خلاف، فقُطع.

وفيها قدم صاعد بن مخلّد من فارس إلى واسط، فأمر الموفّق جميع القوّاد أن يستقبلوه، فاستقبلوه، وترجّلوا له، وقبّلوا يده، وهو لا يكلّمهم كبراً وتيهاً، ثمّ قبض الموفّق عليه وعلى جميع أهله وأصحابه، ونهب منازلهم بعد أيّام، وكان قبضه في رجب، وقُبض ابناه أبو عيسى وصالح، وأخوه عبدون ببغداد، واستكتب مكانه أبا الصقر إسماعيل بن بُلبل، واقتصر به على الكتابة دون غيرها.

وفيها نزل بنو شيبان ومن معهم بين الزانين من أعمال الموصل، وعاثوا في البلد وأفسدوا، وجمع هارون الخارجيُّ على قصدهم، وكتب إلى حمدان بن حمدون التغلبيّ في المجيء إليه، إلى الموصل، فسار هارون نحو الموصل، وسار حمدان ومن معه إليه، فعبروا إليه بالجانب الشرقيّ من دجلة، وساروا جميعاً إلى نهر الخازر، وقاربوا حلل بني شيبان، فواقعته طليعة لبني شيبان على طليعة هارون، فانهزمت طليعة هارون، وانهزم هارون، وجلا أهل نينوى (٤٢٠/٧) عنها، إلاّ من تحصّن بالقصور.

وفيها زلزلت مصر، في جُمادى الآخرة، زلزلة شديدة أخربت الدور والمسجد الجامع، وأُحصي بها، في يوم واحد، ألف جنازة.

وفيها غلا السعر ببغداد، وكان سببه أن أهل سامرّا منعوا من انحدار السفن بالطعام، ومنع الطائيُّ أرباب الضِّياع من الدِّياس ليُغلوا الأسعار، ومنع أهل بغداد عن سامرّا الزيت والصابون وغير ذلك، واجتمعت العامّة ووثبوا بالطائيّ، فجمع أصحابه وقاتلهم، فجُرح بينهم جماعة، وركب محمّد بن طاهر وسكّن الناس، وصرّفهم عنه.

وفيها توفّي إسماعيل بن بريّة الهاشميُّ في شوّال، وعبيد اللّه بن عبد اللّه الهاشميُّ.

وفيها تحرّكت الزنج بواسط، وصاحوا: انكلاي، يا منصور، وكان هو والمهلّبيُّ، وسليمان بن جامع، وجماعة من قوّادهم في حبس الموفّق ببغداد، وكتب الموفّق بقتلهم، فقُتلوا، وأُرسلت رؤوسهم إليه، وصُلبت أبدانهم ببغداد.

وفيها صلح أمر مدينة رسول اللّهﷺ وتراجع الناس إليها.

وفيها غزا الصائفةَ بازمار، وحجّ بالناس هارون بن محمّد بن إسحاق.

وفيها سيّر صاحب الأندلس إلى ابن مروان الجلّيقيّ، وهو بحصن أشِير غرة، فحصروه وضيّقوا عليه، وسيّر جيشاً آخر إلى محاربة عمر بن (٤٢١/٧) حفصون بحصن بَرْبِشْتَر.

وفيها انقضت الهدنة بين سوادة أمير صِقلّية والروم، فأخرج سوادة السرايا إلى بلد الروم بصقلّية، فغنمت وعادت.

وفيها قدم من القُسطنطينيّة بطريقٌ، يقال له انجفور، في عسكر كبير، فنزل على مدينة سِيْرِينَةَ فحصرها، وضيّق على من بها من المسلمين، فسلّموها على أمان ولحقوا بأرض صِقلّية، ثمّ وجّه انجفور عسكراً إلى مدينة منتية، فحصروها، حتّى سلّمها أهلها بأمان إلى بَلَرْمَ من صِقلّية.

وفيها مات أبو بكر محمّد بن صالح بن عبد الرحمن الأنماطيُّ، المعروف بكنجلة، وهو من أصحاب يحيى بن معين، وهو لقبه.

وفيها توفّي أحمد بن عبد الجبّار بن محمّد بن عُطارد العُطارديُّ التميميُّ، وهو يروي مغازي ابن إسحاق عن يونُس عن ابن إسحاق، ومن طريقه سمعناه.

وفيها توفّي إبراهيم بن الوليد بن الخشخاش.

وفيها توفّي شعيب بن بكّار الكاتب، وله حديث عن أبي عاصم النبيل.(٤٢٢/٧)

سنة ثلاث وسبعين ومائتين

ذكر الاختلاف بين ابن أبي الساج وابن كنداج والخطبة بالجزيرة لابن طولون

في هذه السنة فسد الحال بين محمّد بن أبي الساج وإسحاق بن كنداج، وكانا متّفقين في الجزيرة.

وسبب ذلك أنّ ابن أبي الساج نافر إسحاق في الأعمال، وأراد التقدّم، وامتنع عليه إسحاق، فأرسل ابن أبي الساج إلى خُمارَوَيْه بن أحمد بن طولون، صاحب مصر، وأطاعه، وصار معه وخطب له بأعماله، وهي قِنّسرين، وسيّر ولده ديوداد إلى خُمارَوَيْه رهينةً، فأرسل إليه خُمارَوَيْه مالاً جزيلاً له ولقوّاده.

وسار خُمارَوَيْه إلى الشام، فاجتمع هو وابن أبي الساج ببالِس، وعبر ابن أبي الساج الفُرات إلى الرَّقّة، فلقيه ابن كنداج، وجرى بينهما حرب انهزم فيها ابن كنداج، واستولى ابن أبي الساج على ما كان لابن كنداج، وعبر خُمارَوَيْه الفرات ونزل الرافقة، ومضى إسحاق منهزماً إلى قلعة ماردين، فحصره ابن أبي الساج، وسار عنها إلى سِنجار، فأوقع بها بقوم من الأعراب، وسار ابن كنداج من ماردين نحو الموصل، فلقيه ابن أبي الساج بِبَرْقَعِيد، (٤٢٣/٧) فكمّن كميناً، فخرجوا عن ابن كنداج وقت القتال، فانهزم عنها، وعاد إلى ماردين فكان فيها؛ وقوي ابن أبي الساج، وظهر أمره، واستولى على الجزيرة والموصل، وخطب لخُمارَوَيْه فيها ثمّ لنفسه بعده.

ذكر وقعة بين عسكر ابن أبي الساج والشراة

لمّا استولى ابن أبي الساج على الموصل أرسل طائفة من عسكره مع غلامه فتح، وكان شجاعاً مقدّماً عنده، إلى المرج من أعمال الموصل، فساروا إليها، وجبوا الخراج منها.

وكان اليَعقوبيّة الشّراة بالقرب منه، فأرسل إليهم فهادنهم، وقال :إنما مقامي بالمرج مُدّة يسيرة ثمّ أرحل عنه. فسكنوا إلى قوله وتفرّقوا، فنزل بعضهم بالقرب من سوق الأحد، فأسرى إليهم فتح في السَّحَر، فكبسهم وأخذ أموالهم، وانهزم الرجال عنهم.

وكان باقي اليعقوبيّة قد خرجوا إلى أصحابهم الذين أوقع بهم فتح من غير أن يعلموا بالوقعة، فلقيهم المنهزمون من أصحابهم، فاجتمعوا، وعادوا إلى فتح فقاتلوه، وحملوا حملة رجل واحد، فهزموه وقتلوا من أصحابه ثماني مائة رجل، وكان أصحابه ألف رجل، فأفلت في نحو مائة رجل، وتفرّق مائة في القرى واختفوا، وعادوا إلى الموصل متفرّقين، وأقاموا بها.(٤٢٤/٧)

ذكر وفاة محمّد بن عبد الرحمن وولاية ابنه المنذر

في هذه السنة توفّي محمّد بن عبد الرحمن بن الحكَم بن هِشام الأمويُّ، صاحب الأندلس، سَلخ صفر، وكان عمره نحواً من خمس وستّين سنة، وكانت ولايته أربعاً وثلاثين سنة وأحد عشر شهراً، وكان أبيض، مُشرباً بحمرة، ربعة، أوقص، يخضب بالحنّاء والكتم، وخلّف ثلاثة وثلاثين ولداً ذكوراً، وكان ذكيّاً، فطناً بالأمور المُشتبهة متعانياً منها.

ولمّا مات وليَ بعده ابنه المنذر بن محمّد، بويع له بعد موت

أبيه بثلاث ليالٍ، وأطاعه الناس، وأحسن إليهم.

ذكر عدّة حوادث

وفيها أيضاً كانت وقعة بالرُّقّة في جمادى الأولى بين إسحاق بن كنداجيق وبين محمّد بن أبي الساج، فانهزم إسحاق، ثم كانت بينهما وقعة أخرى في ذي الحجّة فانهزم إسحاق أيضاً.

وفي هذه السنة وثب أولاد ملك الروم على أبيهم فقتلوه، وملك أحدهم بعده. (٤٢٥/٧)

وفيها قبض الموفّق على لؤلؤ غلام ابن طولون الذي كان قدم عليه بالأمان حين كان يقاتل الزنج بالبصرة، ولمّا قبضه قيّده، وضيّق عليه، وأخذ منه أربع مائة ألف دينار، فكان لؤلؤ يقول :ليس لي ذنب إلاّ كثرة مالي؛ ولم تزل أموره في إدبار إلى أن افتقر ولم يبق له شيء، ثمّ عاد إلى مصر في آخر أيام هارون بن خُمارَوَيه، فريداً وحيداً، بغلام واحد، فكان هذا ثمرة العقل السخيف وكفر الإحسان.

وحجّ بالناس فيها هارون بن محمّد بن إسحاق.

وفيها ثار السودان بمصر، وحصروا صاحب الشُّرطة، فسمع خُمارَوَيْه ابن أحمد بن طولون الخبر، فركب، وفي يده سيف مسلول، وقصد دار صاحب الشُّرطة، وقتل كلّ من لقيه من السودان، فانهزموا منه، وأكثر القتل فيهم، وسكنت مصر وأمن الناس.

وفيها مات أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجستانيُّ، صاحب كتاب السنن، ومحمّد بن زيد بن ماجة القزوينيُّ، وله أيضاً كتاب السنن، وكان عاقلاً، إماماً عالماً؛ وتوفّي الفتح بن شحرق أبو داود الكشيُّ الصوفيُّ، وكان موته ببغداد، وهو من أصحاب الأحوال الشريفة؛ وتوفّي حَنبَل بن إسحاق.(٤٢٦/٧)

سنة أربع وسبعين ومائتين

ذكر الحرب بين عسكر عمرو بن الليث وبين عسكر الموفّق

في هذه السنة سار الموفّق إلى فارس لحرب عمرو بن الليث الصَّفّار، فبلغ الخبر إلى عمرو، فسيّر العبّاسَ بن إسحاق في جمع كبير من العسكر إلى سيراف، وأنفذ ابنه محمّد بن عمرو إلى أرّجان، وسيّر أبا طلحة شركُب، صاحب جيشه، على مقدّمته، فاستأمن أبو طلحة إلى الموفّق، وسمع عمرو ذلك، فتوقّف عن قصد الموفّق.

ثمّ إنّ أبا طلحة عزم على العود إلى عمرو، فبلغ الموفّقَ خبره فقبض عليه بقرب شِيراز، وجعل ماله لابنه المعتضد أبي العبّاس، وسار يطلب عَمراً، فعاد عمرو إلى كَرمان، ومنها إلى سِجستانُ على المفازة، فتوفّي ابنه محمّد بالمَفازة، ولم يقدر الموفّق على أخذ كَرمان وسِجستان من عمرو فعاد عنه. (٤٢٧/٧)

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة غزا بازمار، فأوغل في أرض الروم فأوقع فيها بكثير من أهلها، وقتل وغنم، وسبى وأسر، وعاد سالماً إلى طَرسُوس.

وفيها دخل صديق الفرغانيُّ دور سامرّا فنهبها، وأخذ أموال التجار منها وأفسد؛ وكان صديق هذا يخفر الطريق ويحميه، ثمّ صار يقطعه.

وحجّ بالناس هارون بن محمّد.

وفيها توفّي أبو العبّاس بن الكَبش بن المتوكّل، وكان قد حبسه أخوه المعتمد ثمّ أطلقه.

وفيها توفّي الحسن بن مُكرَم، وعليُّ بن عبد الحميد الواسطيُّ.

وفيها جمع إسحاق بن كنداج جمعاً كثيراً وسار نحو الشام، فبلغ الخبر خُمارَوَيْه، فسار إليه وقد عبر الفرات، فالتقيا، وجرى بين الطائفتَيْن قتال شديد، انهزم فيه إسحاق هزيمة عظيمة لم يردّه شيء، حتّى عبر الفرات وتحصّن بها، وسار خُمارَوَيْه إلى الفرات، فعمل جسراً، فلمّا علم إسحاق بذلك سار من هناك إلى قلاع له قد أعدّها وحصّنها، وأرسل إلى خُمارَوَيْه يخضع له، ويبذل له الطاعة في جميع ولايته، وهي الجزيرة وما والاها، فأجابه إلى ذلك.(٤٢٨/٧)

وصالحه ابن أبي الساج، وجمع جمعاً كثيراً، وسار نحو الشام قاصداً منازعة خُمارَوَيْه حيث كان أبعد إلى مصر، فبلغ الخبر خُمارَوَيْه، فخرج عن مصر في عساكره، فالتقيا في البثنية من أعمال دمشق، فاقتتلا قتالاً عظيماً، فانهزم ابن أبي الساج، وعاد منهزماً حتّى عبر الفرات، فأحضر خُمارَوَيْه ولد ابن أبي الساج، وكان رهينةَ عنده، فخلع عليه، وأطلقه، وسيّره إلى أبيه، وعاد إلى مصر.(٤٢٩/٧)

سنة خمس وسبعين ومائتين

ذكر الاختلاف بين خُمَارَوَيْه وابن أبي السّاج

قد ذكرنا اتّفاق ابن أبي الساج وخُمارَوَيْه بن طولون، وطاعة ابن أبي الساج له، فلمّا كان الآن خالف ابن أبي الساج على خُمارَوَيْه، فسمع خُمارَوَيْه الخبر، فسار عن مصر في عساكره نحو

الشام، فقدم إليه آخر سنة أربع وسبعين [ومائتين]، فسار ابن أبي الساج إليه، فالتقوا عند ثنيّة العُقاب بقرب دمشق، واقتتلوا في المحرّم من هذه السنة، وكان القتال بينهما، فانهزمت ميمنة خُمارويْه، وأحاط باقي عسكره بابن أبي الساج ومن معه، فمضى منهزماً واستُبيح معسكره، وأُخذت الأثقال والدوابّ وجميع ما فيه.

وكان قد خلّف بحمص شيئاً كثيراً، فسيّر إليه خُمارويْه قائداً في طائفة من العسكر جريدة، فسبقوا ابن أبي الساج إليها، ومنعوه من دخولها والاعتصام بها، واستولوا على ما له فيها، فمضى ابن أبي الساج منهزماً إلى حلب، ثمّ منها إلى الرَّقّة، فتبعه خُمارويه، ففارق الرَّقّة، فعبر خُمارويْه الفرات، وسار في أثر ابن أبي الساج، فوصل خُمارويْه إلى مدينة بَلَد، وكان قد سبقه ابن (٤٣٠/٧) أبي الساج إلى الموصل.

فلمّا سمع ابن أبي الساج بوصوله إلى بَلَد سار عن الموصل إلى الحديثة، وأقام خُمارويْه ببلَد، وعمل له سريراً طويل الأرجل، فكان يجلس عليه في دجلة، هكذا ذكر أبو زكريا يزيد بن إياس الأزديُّ الموصليُّ صاحب تاريخ الموصل : أنّ خُمارويْه وصل إلى بلَد؛ وكان إماماً فاضلاً عالماً بما يقول وهو يشاهد الحال.

ذكر الحرب بين ابن كنداج وابن أبي الساج

لمّا انهزم ابن كنداج من ابن أبي الساج، كما ذكرناه، أقام إلى أن انهزم ابن أبي الساج من خُمارويْه، فلمّا وافى خُمارويْه بلَداً أقام بها، وسيّر مع إسحاق بن كنداج جيشاً كثيراً، وجماعة من القوّاد، ورحل يطلب ابن أبي الساج، فمضى بين يديه وابن كنداج يتبعه إلى تكريت، فعبر ابن أبي الساج دجلة، وأقام ابن كنداج، وجمع السفن ليعمل جسراً يعبر عليه، وكان يجري بين الطائفتَيْن مُراماة.

وكان ابن أبي الساج في نحو ألفَيْ فارس، وابن كنداج في عشرين ألفاً، فلمّا رأى ابن أبي الساج اجتماع السفن سار عن تكريت إلى الموصل ليلاً، فوصل إليها في اليوم الرابع، فنزل بظاهرها عند الدير الأعلى، وسار ابن كنداج يتبعه، فوصل إلى العزيق، فلمّا سمع ابن أبي الساج خبره سار إليه، فالتقوا، (٤٣١/٧) واقتتلوا عند قصر حرْب، فاشتدّ القتال بينهم، وصبر محمّد بن أبي الساج صبراً عظيماً، لأنّه كان في قلّة، فنصره اللّه، وانهزم ابن كنداج وجميع عسكره، ومضى منهزماً.

وكان أعظمَ الأسباب في هزيمته بغيُه، فإنّه لمّا قيل له : إنّ ابن أبي الساج قد أقبل نحوك من الموصل ليقاتلك، قال :أستقبل الكلب! فعدّ الناس هذا بغياً وخافوا منه، فلمّا انهزم، وسار إلى الرَّقّة، تبعه محمّد إليها، وكتب إلى أبي أحمد الموفّق يُعرّفه ما كان منه، ويستأذنه في عبور الفرات إلى الشام، بلاد خُمارويْه، فكتب إليه الموفّق يشكره، ويأمره بالتوقّف إلى أن تصله الأمداد من عنده.

وأمّا ابن كنداج فإنّه سار إلى خُمارويْه، فسيّر معه جيشاً، فوصلوا إلى الفرات، فكان إسحاق بن كنداج على الشام، وابن أبي الساج بالرَّقّة، ووكّل بالفرات من يمنع من عبورها، فبقوا كذلك مدّة.

ثمّ إنّ ابن كنداج سيّر طائفة من عسكره، فعبروا الفرات في غير ذلك الموضع، وساروا، فلم تشعر طائفة عسكر ابن أبي الساج، وكانوا طليعة، إلا وقد أوقعوا بهم، فانهزموا من عسكر إسحاق إلى الرَّقّة، فلمّا رأى ابن أبي الساج ذلك سار عن الرَّقة إلى الموصل، فلمّا وصل إليه طلب من أهلها المساعدة بالمال، وقال لهم :ليس بالمضطر مروءة؛ فأقام بها نحو شهر، وانحدر إلى بغداد، فاتّصل بأبي أحمد الموفّق في ربيع الأوّل من سنة ستّ وسبعين (٤٣١/٧) ومائتين، فاستصحبه معه إلى الجبل، وخلع عليه، ووصله بمال، وأقام ابن كنداج بديار ربيعة وديار مضر من أرض الجزيرة.

ذكر الحرب بين الطائيّ وفارس العبديّ

وفيها ظهر فارس العبديُّ في جمع، فأخاف السبيل، وسار إلى دور سامرّا ونهب، فسار إليه الطائيُّ مقاتلاً، فهزمه الطائيُّ، وأخذ سواده، ثمّ سار الطائيُّ إلى دجلة ليعبرها، فدخل طيارة له، فأدركه بعض أصحاب فارس، فتعلّقوا بكَوْثل الطيارة، فرمى الطائيُّ نفسه في الماء وسبح، فلمّا خرج منه نفض لحيته وقال: أيش ظنّ العبديّ؟ أليس أنا أسبح من سمكة ؟ ثمّ نزل الطائيُّ السنّ، والعبديُّ بإزائه، وقال عليُّ بن بسّام في الطائيّ :

قد أقبل الطائيُّ ما أقبلا ... يَفتَحُ في الأفعال ما أجمَلا
كأنّه من لين ألفاظه ... صبيّةٌ تَمضَغُ جُهْدَ البَلا

وجهد البلا ضرب من النافط يتعلك.

وفيها قبض الموفّق على الطائيّ وقيّده، وختم على كلّ شيء له، وكان يلي الكوفة وسوادها، وطريق خُراسان، وسامرّا، والشُّرطة ببغداد، وخراج بادوريا، وقُطْرُبُّل، ومَسكَن.(٤٣٣/٧)

ذكر قبض الموفّق على ابنه المعتضد باللّه

في هذه السنة، في شوّال، قبض الموفّق على ابنه المعتضد باللّه أبي العبّاس أحمد.

وسبب ذلك أنّ الموفّق دخل إلى واسط ونزل بها، ثمّ عاد إلى بغداد، وتخلّف المعتمد على اللّه بالمدائن، وأمر الموفّق ابنه أن يسير إلى بعض الوجوه، فقال :لا أخرج إلاّ إلى الشام لأنّها الولاية التي ولاّنيها أمير المؤمنين. فلمّا امتنع عليه أمر بإحضاره، فلمّا حضر أمر بعض خدمه أن يحبسه في حجرة في داره، فلمّا قام المعتضد تقدّم إليه الخادم وأمره بدخول تلك الدار، فدخل ووُكّل به فيها.

وثار القوّاد من أصحابه ومن تبعهم وركبوا، واضطربت بغداد لمّا رأوا السلاح والقوّاد، فركب الموفّق إلى الميدان وقال لهم : ما شأنكم؟ أترون أنّكم أشفق علـى ولـدي منّي، وقـد احتجتُ إلـى تقويمه! فانصرَفُوا.

في هذه السنة سار الطائيُّ إلى سـامرّا بسبب صديـق، فراسله وأمّنه، ودخل سامرّا في جماعة من أصحابه، فأخذهم الطائيُّ وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وحملهم إلى بغداد.

وفيها غزا بازمار في البحـر، فغنـم مـن الـروم أربعـة مراكـب. (٤٣٤/٧)

ذكر استيلاء رافع بن هرثمة على جُرجان

في هذه السنة سار رافع بن هرثمة إلـى جُرجـان، فـأزال عنهـا محمّد بن زيد، وسار محمّد إلى استراباذ، فحصره فيها رافع، وأقـام عليه نحو سنتَيْن، فغلت الأسعار بحيث لم يوجـد مـا يؤكـل، وبيـع وزن درهم مِلح بدرهمَيْن فضّةً، وفارقها محمّد بن زيد ليلاً في نفـر يسير إلى سارية، فسيّر إليه رافع عسكراً، فتحاربا، وسار محمّد عـن سارية وعن طَبَرِستان، وذلـك فـي ربيـع الأوّل سـنة سبع وسبعين ومائتين، واستأمن رستم بن قارن إلى رافع بطَبَرِستان، فصاهره ابـن قوله.

وقدم على رافع، وهو بطَبَرِستان، علـيُّ بـن الليـث، وكـان قـد حبسه أخوه عمرو بكَرمان، فاحتال حتّى تخلّص هو وابناه المُعـدَّل والليث، وأنفذ رافع إلى شالوسَ محمّدَ بن هارون نائبـاً عنـه، فأتـاه بها عليُّ بـن كـالي مستأمناً، فأتاهمـا محمّـد بـن زيـد وحصرهمـا بشـالوس، وأخذ الطريق عليهما، فلم يصل منهمـا إلـى رافـع خبـر، فلمّا تأخّر خبرهما عنه أرسل جاسوساً يأتيـه بأخبارهمـا، فعـاد إليـه فأخبره بحصر محمّد بن زيد إيّاهما بشـالوس، فعظـم عليـه، وسـار إليهما، فرحل عنهما محمّد بن زيد إلى أرض الدَّيلم، فدخـل رافـع خلْفه أرض الدَّيلم فخرقها حتّى اتّصل بحـدود قزويـن، وعـاد إلـى الرَّيّ، وأقام بها إلى أن توفّي الموفّق في رجب سنة سـتّ وسـبعين ومائتين. (٤٣٥/٧)

ذكر وفاة المنذر بن محمّد الأمويّ

وفيها في المحرّم توفّي المنذر بن محمّد بن عبد الرحمـن بـن الحكم بن هشام الأمويُّ، صاحب الأندلس، وقيل في صفر، وكانت ولايته سنة واحدة وأحد عشر شهراً وعشرة أيّام، وكان عمـره نحـواً من ستّ وأربعين سنة.

وكان أسمر طويلاً بوجهـه أثـر جُـدَري، جَعـداً، كـثّ اللحيـة، وخلّف ستّة ذكور، وكان جواداً يصل الشعراء ويحبّ الشعر.

ولمّا توفّي بويع أخوه عبد اللّه بن محمّد، بويع لـه يـوم مـوت أخيه، وكنيته أبو محمّد، أمّه أمّ ولد اسمها عشار توفّيـت قبـل ابنهـا بسنة، وفي أيّامـه امتـلأت الأندلـس بـالفتن، وصـار فـي كـلّ جهـة متغلّب، ولم تزل كذلك طول ولايته.

ذكر عدّة حوادث

وفيها توفّي أبو بكر أحمد بن محمّد بن الحجّاج المَـرْوَرُوذيُّ، وهو صاحب أحمد بن حنبَل؛ وعبدُ اللّـه بـن يعقـوب بـن إسـحاق العطّار الموصليُّ التميمـيُّ، وكـان كثـير الحديـث والروايـة، وكـان مُعدّلاً عند الحكام.

وفيها توفّي أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد اللّـه البكـريُّ النحويُّ اللغويُّ المشهور، صـاحب التصـانيف، وقيـل توفّـي سـنة سبعين [ومائتين]، والأوّل أصحّ.(٤٣٦/٧)

سنة سِـت وسبعين ومائتين

في هذه السنة جُعلت شُرطة بغداد إلى عمرو بن الليث، وكتب اسمه على الأعلام والتّرسة وغيرهـا، وكـان ذلـك فـي شـوّال، ثـمّ ترتّب في الشُّرطة عبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر من قِبَل عمرو، ثمّ أمره بطرح اسم عمرو عن الأعلام وغيرها في شوّال من هذه السنة.

وفيها، في منتصف ربيع الأوّل، سار الموفّق إلى بـلاد الجبـل، وسبب مسيره أنّ الماذرائيّ، كاتب أذكوتكيـن، أخـبره أن لـه هنـاك مالاً عظيماً، وأنّه إن سار معه أخذه جميعـه، فسـار إليـه، فلـم يجـد المال، فلمّا لم يجد شيئاً سار إلـى الكـرَج، ثـمّ إلـى أصبهـان يريـد أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلَف، فتنحّى أحمد عـن البلـد بجيشـه وعياله، وترك داره بفرشها لينزلها الموفّق إذا قدم.

وفيها استعمل الموفّق باللّه علـى أذْرَبِيجـان ابـن أبـي السـاج، فسار إليها، فخرج إليه عبـد اللّـه بـن الحسـن الهمذانـيُّ، صـاحب مَراغة، ليصدره عنها، فحاربه، فانهزم عبد اللّه وحُصر،وأُخذت منـه سـنة ثمـانين ومـائتين، كمـا نذكـره، واسـتقرّ ابـن أبـي السـاج لعمله.(٤٣٧/٧)

وفيها توفّي محمّد بن حمّاد بـن إسـحاق بـن حمّـاد بـن يزيـد القاضي.

وفيها قتل عاملُ الموصل لابن كنداج إنساناً من الخوارج اسمه نعيم، فسمع هارون مقدّم الخوارج بذلـك وهـو بحديثـة الموصـل، فجمع أصحابه وسار إلى الموصل يريد حرب أهلها، فـنزل شـرقيَّ دجلة، فأرسل إليه أعيانهم ومقدّموهـم يسـألونه مـا الـذي أقدمـه ؟ فذكر قتل نعيم؛ فقالوا: إنّما قتله عامل السلطان من غير اختيار منّـا. وطلبوا منه الأمان ليحضروا عنـده يعتـذرون، ويتـبرؤون مـن قتلـه، فأمّنهم، فخرج إليه جماعة من أهل الموصل وأعيانهم، وتبرّؤوا من

قتله، فرحل عنهم.

وفيها عاد حُجّاج اليمن عن مكّة، فنزلوا وادياً، فأتاهم السَّيْل فحملهم جميعهم وألقاهم في البحر.

وفيها توفّي أبو قلابة عبد الملك بن محمّد الرقاشيُّ البصريُّ، وكان يسكن بغداد.

وفيها ورد الخبر بانفراج تلّ من نهر البصرة، يُعرف بتلّ شقيق، عن سبعة أقبر فيها سبعة أبدان صحيحة، والقبور في شبه الحوض من حجر في لون المِسَنّ، عليه كتاب لا يُدرى ما هو، وعليهم أكفان جدد ويفوح منها ريح المسك، أحدهم شابّ له جُمّة، وعلى شفتَيْه بلل كأنّه قد شرب ماء، وكأنّه قد كُحل، وبه ضربة في خاصرته.

وحجّ بالناس هارون بن محمّد الهاشميُّ.(٤٣٨/٧)

وفيها توفّي أبو محمّد عبد اللّه بن مسلم بن قُتيبة، صاحب كتاب أدب الكاتب، وكتاب المعارف، وهو كوفيٌّ، وإنّما قيل له الدِّينَوريُّ لأنّه كان قاضيها، وقيل مات سنة سبعين [ومائتين]؛ وأبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد اللّه اليشكُريُّ النحويُّ الراوية، وكان مولده سنة اثنتي عشرة ومائتين.

وفيها توفّي محمّد بن عليّ أبو جعفر القصّاب الصوفيُّ، وهو من أقران السريّ، وصحبه الجنيد كثيراً.(٤٣٩/٧)

سنة سبع وسبعين ومائتين

في هذه السنة دعا بازمار بطَرَسُوس لخُمارَوَيْه بن أحمد بن طولون.

وسبب ذلك أنّ خُمارَوَيْه أنفذ إليه ثلاثين ألف دينار، وخمسمائة ثوب، وخمسمائة مِطْرف، وسلاحاً كثيراً، فلمّا وصل إليه دعا له، ثمّ وجّه إليه بخمسين ألف دينار.

وفيها، في ربيع الآخر، كان بين وصيف خادم ابن أبي الساج والبرابرة أصحاب أبي الصقر، فتنة، فاقتتلوا، فقُتل بينهم جماعة؛ كان ذلك بباب الشام، فركب أبو الصقر ففرّقهم.

وفيها وليَ يوسف بن يعقوب المظالم، وأمر من ينادي :من كانت له مظلمة قِبَلَ الأمير الناصر لدين اللّه الموفّق، أو أحد من الناس، فليحضر.

وفيها، في شعبان، قدم بغداد قائد عظيم من قوّاد خُمارَوَيه بن أحمد بن طولون في جيش عظيم؛ وحج بالناس هارون بن محمّد بن عيسى الهاشميُّ.

وفيها توفّي أبو جعفر أحمد بن محمّد بن أبي المثنّى الموصليُّ، وكان كثير الحديث، وهو من أهل الصّدق والأمانة.

وفيها توفّي أبو حاتم الرازيُّ، واسمه محمّد بن إدريس بن المنذر، وهو من أقران البُخاريّ ومُسلم. (٤٤٠/٧)

ومات فيها يعقوب بن سفيان بن حوان السرّيّ، وكان يتشيّع؛ ويعقوب بن يوسف بن معقل الأمويُّ، والد أبي العبّاس الأصمّ.

وفيها توفّيت عَريب المغنّية المأمونيّة، وقيل إنّها ابنة جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك، وكان مولدها سنة إحدى وثمانين ومائة.

وفيها توفّي أبو سعيد الخرّاز، واسمه أحمد بن عيسى، وقيل سنة ستّ وثمانين [ومائتين]، والأوّل أشبه بالصواب.

(الخرّاز بالخاء المعجمة والراء والزاي).(٤٤١/٧)

سنة ثمان وسبعين ومائتين

ذكر الفتنة ببغداد

فيها كانت الحرب ببغداد بين أصحاب وصيف الخادم والبربر، وأصحاب موسى ابن أخت مُفلح، أربعة أيّام من المحرّم، ثمّ اصطلحوا، وقد قُتل بينهم جماعة، ثمّ وقع بالجانب الشرقيّ وقعة بين أصحاب يونُس قُتل فيها رجل، ثمّ انصرفوا.

ذكر وفاة الموفّق

وفيها توفّي أبو أحمد الموفّق باللّه بن المتوكّل، وكان قد مرض في بلاد الجبل، فانصرف وقد اشتدّ به وجع النِّقرس، فلم يقدر على الركوب، فعُمل له سرير عليه قبّة، فكان يقعد عليه [هو] وخادم له يبرّد رجله بالأشياء الباردة، حتّى إنّه يضع عليها الثلج، ثمّ صارت علّة برجله، داء الفيل، وهو ورَم عظيم يكون في الساق، يسيل منه ماء، وكان يحمل سريره أربعون رجلاً بالنوبة، فقال لهم يوماً :قد ضجرتم من حملي، بودّي أن أكون كواحد منكم أحمل على رأسي، وآكل، وأنا في عافية.

وقال في مرضه : أُطبق ديواني على مائة ألف مرتزق، ما أصبح فيهم (٤٤٢/٧) أسوأ حالاً منّي؛ فوصل إلى داره لليلتين خلتا من صفر، وشاع موته بعد انصراف أبي الصقر من داره، وكان تقدّم بحفظ أبي العبّاس، فأُغلقت عليه أبواب دون أبواب، وقوي الإرجاف بموته، وكان قد اعترته غشية، فوجّه أبو الصقر إلى المدائن، فحمل منها المعتمد وأولاده، فجيء بهم إلى داره، ولم يسر أبو الصقر إلى دار الموفّق.

فلمّا رأى غلمان الموفّق الماثلون إلى أبي العبّاس والرؤساء من غلمان أبي العبّاس ما نزل بالموفّق، كسّروا الأقفال والأبواب

المُغلقة على أبي العبّاس، فلمّا سمع أبو العبّاس ذلك ظنّ أنّهم يريدون قتله، وأخذ سيفه بيده، وقال لغلام عنده: واللّه لا يصلون إليّ وفيّ شيء من الروح! فلمّا وصلوا إليه رأى في أوّلهم غلامه وصيفاً موشكير، فلمّا رآه ألقى السيف من يده، وعلم أنّهم ما يريدون إلاّ الخير، فأخرجوه وأقعدوا عند أبيه، فلمّا فتح عينه رآه، فقرّبه وأدناه إليه.

وجمع أبو الصقر عنده القوّاد والجند، وقطع الجسرَيْن، وحاربه قوم من الجانب الشرقيّ، فقُتل بينهم قتلى، فلمّا بلغ الناسَ أنّ الموفّق حيٌّ حضر عنده محمّد بن أبي الساج، وفارق أبا الصقر، وتسلّل القوّاد والناس عن أبي الصقر؛ فلمّا رأى أبو الصقر ذلك حضر هو وابنه دار الموفّق، فما قال له الموفّق شيئاً ممّا جرى، فأقام في دار الموفّق، فلمّا رأى المعتمد أنّه بقي في الدار نزل هو وبنوه وبكتمر، فركبوا زورقاً، فلقيهم طيار لأبي ليلى بن عبد العزيز بن أبي دُلَف، فحمله فيه إلى دار عليّ بن جهشيار. (٤٤٣/٧)

ذكر أعداء أبي الصقر أنّه أراد أن يتقرّب إلى المعتمد بمال الموفّق وأسبابه، وأشاعوا ذلك عنه عند أصحاب الموفّق، فنُهبت دار أبي الصقر، حتّى أُخرجت نساؤه منها حُفاة بغير أُزُر، ونُهب ما يجاورها من الدور، وكُسِّرت أبواب السجون وخرج من كان فيها.

وخلع الموفّق على ابنه أبي العبّاس، وعلى أبي الصقر، وركبا جميعاً، فمضى أبو العبّاس إلى منزله، وأبو الصقر إلى منزله وقد نُهب، فطلب حصيرة يقعد عليها عارية؛ فولّى أبو العبّاس غلامه بدراً الشُّرطة، واستخلف محمّد بن غانم بن الشاة على الجانب الشرقيّ.

ومات الموفّق يوم الأربعاء لثمان بقين من صفر من هذه السنة، ودُفن ليلة الخميس بالرُّصافة، وجلس أبو العباس للتعزية.

وكان الموفّق عادلاً، حسن السيرة، يجلس للمظالم وعنده القضاة وغيرهم، فينتصف الناس بعضهم من بعض، وكان عالماً بالأدب، والنسب، والفقه، وسياسة الملك، وغير ذلك. قال يوماً: إن جَدّي عبد اللّه بن العبّاس قال: إنّ الذباب ليقع على جليسي فيؤذيني ذلك؛ وهذا نهاية الكرم، وأنا واللّه أرى جُلسائي بالعين التي أرى بها إخواني، واللّه لو تهيّأ لي أن أغيّر أسماءهم لنقلتها من الجلساء إلى الأصدقاء والإخوان.

وقال يحيى بن عليّ: دعا الموفّق يوماً جلساءه، فسبقتُهم وحدي، فلمّا رآني وحدي أنشد يقول:

واستصحب الأصحابَ حتّى إذا دَنَوا ... ومَلّوا من الإدلاج جئتكُمُ وَحْدي
(٤٤٤/٧)

فدعوتُ له، واستحسنتُ إنشاده في موضعه، وله محاسن كثيرة ليس هذا موضع ذكرها.

ذكر البيعة للمعتضد بولاية العهد

لمّا مات الموفّق اجتمع القوّاد وبايعوا ابنه أبا العبّاس بولاية العهد بعد المفوّض ابن المعتمد، ولُقّب المعتضد باللّه، وخُطب له يوم الجمعة بعد المفوّض، وذلك لسبع ليال بقين من صفر، واجتمع عليه أصحاب أبيه، وتولّى ما كان أبوه يتولاّه.

وفيها قبض المعتمد على أبي الصقر وأصحابه، وانتهب منازلهم، وطلب بني الفرات فاختفوا، وخلع على عبيد اللّه بن سليمان بن وهب، وولاّه الوزارة، وسيّر محمّد بن أبي الساج إلى واسط ليردّ غلامه وصيفاً إلى بغداد، فمضى وصيف إلى السُّوس فعاث بها ونهب الطيب، وأبى الرجوع إلى بغداد.

وفيها قُتل عليّ بن الليث أخو الصفّار، قتله رافع بن هرثمة، وكان قد يحتق به، وترك أخاه.

وفيها غار ماء النيل، فغلت الأسعار بمصر.

ذكر ابتداء أمر القرامطة

وفيها تحرّك بسواد الكوفة قوم يُعرفون بالقَرامطة، وكان ابتداء أمرهم، فيما ذُكر؛ أنّ رجلاً منهم قدم من ناحية خُوزستان إلى سواد الكوفة، فكان بموضع يقال له النهرين، يُظهر الزهد والتقشّف، ويسفّ الخُواص، ويأكل (٤٤٥/٧) من كسب يده، ويكثر الصلاة، فأقام على ذلك مُدّة، فكان إذا قعد إليه رجل ذاكره أمرَ الدِّين وزهّده في الدنيا، وأعلمه أن الصلاة المفروضة على الناس خمسون صلاة في كلّ يوم وليلة، حتّى فشا ذلك [عنه] بموضعه، ثمّ أعلمهم أنّه يدعو إلى إمام من آل بيت الرسول، فلم يزل على ذلك حتّى استجاب له جمع كثير.

وكان يقعد إلى بقّال هناك. فجاء قوم إلى البقّال يطلبون منه رجلاً يحفظ عليهم ما صَرَموا من نخلهم، فدلّهم عليه وقال لهم: إن أجابكم إلى حفظ تمركم فإنّه بحيث تحبّون؛ فكلّموه في ذلك، فأجابهم على أجرة معلومة، فكان يحفظ لهم، ويصلّي أكثر نهاره، ويصوم، ويأخذ عند إفطاره من البقّال رطل تمر فيفطر عليه، ويجمع نوى ذلك التمر ويُعطيه البقّال، فلمّا حمل التجار تمرهم حاسبوا أجيرهم عند البقّال، ودفعوا إليه أجرته، وحاسب الأجير البقّال على ما أخذ منه من التمر وحطّ ثمن النوى، فسمع أصحاب التمر محاسبته للبقّال بثمن النوى فضربوه وقالوا له: ألم ترض بأكل تمرنا، حتّى بعت النوى؟ فقال لهم البقّال: لا تفعلوا! وقصّ عليهم القصّة، فندموا على ضربه، واستحلّوا منه ففعل، وازداد بذلك عند أهل القرية لما وقفوا عليه من زهده.

ثمّ مرض، فمكث على الطريق مطروحاً، وكان في القرية رجل

أحمر العينين، يحمل على أثوار له، يسمّونه كرميتة لحمرة عينيه، وهو بالنبطيّة أحمر العين، فكلّم البقّال الكرميتة في حمل المريض إلى منزله والعناية به، ففعل، وأقام عنده حتّى برأ، ودعا أهلَ تلك الناحية إلى مذهبه، فأجابوه، وكان يأخذ من الرجل إذا أجابه ديناراً، ويزعم أنّه للإمام، واتّخذ منهم (٤٤٦/٧) اثني عشر نقيباً أمرهم أن يدعوا الناس إلى مذهبهم، وقال : أنتم كحواريّي عيسى بن مريم، فاشتغل أهل كُوَر تلك الناحية عن أعمالهم بما رسم لهم من الصلوات.

وكان للهيصم في تلك الناحية ضياع، فرأى تقصير الأكرة في عمارتها، فسأل عن ذلك، فأُخبر بخبر الرجل، فأخذه وحبسه، وحلف أن يقتله لمّا اطلع على مذهبه، وأغلق باب البيت عليه، وجعل مفتاح البيت تحت وسادته، واشتغل بالشرب، فسمع بعض من في الدار من الجواري بمساءته، فرقّتْ للرجل، فلمّا نام الهيصم أخذت المفتاح وفتحت الباب وأخرجته، ثمّ أعادت المفتاح إلى مكانه، فلمّا أصبح الهيصم فتح الباب ليقتله فلم يجده.

وشاع ذلك في الناس، فافتتن أهل تلك الناحية، وقالوا : رُفِعَ، ثمّ ظهر في ناحية أخرى، ولقي جماعة من أصحابه وغيرهم، وسألوه عن قصّته فقال : لا يمكن أحداً أن ينالني بسوء ! فعظم في أعينهم، ثمّ خاف على نفسه، فخرج إلى ناحية الشام، فلم يوقّف له على خبر، وسُمّي باسم الرجل الذي كان في داره كرميتة صاحب الأثوار، ثمّ خُفّف فقيل قرمط، (٤٤٧/٧) هكذا ذكره بعض أصحاب زكرويه عنه.

وقيل إنّ قرمط لقب رجل كان بسواد الكوفة يحمل غلّة السواد على أثوار له، واسمه حَمدان؛ ثمّ فشا مذهب القرامطة بسواد الكوفة، ووقف الطائيُّ أحمد بن محمّد على أمرهم، فجعل على الرجل منهم في السنة ديناراً، فقدم قوم من الكوفة، فرفعوا أمر القرامطة والطائيّ إلى السلطان، وأخبروه أنّهم قد أحدثوا ديناً غير دين الإسلام، وأنّهم يرون السيف على أمّة محمّدﷺ إلاّ من بايعهم، فلم يلتفت إليهم ولم يسمع قولهم.

وكان فيما حُكي عن القرامطة من مذهبهم أنّهم جاؤوا بكتاب فيه : بسم اللّه الرحمن الرحيم ! يقول الفرج بن عثمان، وهو من قرية يقال لها نصرانة، داعية المسيح، وهو عيسى، وهو الكلمة، وهو المهدي، وهو أحمد بن محمّد بن الحنفيّة، وهو جبريل، وذكر أنّ المسيح تصوّر له في جسم إنسان، وقال له :إنّك الداعية، وإنّك الحجّة، وإنّك الناقة، وإنّك الدابّة، وإنّك يحيى بن زكريّا، وإنّك روح القدس.

وعرّفه أنّ الصلاة أربع ركعات :ركعتان قبل طلوع الشمس، وركعتان بعد غروبها، وأنّ الأذان في كلّ صلاة أن يقول المؤذّن : اللّه أكبر، اللّه أكبر، اللّه أكبر، اللّه أكبر، أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، مرّتين، أشهد أنّ آدم رسول اللّه، أشهد أنّ نوحاً رسول اللّه، أشهد أنّ إبراهيم رسول اللّه، أشهد أنّ موسى رسول اللّه، أشهد أنّ عيسى رسول اللّه؛ أشهد أنّ محمّداً رسول اللّه، أشهد أنّ أحمد بن محمّد بن الحنفيّة رسول اللّه، وأن يقرأ في كل ركعة الاستفتاح، وهي من المُنزَل على أحمد بن محمّد بن الحنفيّة، والقِبلة إلى بيت المقدس، [والحجّ (٤٤٨/٧) إلى بيت المقدس]، وأنّ الجمعة يوم الاثنين لا يُعمل فيه شيء، والسورة :الحمد للّه بكلمته، وتعالى باسمه، المتّخذ لأوليائه بأوليائه.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة :١٨٩]، ظاهرها ليُعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيّام، وباطنها أوليائي الذين عرفوا عبادي سبيلي اتّقوني يا أولي الألباب، وأنا الذي لا أُسأل عمّا أفعل، وأنا العليم الحكيم، وأنا الذي أبلو عبادي، وأمتحن خَلقي، فمن صبر على بلائي، ومحنتي، واختباري ألقيتُهُ في جنّتي، وأخلدتُهُ في نعمتي، ومن زال عن أمري، وكذّب رُسُلي أخذتُهُ مُهاناً في عذابي، وأتممتُ أجلي، وأظهرتُ أمري على السنة رسلي.

وأنا الذي لم يعلُ عليّ جبّار إلاّ وضعته، ولا عزيز إلاّ أذللته، وليس أصرّ على أمره، ودام على جهالته، وقالوا : لن نبرح عليه عاكفين، وبه موقنين، أولئك هم الكافرون.

ثمّ يركع، ويقول في ركوعه :سبحان ربّي ربّ العزّة وتعالى عمّا يصف الظالمون، يقول مرتّين، فإذا سجد قال : اللّه أعلى، اللّه أعلى، اللّه أعظم، اللّه أعظم.

ومن شريعته أن يصوم يومَين في السنة، وهما المِهْرَجان والنَّيرُوز، وأنّ النبيذ حرام، والخمر حلال، ولا غسل من جَنابة إلاّ الوضوء كوضوء الصلاة، وأنّ من حاربه وجب قتله، ومن لم يحاربه ممّن يخالفه أخذ منه (٤٤٩/٧) الجزية، ولا يؤكل كلّ ذي ناب، ولا كلّ ذي مخلب.

وكان مسير قرمط إلى سواد الكوفة قبل قتل صاحب الزنج، فسار قرمط إليه وقال له :إني على مذهب ورأي، ومعي مائة ألف ضارب سيف، فتناظرني، فإن اتّفقنا على المذهب ملتُ إليك بمن معي، وإن تكن الأخرى انصرفتُ عنك، فتناظرا، فاختلفت آراؤهما، فانصرف قرمط عنه.

ذكر غزو الروم ووفاة بازمار

فيها، في جُمادى الآخرة، دخل أحمد العُجَيْفيُّ طَرَسُوس، وغزا مع بازمار الصائفة، فبلغوا شكندة، فأصابت بازمارَ شظيّة من حجر مِنجنيق في أضلاعه، فارتحل عنها بعد أن أشرف على

أخذها، فتوفّي في الطريق منتصف رجب، وحُمل إلى طَرَسُوس فدُفن بها.

وكان قد أطاع خُمارَوَيْه بن أحمد بن طولون، فلمّا توفّي خلفه ابن عُجيف، وكتب إلى خُمارَوَيْه يخبره بموته، فأقرّه على ولاية طَرَسُوس، وأمدّه بالخيل والسلاح والذخائر وغيرها، ثمّ عزله، واستعمل عليها ابن عمّه محمّد بن موسى بن طولون. (٥٥٠/٧)

ذكر الفتنة بطَرَسُوس

وفيها ثار الناس، بطَرَسُوس، بالأمير محمّد بن موسى، فقبضوا عليه،

وسبب ذلك أنّ الموفّق لمّا توفّي كان له خادم من خواصّه يقال له : راغب، فاختار الجهاد، فسار إلى طَرَسوس على عزم المقام بها، فلمّا وصل إلى الشام سيّر ما معه من دوابّ وآلات وخيام وغير ذلك إلى طَرسوس، وسار هو جريدةً إلى خُمارَوَيْه ليزوره، ويُعرِّفه عزمه، فلمّا لقيه بدمشق أكرمه خُمارَوَيه، وأحبّه، وأنس به، واستحيا راغب أن يطلب منه المسير إلى طَرسوس، فطال مُقامه عنده، فظنّ أصحابه أنّ خُمارَوَيْه قبض عليه، فأذاعوا ذلك، فاستعظمه الناس، وقالوا : يعمد إلى رجل قصد الجهاد في سبيل اللّه فيقبض عليه ! ثمّ شغَبوا على أميرهم محمّد ابن عمّ خمارويه، وقبضوا عليه، وقالوا : لا يزال في الحبس إلى أن يطلق ابن عمّك راغباً؛ ونهبوا داره، وهتكوا حُرَمه.

وبلغ الخبر إلى خُمارَوَيه، فأطلع راغباً عليه، وأذن له في المسير إلى طَرسوس، فلمّا بلغ إليها أطلق أهلها أميرهم، فلمّا أطلقوه قال لهم : قبح اللّه جِوارَكم! وسار عنهم إلى البيت المقدّس، فأقام به، ولمّا سار عن طرسوس عاد العُجَيْفيُّ إلى ولايتها.

ذكر عدّة حوادث

وفيها ظهر كوكب ذو جُمّة، وصارت الجُمّة ذؤابة.

وحجّ بالناس هذه السنة هارون بن محمّد بن إسحاق الهاشميُّ. (٤٥١/٧)

وتوفّي فيها عبد الكريم الدير عاقوليُّ.

وفيها توفّي إسحاق بن كنداج، ووليَ ما كان إليه من أعمال الموصل وديار ربيعة ابنه محمّد.

وتوفّي إدريس بن سليم الفَقْعَسيُّ الموصليُّ، وكان كثير الحديث والصلاح. (٤٥٢/٧)

سنة تسع وسبعين ومائتين

ذكر خلع جعفر بن المعتمد وولاية المعتضد

في هذه السنة، في المحرّم، خرج المعتمِد على اللّه، وجلس للقوّاد والقضاة ووجوه الناس، وأعلمهم أنّه خلع ابنه المفوّض إلى اللّه جعفراً من ولاية العهد، وجعل ولاية العهد للمعتضِد باللّه أبي العبّاس أحمد بن الموفّق، وشهدوا على المفوّض أنّه قد تبرّأ من العهد، وأسقط اسمه من السكّة، والخطبة، والطراز، وغير ذلك، وخطب للمعتضد، وكان يوماً مشهوداً، فقال يحيى بن عليّ يُهنّىء المعتضد:

لِيَهنِكَ عَقدٌ أنتَ فيه المقدَّمُ	حباكَ بهِ ربٌّ بفضلِكَ أعلمُ
فإن كنتَ قد أصبحتَ واليَ عهدِنا	فأنتَ غداً فينا الإمامُ المُعظَّمُ
ولا زال مَنْ ولاّكَ فينا مبلَّغاً	مُناه، ومن عاداكَ يَشجَى ويُرْغَمُ
وكان عمودُ الدين فيه تأوُّدٌ	فعاد بهذا العهدِ وهو مُقوَّمُ
وأصبح وجهُ المُلك جذْلانَ ضاحكاً	يُضيء لنا منه الذي كان يُظلِمُ

(٤٥٣/٧)

فدونَك فاشدُدْ عَقدَ ما قد حويتَه	فإنّك دونَ الناسِ فيه المُحَكَّمُ

وفيها نودي بمدينة السلام أن لا يقعد على الطريق ولا في المسجد الجامع قاضٍ، ولا منجّم، ولا زاجر، وحلف الورّاقون أن لا يبيعوا كتب الكلام والجدل والفلسفة.

وفيها قُبض على جَراد كاتب أبي الصقر إسماعيل بن بُلبل.

وفيها انصرف أبو طلحة منصور بن مُسلم من شَهْرَزُور، وكانت له، فقُبض عليه.

ذكر الحرب بين الخوارج وأهل الموصل والأعراب

في هذه السنة اجتمعت الخوارج، ومقدَّمهم هارون، ومعهم متطوّعة أهل الموصل وغيرهم، وحَمدان بن حَمدون التغلبيُّ، على قتال بني شيبان.

وسبب ذلك أنّ جمعاً كثيراً من بني شيبان عبروا الزاب، وقصدوا نِينوَى من أعمال الموصل، للإغارة عليها وعلى البلد، فاجتمع هارون الشاري، وحمدان بن حمدون، وكثير من المتطوّعة المَواصِلة، وأعيانُ أهلِها، على قتالهم ودَفْعهم.

وكان بنو شيبان نزلوا على باعشيقا، ومعهم هارون بن سليمان، مولى أحمد بن عيسى بن الشيخ الشيبانيّ، صاحب ديار بكر، وكان قد أنفذه محمّد ابن إسحاق بن كنداج والياً على الموصل، فلم يمكّنه أهلها من المُقام عندهم، فطردوه، فقصد بني شيبان معاوناً على الخوارج وأهل الموصل، فالتقوا، (٤٥٤/٧) وتصافّوا، واقتتلوا، فانهزمت بنو شيبان، وتبعهم حمدان والخوارج، وملكوا

بيوتهم، واشتغلوا بالنهب.

وكان الزاب لمّا عبره بنو شيبان [زائداً]، فلمّا انهزموا علموا أن لا ملجأ ولا منجى غيرُ الصبر، فعادوا إلى القتال، والناس مشغولون بالنهب، فأوقعوا بهم، وقُتل كثير من أهل الموصل ومن معهم وعاد الظفر للأعراب.

وكتب هارون بن سيما إلى محمّد بن إسحاق بن كنداج يُعرّفه أنّ البلد خارج عن يده إن لم يحضر هو بنفسه، فسار في جيش كثيف يريد الموصل، فخافه أهلها، فانحدر بعضهم إلى بغداد يطلبون إرسال والٍ إليهم، وإزالة ابن كنداج عنهم، فاجتازوا في طريقهم بالحديثة، وبها محمّد بن يحيى المجروح يحفظ الطريق، قد ولاّه المعتضد ذلك، وقد وصل إليه عهد بولايته الموصل، فحثّوه على تعجيل السير وأن يسبق محمّدَ بن كنداج إليها، وخوّفوه من ابن كنداج إن دخل الموصل قبله، فسار، فسبق محمّد إليها، ووصل محمّد بن كنداج إلى بلَد، فبلغه دخول المجروح الموصل، فندم على التباطؤ وكتب إلى خُمارَوَيْه بن طولون يخبره الخبر، فأرسل أبا عبد اللّه بن الجصّاص بهدايا كثيرة إلى المعتضد، ويطلب أموراً، منها إمرةُ الموصِل كما كانت له قَبلُ، فلم يُجب إلى ذلك، وأخبره كراهة أهل الموصل من عمّاله، فأعرض عن ذكرها.

وبقي المجروح بالموصل يسيراً، وعزله المعتضد، واستعمل بعده عليَّ ابن داود بن رهزاد الكرديَّ، فقال شاعر يقال له العُجَينيُّ: (٤٥٥/٧)

ما رأى الناسُ لهذا الدهر مُذ كانوا شبيها
ذلّت الموصلُ حتّى أمّرَ الأكرادُ فيها

(العُجينيُّ بالنون).

ذكر وفاة المعتمد

وفيها توفّي المعتمد على اللّه ليلة الاثنين لإحدى عشرة بقيت من رجب ببغداد، وكان قد شرب على الشطّ في الحسنيّ ببغداد، يوم الأحد، شراباً كثيراً، وتعشّى فأكثر، فمات ليلاً، وأحضر المعتضد القضاة وأعيان الناس، فنظروا إليه، وحُمل إلى سامرّا فدُفن بها، وكان عمره خمسين سنة وستّة أشهر، وكان أسنّ من الموفّق بستّة أشهر، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وستّة أشهر.

وكان في خلافته محكوماً عليه، قد تحكّم عليه أخوه أبو أحمد الموفّق، وضيّق عليه، حتّى إنّه احتاج، في بعض الأوقات، إلى ثلاثمائة دينار، فلم يجدها ذلك الوقت، فقال:

أليسَ منَ العَجائبِ أنّ مِثلي يَرَى ما قلّ مُمتنعاً عليهِ
وتُؤخَذُ باسمِهِ الدّنيا جَميعاً وما مِن ذاكَ شيءٌ في يَدَيْهِ
إليهِ تُحمَلُ الأموالُ طُرّاً ويُمنَعُ بعضَ ما يُجبَى إلَيهِ

وكان أوّل الخلفاء انتقل من سُرّ من رأى، مُذ بُنيت، ثمّ لم يَعُدْ إليها أحد منهم.(٤٥٦/٧)

ذكر خلافة أبي العبّاس المعتضد

وفي صبيحة الليلة التي مات فيها المعتمد بويع لأبي العبّاس المعتضد باللّه أحمد بن الموفّق أبي أحمد طلحة بن المتوكّل بالخلافة، فولّى غلامه بدراً الشُّرطةَ، وعبيدَ اللّه بن سليمان الوزارةَ، ومحمّدَ بن الشاه بن مالك الحرسَ، ووصله في شوّال رسول عمرو بن الليث ومعه هدايا كثيرة، وسأله أن يولّيه خُراسان، فعقد له عليها، وسيّر إليه الخِلَعَ واللواء والعهد، فنصب اللواء في داره ثلاثة أيام.

ذكر وفاة نصر السامانيّ

وفيها مات نصر بن أحمد السامانيُّ، وقام بما كان إليه من العمل بما وراء النهر، أخوه إسماعيل بن أحمد، وكان نصر ديّناً، عاقلاً، له شِعر حسن، منه ما قاله في رافع بن هَرْثَمة:

أخوكَ فيكَ على خُبرٍ ومعرفةٍ إنّ الذّليلَ ذليلٌ حيثُما كانا
لولا زمانٌ خؤونٌ في تصرُّفِهِ ودولةٌ ظَلَمت ما كنتُ إنسانا

(٤٥٧/٧)

ذكر عزل رافع بن هَرثمة من خُراسان وقتله

وفيها عزل المعتضدُ رافعَ بن هَرثمة عن خُراسان.

وسبب ذلك أنّ المعتضد كتب إلى رافع بتخلية قرى السلطان بالرَّيّ، فلم يقبل، فأشار على رافع أصحابه بردّ القرى لئلاّ يفسد حاله بكتاب، فلم يقبل أيضاً، وكتب المعتضد إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلَف يأمره بمحاربة رافع وإخراجه عن الرَّيّ، وكتب إلى عمرو بن الليث بتوليته خُراسان.

ثمّ إنّ أحمد بن عبد العزيز لقي رافعاً فقاتله، فانهزم رافع عن الرَّيّ وسار إلى جُرجان، ومات أحمد بن عبد العزيز سنة ثمانين ومائتين، فعاد رافع إلى الرَّيّ، فلاقاه عمرو وبكر ابنا عبد العزيز، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم عمرو وبكر، وقُتل من أصحابهما مقتلة عظيمة، ووصلوا إلى أصبهان، وذلك في جمادى الأولى سنة ثمانين [ومائتين].

وأقام رافع بالرَّيّ باقي سنته، ومات عليُّ بن الليث معه في الرَّيّ؛ ثمّ إنّ عمرو بن الليث وافى نَيسابور في جمادى الأولى سنة ثمانين [ومائتين] واستولى عليها وعلى خراسان، فبلغ الخبر إلى رافع، فجمع أصحابه واستشارهم فيما يفعل، وقال لهم: إنّ الأعداء قد أحدقوا بنا، ولا آمن أن يتّفقوا علينا؛ هذا محمّد بن زيد بالدَّيلم ينتظر فرصة لينهزها؛ وهذا عمرو بن عبد العزيز قد فعلتُ به ما فعلتُ، فهو يتربّص الدوائر؛ وهذا عمرو بن الليث قد وافى

خُراسان بجموعه؛ وقد رأيتُ أن أصالح محمّدَ بن زيد وأعيد إليه طَبَرِستان، (٤٥٨/٧) وأصالح ابن عبد العزيز، ثمّ أسير إلى عمرو فأُخرجه عن خُراسان، فوافقوه على ذلك، وأرسل إلى ابن عبد العزيز فصالحه، واستقرّ الأمر بينهما في شعبان سنة ثمانين [ومائتين].

ثمّ سار إلى طَبَرِستان، فوردها في شعبان سنة إحدى وثمانين [ومائتين]، وكان قد أقام بجُرجان، فأحكم أمورها، ولمّا استقرّ بطَبَرِستان راسل محمّدَ بن زيد وصالحه، ووعده محمّد بن زيد أن ينجده بأربعة آلاف رجل من شجعان الدَّيلم، وخُطب لمحمّد بطَبَرِستان وجُرجان في ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين ومائتين.

وبلغ خبر مصالحة محمّد بن زيد ورافع إلى عمرو بن الليث، فأرسل إلى محمّد يُذكّرُه ما فعل به، ويُحذره منه و [من] غدره إن استقام أمره، فعاد عن إنجاده بعسكر.

فلمّا قوي عمرو عرف لمحمّد بن زيد ذلك، وخلّى عليه طَبَرِستان؛ ولما أحكم رافع أمْرَ محمّد بن زيد سار إلى خُراسان، فورد نَيسابور في ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وجرى بينه وبين عمرو حرب شديدة انهزم فيها رافع إلى أبِيوَرْدَ، وأخذ عمرو منه المعدُل والليث ولدَيْ أخيه عليّ بن الليث، وكانا عِنده بعد موت أخيه عليّ.

ولمّا ورد رافع أبِيوَرْدَ أراد المسير إلى هَراة أو مَرْو، فعلم عمرو بذلك، فأخذ عليه الطريق بسَرْخَس، فلمّا علم رافع بمسير عمرو عن نَيسابور سار على مضايق وطرق غامضة غير طريق الجيش إلى نَيسابور، فدخلها، وعاد إليه عمرو من سَرْخَس فحصره فيها، وتلاقيا، واستأمن بعض قوّاد (٤٥٩/٧) رافع إلى عمرو، فانهزم رافع وأصحابه، وسيّر أخاه محمّدَ بن هَرْثمةَ إلى محمّد بن زيد يستمدّه، ويطلب ما وعده من الرجال، فلم يفعل، ولم يمدّه برجل واحد، وتفرّق عن رافع أصحابه وغلمانه، وكان له أربعة آلاف غلام، ولم يملك أحد من وُلاة خُراسان قبله مثله، وفارقه محمّد بن هارون إلى إسماعيل بن أحمد السامانيّ ببخارى، وخرج رافع منهزماً إلى خُوارزم على الجمّازات، وحمل ما بقي معه من مال وآلة، وهو في شِرذِمة قليلة، وذلك في رمضان سنة ثلاث وثمانين ومائتين.

فلمّا بلغ رباط جبوه وجّه إليه خُوارزمشاه أبا سعيد الدرغانيّ ليقيم له الأنزال، ويخدمه إلى خُوارزم، فرآه أبو سعيد في قلّة من رجّالة، وغدر به وقتله لسبع خلون من شوّال سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وحمل رأسه إلى عمرو بن الليث، وهو بنَيسابور، وأنفذ عمرو الرأس إلى المعتضد بالله، فوصل أبيه سنة أربع وثمانين [ومائتين]، فنُصب ببغداد، وصفت خُراسان، إلى شاطىء جَيحون، لعمرو.

ذكر عدّة حوادث

وفيها قدم الحسين بن عبد الله، المعروف بابن الجصّاص، من مصر بهدايا عظيمة من خُمارَوَيْه، فتزوّج المعتضد ابنة خُمارَوَيْه. (٤٦٠/٧)

وفيها ملك أحمد بن عيسى بن الشيخ قلعة ماردين، وكانت بيد محمّد بن إسحاق بن كنداجيق.

وحجّ بالناس هذه السنة هارون بن محمّد، وهي آخر حجّة حجّها، وأوّل حجّة حجّها بالناس، سنة أربع وستّين ومائتين إلى هذه السنة.

وفيها توفّي أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سَوْرة التِّرمِذيُّ السلميُّ بترمِذ في رجب، وكان إماماً حافظاً له تصانيف حسنة، منها : الجامع الكبير في الحديث، وهو أحسن الكتب، وكان ضريراً، وتوفّي إبراهيم بن محمّد المدبّر في شوّال [وكان يلي ديوان الضِّياع]. (٤٦١/٧)

سنة ثمانين ومائتين

ذكر حبس عبد الله بن المهتدي

في هذه السنة أخذ المعتضد عبد الله بن المهتدي، ومحمّد بن الحسين المعروف بشُمَيلة، وكان شُمَيلة هذا مع صاحب الزنج إلى آخر أيّامه، ثمّ لحق بالموفّق في الأمان، فأمّنه.

وكان سبب أخذه إيّاه أنّ بعض المستأمِنة سعى به إلى المعتضد، وأنّه يدعو لرجل لا يعرف اسمه، وأنّه قد أفسد جماعة من الجند وغيرهم، فأخذه المعتضد فقرّره، فلم يقرّ بشيء وقال : لو كان الرجل تحت قدميّ ما رفعتهما عنه! فأمر به فشُدّ على خشبة من خشب الخيم، ثمّ أُوقدت نار عظيمة، وأُدبر على النار حتّى تقطع جلده، ثمّ ضُربت عنقه، وصُلب عند الجسر، وحبس عبد الله بن المهتدي إلى أن علم براءته، وأطلقه، وكان المعتضد قال لشُميلة :بلغني أنّك تدعو إلى ابن المهتدي؟ فقال : المشهور عنّي أنّني أتولّى آل أبي طالب. (٤٦٢/٧)

ذكر قصد المعتضد بني شيبان وصُلحه معهم

وفيها، في أوّل صفر، سار المعتضد من بغداد يريد بني شيبان بالموضع الذي يجتمعون به من أرض الجزيرة، فلمّا بلغهم قصده جمعوا إليهم أموالهم، وأغار المعتضد على أعراب عند السِّنّ، فنهب أموالهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وغرق منهم في الزاب مثل ذلك، وعجز الناس عن حمل ما غنموه، فبيعت الشاة بدرهم،

والبعير بخمسة دراهم.

وسار إلى الموصل وبَلَد، فلقيه بنو شيبان يسألونه العفو، وبذلوا له رهائن، فأجابهم إلى ما طلبوا، وعاد إلى بغداد، وأرسل إلى أحمد بن عيسى بن الشيخ يطلب منه ما أخذه من أموال ابن كنداجيق بآمِد، فبعثه إليه ومعه هدايا كثيرة.

ذكر خروج محمّد بن عُبادة على هارون وكلاهما خارجيّان

في هذه السنة خرج محمّد بن عُبادة، ويُعرف بأبي جَوْزة، وهو من بني زُهير من أهل قَبْراثا، من البقعاء، على هارون، وكلاهما من الخوارج، وكان أوّل أمره فقيراً، وكان هو وابنان له يلتقطون الكمّأة ويبيعونها، إلى غير ذلك من الأعمال، ثمّ إنّه جمع جماعة، وحكّم، فاجتمع إليه أهل تلك النواحي من الأعراب، وقوي أمره، وأخذ عُشر الغلاّت، وقبض الزكاة، (٤٦٣/٧) وسار إلى مَعْلَثايا، فقاطعه أهلها على خمسمائة دينار، وجبى تلك الأعمال، وعاد وبنى عند سِنجار حصناً، وحمل إليه الأمتعة والميرة، وجعل فيه ابنه أبا هِلال ومعه مائة وخمسون رجلاً من وجوه بني زهير وغيرهم.

ووصل خبرهم إلى هارون الشاري فاجتمع رأيه ورأي وجوه أصحابه على قصد الحصن أوّلاً، فإذا فرغوا منه ساروا إلى محمّد بن عُبادة، فجمع أصحابه، فبلغوا مائة راجل وألفاً ومائتَيْ فارس، وسار إليه مبادراً، وأحدق به وحصره؛ ومحمّد بن عُبادة في قَبْراثا لا يعلم بذلك.

وجدّ هارون في قتال الحصن، وكان معه سلاليم قد أخذها، وزحف إليه، وكان أصحابه قد منعوا أحداً يُخرج رأسه من أعلى السور، فلمّا رأى من معه من بني تغلب تغلُّبه على الحصن أعطوا مَنْ فيه من بني زهير الأمان بغير أمر هارون، فشقّ عليه، ولم يقدر على تغيير ذلك، إلا أنّه قتل أبا هلال بن محمّد بن عُبادة ونفراً معه قبل الأمان، وفتحوا الحصن وملكوا ما فيه.

وساروا إلى محمّد، وهو بقَبراثا، فلقوه وهو في أربعة آلاف رجل، فاقتتلوا، فانهزم هارون ومن معه، فوقف بعض أصحابه ونادى رجالاً بأسمائهم فاجتمعوا نحو أربعين رجلاً، وحملوا على ميمنة محمّد بن عُبادة، فانهزمت الميمنة، وعادت الحرب، فانهزم محمّد ومن معه، ووضعوا السيف فيهم، فقتلوا منهم ألفاً وأربع مائة رجل، وحجز بينهم الليل، وجمع هارون (٤٦٤/٧) مالهم فقسّمه بين أصحابه، وانهزم محمّد إلى آمِد، فأخذه صاحبها أحمد بن عيسى بن الشيخ، بعد حرب، فظفر به، فأخذه أسيراً، وسيّره إلى المعتضد، فسلخ جلده كما يسلخ الشاة.

ذكر عدّة حوادث

لما افتتح محمّد بن أبي الساج مَراغة، بعد حرب شديدة وحصار عظيم، أخذ عبدَ اللّه بن الحسن، بعدَ أن أمّنه وأصحابه، وقيّده وحبسه، وقرّره بجميع أمواله ثمّ قتله.

وفيها مات أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلَف، وقام بعده أخوه عمر بن عبد العزيز.

وفيها افتتح محمّد بن ثور عُمان وبعث برؤوس جماعة من أهلها.

وفيها توفّي جعفر بن المعتمد في ربيع الآخر، وكان يُنادم المعتضد.

وفيها دخل عمرو بن الليث نَيسابور في جمادى الأولى.

وفيها وجّه محمّد بن أبي الساج ثلاثين نفساً من الخوارج من طريق الموصل فضُربت أعناق أكثرهم، وحُبس الباقون.

وفيها دخل أحمد بن أبا طَرَسُوس للغزاة من قبل خُمارَوَيْه بن أحمد بن طولون، ودخل بعده بدر الحماميُّ، فغزو جميعاً مع العُجَيفيّ أمير طَرَسُوس حتّى بلغوا البلقسون.

وفيها غزا إسماعيل بن أحمد السامانيُّ بلاد الترك، وافتتح مدينة ملكهم، (٤٦٥/٧) وأسر أباه وامرأته خاتون ونحواً من عشرة آلاف، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وغنم من الدوابّ ما لا يُعلم عدداً، وأصاب الفارس من الغنيمة ألف درهم.

وفيها توفّي راشد مولى الموفّق بالدِّينَوَر، وحُمل إلى بغداد في رمضان.

وفي شوّال مات مسرور البَلْخيُّ.

وفيها غارت المياه بالرَّيّ وطَبَرِستان، حتّى بلغ الماء ثلاثة أرطال بدرهم، وغلت الأسعار.

وفي شوّال انكسف القمر، وأصبح أهل دَبيلَ والدنيا مظلمة، ودامت الظلمة عليهم، فلمّا كان عند العصر هبّت ريح سوداء فدامت إلى ثلث الليل، فلمّا كان ثلث الليل زُلزلوا فخُرّبت المدينة، ولم يبق من منازلهم إلاّ قدر مائة دار، وزُلزلوا بعد ذلك خمس مرار، وكان جُملة من أُخرج من تحت الردم مائة ألف وخمسين ألفاً كلّهم موتى.

وحجّ بالناس هذه السنة أبو بكر محمّد بن هارون بن إسحاق المعروف بابن تُرْنْجة.

وفيها توفّي محمّد بن إسماعيل بن يوسف أبو إسماعيل التِّرمذيُّ في رمضان، وله تصانيف حسنة؛ وأحمد بن سيّار بن أيّوب الفقيه المَرْوَزيُّ، وكان زاهداً عالماً؛ وأبو جعفر أحمد بن أبي عِمران الفقيه الحنفيّ بمصر.(٤٦٦/٧)

سنة إحدى وثمانين ومائتين

ذكر مسير المعتضد إلى ماردين وملكه إيّاها

وفيها خرج المعتضد الخَرجة الثانية إلى الموصل، قاصداً لحَمدانَ بن حَمدونَ، لأنّه بلغه أنّ حَمدان مال إلى هارون الشاري، ودعا له، فلمّا بَلغ الأعرابَ والأكراد مسير المعتضد تحالفوا أنّهم يقاتلون على دم واحد، واجتمعوا، وعبّوا عسكرهم، وسار المعتضد إليهم في خيلة جريدةً، فأوقع بهم، وقتل منهم، وغرق منهم في الزاب خلق كثير.

وسار المعتضد إلى الموصل يريد قلعة ماردين، وكانت لحَمدان بن حمدون، فهرب حَمدان منها وخلّف ابنه بها، فنازلها المعتضد، وقاتل من فيها يومه ذلك، فلمّا كان من الغد ركب المعتضد فصعد إلى باب القلعة، وصاح : يا ابن حَمدان ! فأجابه، فقال : افتح الباب، ففتحه، فقعد المعتضد في الباب، وأمر بنقل ما في القلعة وهدمها، ثمّ وجّه خلف بن حمدون، وطُلب أشدّ الطلب، وأُخذت أموال له، ثمّ ظفر به المعتضد بعد عوده إلى بغداد.

وفي عوده قصد الحسنيّة وبها رجل كرديٌ يقال له شدّاد، في جيش كثير، قيل كانوا عشرة آلاف رجل، وكان له قلعة، فظفر به المعتضد وهدم قلعته.(٤٦٧/٧)

ذكر عدّة حوادث

وفيها ورد ترك بن العبّاس، عامل المعتضد على ديار مضر، من الجزيرة إلى بغداد، ومعه نيّف وأربعون من أصحاب ابن الأغر، صاحب سُمَيساط، على جمال، عليهم بَرانس ودَرَايع حرير، فمضى بهم إلى الحبس، وعاد إلى داره.

وفيها كانت وقعة لوَصِيف خادم ابن أبي الساج لعمر بن عبد العزيز، فهزمه، ثمّ سار وصيف إلى مولاه محمّد بن أبي الساج.

وفيها دخل طُغج بن جُفّ طَرَسُوس لغزو الصائفة من قِبَل خُمارَوَيْه ابن أحمد بن طولون فبلغ طرابزون، وفتح بلودية في جمادى الآخرة.

وفيها مات أحمد بن محمّد الطائيُّ بالكوفة في جمادى.

وفيها غارت المياه بالرَّيّ وطَبَرستان.

وفيها سار المعتضد إلى ناحية الجبل، وقصد الدِّينَوَر، وولّى ابنه عليّاً، وهو المكتفي، الرَّيّ، وقَزوين، وزَنْجَان، وأبهَر، وقُمّ، وهَمَذَان، والدِّينَوَر، وجعل على كتابته أحمد بن الأصْبَغ، وقلّد عمر بن عبد العزيز بن أبي دُلَف أصبهان، ونَهاوند، والكَرَج، وعاد إلى بغداد لأجل غلاء السعر.

وفيها استأمن الحسن بن عليّ كورة، عامل رافع على الرَّيّ، إلى عليّ بن المعتضد [في زهاء ألف رجل]، فوجّهه ومن معه إلى أبيه. (٤٦٨/٧)

وفيها دخل الأعراب سامرّا، فقتلوا ابن سيما في ذي القعدة.

وفيها غزا المسلمون الروم، فدامت الحرب بينهم اثني عشر يوماً، فظفر المسلمون وغنموا غنيمة كثيرة وعادوا.

وفيها توفّي عبد اللّه بن محمّد بن عُبيد بن أبي الدنيا، صاحب التصانيف الكثيرة المشهورة.(٤٦٩/٧)

سنة اثنتين وثمانين ومائتين

ذكر النّيروز المعتضديّ

فيها أمر المعتضد بالكتابة إلى الأعمال كلّها والبلاد جميعها بترك افتتاح الخراج في النّيروز العَجميّ، وتأخير ذلك إلى الحادي عشر من حزيران، وسمّاه النيروز المعتضديّ، وأُنشئت الكتب بذلك من الموصل، والمعتضد بها، وأراد بذلك الترفيه عن الناس، والرفق بهم.

ذكر قصد حمدان وانهزامه وعوده إلى الطاعة

في هذه السنة كتب المعتضد إلى إسحاق بن أيّوب، وحَمدان بن حمدون، بالمسير إليه، وهو في الموصل، فبادر إسحاق، وتحصّن حَمدان بقلاعه، وأودع أمواله وحُرَمه، فسيّر المعتضد الجيوش نحوه مع وصيف موشكير، ونصر القشوريّ، وغيرهما، فصادفوا الحسن بن عليّ كورة وأصحابه متحصنين بموضع يُعرف بدير الزّعفران، من أرض الموصل.(٤٧٠/٧)

وفيها وصل الحسين بن حَمدان بن حمدون، فلمّا رأى الحسين أوائل العسكر طلب الأمان، فأُمّن، وسُيّر إلى المعتضد، وسلّم القلعة، فأمر المعتضد بهدمها، وسار وصيف في طلب حَمدان، وكان بباسورين، فواقعه وصيف، وقتل من أصحابه جمعة، وانهزم حَمدان في زورق كان له في دجلة، وحمل معه مالاً كان له، وعبر إلى الجانب الغربيّ من دجلة، فصار في ديار ربيعة.

وعبر نفر من الجند، فاقتصّوا أثره، حتّى أشرفوا على دير قد نزله، فلمّا رآهم هرب، وترك ماله، فأُخذ وأُتي به المعتضد، وسار أولئك في طلب حَمدان، فضاقت عليه الأرض، فقصد خيمة إسحاق بن أيوب، وهو مع المعتضد، واستجار به، فأحضره إسحاق عند المعتضد، فأمر بالاحتفاظ به، وتتابع رؤوساء الأكراد في طلب الأمان، وكان ذلك في المحرّم.

ذكر انهزام هارون الخارجيّ من عسكر الموصل

كان المعتضد بالله قد خلّف بالموصل نصراً القشوريَّ يجبي الأموال وبعين العُمّال على جبايتها، فخرج عامل مَعْلَثايا إليها ومعه جماعة من أصحاب نصر، فوقع عليهم طائفة من الخوارج، فاقتتلوا إلى أن أدركهم الليل وفرق بينهم، وقُتل من الخوارج إنسان اسمه جعفر، وهو من أعيان أصحاب هارون، فعظم عليه قتله، وأمر أصحابه بالإفساد في البلاد.

فكتب نصر القشوريُّ إلى هارون الخارجيّ كتاباً يتهدّده بقرب الخليفة، (٤٧١/٧) وأنّه إن همّ به أهلكه وأهلك أصحابه، وأنّه لا يغترّ بمن سار إلى حربه، فعاد عنه بمكر وخديعة، فكتب إليه هارون كتاباً، منه : أمّا ما ذكرت ممّن أراد قصدي، ورجع عنّي، فإنّهم لمّا رأوا جدّنا واجتهادنا كانوا بإذن الله فَراشاً متتابعاً، وقَصَباً أجوف، ومن صبر لنا منهم ما زاد على الاستتار بالحيطان، ونحن على فرسخ منهم، وما غرّك إلاّ ما أصبتَ به صاحبَنا، فظننتَ أن دمه مطلول أو أن وتْره متروك لك، كلاّ إنّ الله تعالى من ورائك، وآخذٌ بناصيتك، ومُعين على إدراك الحقّ منك، ولمَ تعيّرنا بغيرك وتدع أن يكون مكان ذلك إبداء صفحتك، وإظهار عداوتك ؟ وإنا وإيّاك كما قيل :

فلا تُوعِدونا باللّقاء وأبرِزُوا ... إلينا سواداً نَلقَهُ بسَوادِ

ولعمر الله ما ندعو إلى البراز ثقة بأنفسنا، ولا عن ظنّ أنّ الحول والقوّة لنا، ولكنْ ثقةً بربّنا، واعتماداً على جميل عوائده عندنا.

وأمّا ما ذكرت من أمر سلطانك، فإنّ سلطانك لا يزال منّا قريباً، وبحالنا عالماً، فلا قدّم أجلاً ولا أخّره، ولا بسَطَ رزقاً ولا قبضَه، قد بعثنا على مقابلتك، وستعلم عن قريب إن شاء الله تعالى.

فعرض نصر كتاب هارون على المعتضد، فجدّ في قصده، وولّى الحسن بن عليّ كورة الموصل، وأمره بقصد الخوارج، وأمر مقدّمي الولايات والأعمال كافّةً بطاعته، فجمعهم، وسار إلى أعمال الموصل، وخندق على نفسه، (٤٧٢/٧) وأقام إلى أن رفع الناس غلاّتهم، ثمّ سار إلى الخوارج، وعبر الزاب إليهم، فلقيهم قريباً من المغلة، وتصافّوا للحرب، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانكشف الخوارج عنه ليفرقوا جَمعيّته ثمّ يعطفوا عليه، فأمر الحسن أصحابه بلزوم مواقفهم، ففعلوا، فرجع الخوارج وحملوا عليهم سبع عشرة حملة، فانكشفت ميمنة الحسن، وقُتل من أصحابه، وثبت هو، فحمل الخوارج عليه حملة رجل واحد، فثبت لهم وضُرب على رأسه عدّة ضربات فلم تؤثر فيه.

فلمّا رأى أصحابه ثباته تراجعوا إليه وصبروا، فانهزم الخوارج أقبح هزيمة وقُتل منهم خلق كثير، وفارقوا موضع المعركة، ودخلوا أذْرَبِيجان.

وأمّا هارون فإنّه تحيّر في أمره، وقصد البرّيّة، ونزل عند بني تغلب، ثمّ عاد إلى مَعْلَثايا، ثم عاد إلى البرّيّة، ثمّ رجع عبر دجلة إلى حَزّة، وعاد إلى البرّيّة.

وأمّا وجوه أصحابه، فإنّهم لمّا رأوا إقبال دولة المعتضد وقوّته، وما لحقهم في هذه الوقعة، راسلوا المعتضد يطلبون الأمان فأمّنهم، فأتاه كثير منهم، يبلغون ثلاثمائة وستّين رجلاً، وبقي معهم بعضهم يجول بهم في البلاد، إلى أن قُتل سنة ثلاث وثمانين [ومائتين] على ما نذكره. (٤٧٣/٧)

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة في ربيع الأوّل قُبض على تكتمر بن طاشتمر، وقُيِّد وأُخذ ماله؛ وكان أميراً على الموصل، واستعمل بعده عليها الحسن بن عليّ الخراسانيّ، ويُعرف بكورة.

وفيها قدم ابن الجصّاص بابنة خُمارَوَيْه، زوجة المعتضد، ومعها أحد عمومتها، وكان المعتضد بالموصل.

وفيها عاد المعتضد إلى بغداد، وزُفّت إليه ابنة خُمارَوَيْه في ربيع الآخر.

وفيها سار المعتضد إلى الجبل، فبلغ الكَرَج، وأخذ أموالاً لابن أبي دُلَف، وكتب إلى عمر بن عبد العزيز يطلب منه جوهراً كان عنده، فوجّه به إليه، وتنحّى من بين يديه.

وفيها أُطلق لؤلؤ غلام ابن طولون، وحُمل على دوابّ وبغال.

وفيها وجّه يوسف بن أبي الساج إلى الصَّيمرة مدداً لفتح القلابسيّ، غلام الموفّق، فهرب يوسف فيمن أطاعه إلى أخيه محمّد بمَراغة، ولقي مالاً للمعتضد فأخذه، فقال في ذلك عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

إمامَ الهُدى أنصارُكُم آلُ طاهر ... بلا سبب تُخفَون والدهرُ يَذهبُ
وقد خلطوا شُكراً بصبر ورابطوا ... وغيرهم يُعطي ويَجبي ويَهربُ

(٤٧٤/٧) وفيها وجّه المعتضد وزيرَهُ عُبيد الله بن سليمان إلى ابنه بالرّيّ وعاد منه.

وفيها وجّه محمّد بن زيد العلويُّ من طَبَرستان إلى محمّد بن ورد العطّار باثنين وثلاثين ألف دينار ليفرّقها على أهل بيته ببغداد، والكوفة، والمدينة، فسُعيَ به إلى المعتضد، فأُحضر محمّد عند بدر، وسُئل عن ذلك، فأقرّ أنّه يُوجّه إليه كلّ سنة مثل ذلك، ففرّقه، وأنهى بدر إلى المعتضد ذلك، فقال له المعتضد: أما تذكر الرؤيا التي خبرتك بها ؟ قال : لا ، يا أمير المؤمنين؛ قال: رأيتُ في النوم

كأنّي أُريد ناحية النَّهروان، وأنا في جيشي، إذ مررتُ برجل واقف على تلّ يصلّي ولا يلتفت إليّ، فعجبتُ، فلمّا فرغ من صلاته قال لي: أقبلْ، فأقبلتُ إليه، فقال لي : أتعرفني؟ قلت: لا ! قال أنا عليُّ بن أبي طالب، خُذ هذه فاضرب بها الأرض، بمسحاة بين يديه، فأخذتُها، ضربتُ بها ضربات، فقال لي: إنّه سيلي من ولدك هذا الأمر بعدد الضربات، فأوصهم بولدي خيراً.

وأمر بدراً بإطلاق المال والرجل، وأمره أن يكتب إلى صاحبه بطبرستان أن يوجّه ما يريد ظاهراً، وأن يفرّق ما يأتيه ظاهراً، وتقدّم بمعونته على ذلك.

وفيها توفّي أبو طلحة منصور بن مُسلم في حبس المعتضد.

وفيها ولدت جارية اسمها شغَب للمعتضد، ولداً سمّاه جعفراً، وهو المقتدر.

وفيها قُتل خُمارويْه بن أحمد بن طولون، ذبحه بعضُ خدمه على فراشه في ذي الحجّة بدمشق، وقُتل من خدمه الذين اتُّهموا نيّف وعشرون نفساً.(٤٧٥/٧)

وكان سبب قتله أنّه سعى إليه بعض الناس وقال له إنّ جَواري داره قد اتّخذت كلّ واحدة منهنّ خصيّاً، من خصيان داره، لها كالزوج، وقال : إن شئت أن تعلم صحّة ذلك فأحضرْ بعض الجواري فاضربْها، وقرّرْها، حتّى تعلم صحّة ذلك، فبعث من وقته إلى نائبه بمصر يأمره بإحضار عدّة من الجواري ليعلم الحال منهنّ، فاجتمع جماعة من الخدم، وقرّروا بينهم الاتّفاق على قتله، خوفاً من ظهور ما قيل له، وكانوا خاصّته، فذبحوه ليلاً وهربوا.

فلمّا قُتل اجتمع القوّاد وأجلسوا ابنه جيش بن خُمارويْه في الإمارة، وكان معه بدمشق، وهو أكبر ولده، فبايعوه ففُرّقت فيهم الأموال، وكان صبيّاً غِرّاً.

وفيها توفّي عثمان بن سعيد بن خالد أبو سعيد الداريُّ، الفقيه الشافعيُّ، أخذ الفقه عن البويطيّ صاحب الشافعيّ، والأدب عن ابن الأعرابيّ.

وفيها توفّي أبو حنيفة أحمد بن داود الدِّينَوَريُّ اللغويُّ صاحب كتاب النبات وغيره.

وفيها توفّي الحارث بن أبي أُسامة، وله مسند يُروَى غالباً في زماننا هذا؛ وأبو العيناء محمّد بن القاسم وكان يَروي عن الأصمعيّ.(٤٧٦/٧)

سنة ثلاث وثمانين ومائتين

ذكر الظفر بهارون الخارجيّ

في هذه السنة سار المعتضد إلى الموصل بسبب هارون الشاري وظفر به.

وسبب الظفر به أنّه وصل إلى تكريت وأقام بها، وأحضر الحسين بن حَمدان التغلبيّ وسيّره في طلب هارون بن عبد اللّه الخارجيّ في جماعة من الفرسان والرَّجّالة، فقال له الحسين : إن أنا جئتُ به ففي ثلاث حوائج عند أمير المؤمنين؛ قال : اذكرها ! قال : إحداهنّ إطلاق أبي، وحاجتان أذكرهما بعد مجيئي به، فقال له المعتضد: لك ذلك. فانتخب ثلاثمائة فارس، وسار بهم، ومعهم وصيف بن موشكير، فقال له الحسين : تأمره بطاعتي، يا أمير المؤمنين، فأمره بذلك.

وسار بهم الحسين حتّى انتهى إلى مخاضة في دجلة، فقال الحسين لوصيف ولمن معه ليقفوا هناك، فإنّه ليس له طريق إن هرب غير هذا، فلا تبرحنّ من هذا الموضع حتّى يمرّ بكم فتمنعوه عن العبور، وأجيء أنا، أو يبلغكم أنّي قُتلت.

ومضى حسين في طلب هارون، فلقيه، وواقعه وقُتل بينهما قتلى، وانهزم (٤٧٧/٧) هارون، وأقام وصيف على المخاضة ثلاثة أيّام، فقال له أصحابه :قد طال مُقامنا، ولسنا نأمن أن يأخذ حسين الشاري، فيكون له الفتح دوننا، والصواب أن نمضي في آثارهم. فأطاعهم ومضى.

وجاء هارون منهزماً إلى موضع المُخاضة فعبر، وجاء حسين في أثره، فلم ير وصيفاً وأصحابه في الموضع الذي تركهم فيه، ولا عرف لهم خبراً، فعبر في أثر هارون، وجاء إلى حيّ من أحياء العرب، فسأل عنه، فكتموه، فتهدّدهم، فأعلموه أنّه اجتاز بهم، فتبعه حتّى لحقه بعد أيّام، وهارون في نحو مائة رجل، فناشده الشاري ووعده، وأبى حسين إلاّ محاربته، فحاربه، فألقى الحسين نفسه عليه، فأخذه أسيراً وجاء به إلى المعتضد، فانصرف المعتضد إلى بغداد فوصلها لثمان بقين من ربيع الأوّل.

وخلع المعتضد على الحسين بن حَمدان وطوّقه، وخلع على إخوته، وأدخل هارون على الفيل، وأمر المعتضد بحلّ قيود حمدان بن حَمدون والتوسعة عليه والإحسان إليه، ووعد بإطلاقه.

ولمّا أركبوا هارون على الفيل أرادوا أن يُلبسوه ديباجاً مشهّراً، فامتنع وقال : هذا لا يحلّ؛ فألبسوه كارهاً، ولمّا صُلب نادى بأعلى صوته : لا حكيم إلاّ للّه، ولو كره المشركون؛ وكان هارون صُفْريّاً.

ذكر عصيان دمشق على جَيْش بن خُمارَوَيه وخلاف جنده عليه وقتله

في هذه السنة خرج جماعة من قوّاد جَيْش بن خُمارَوَيْه عليه، وجاهروا بالمخالفة، وقالوا : لا نرضى بك أميراً، فاعتزلنا حتّى نولّيَ عمّك الإمارة. (٤٧٨/٧)

وكان سبب ذلك أنّه لمّا وليَ وكان صبيّاً قرّب الأحداث والسُّفّل، وأخلد إلى استماع أقوالهم، فغيّروا نيّته على قوّاده وأصحابه، وصار يقع فيهم ويذمّهم، ويُظهر العزم على الاستبدال بهم، وأخذ نعمهم وأموالهم؛ فاتّفقوا عليه ليقتلوه ويقيموا عمّه، فبلغه ذلك، فلم يكتمه بل أطلق لسانه فيهم، ففارقه بعضهم، وخلع طُغج بن جُفّ أمير دمشق.

وسار القوّاد الذين فارقوه إلى بغداد، وهم محمّد بن إسحاق بن كنداجيق، وخاقان المُفلحيُّ، وبدر بن جُفّ، أخو طُغج، وغيرهم من قوّاد مصر، فسلكوا البرّيّة، وتركوا أهاليهم وأموالهم، فتاهوا أيّاماً، ومات من أصحابهم جماعة من العطش، وخرجوا فوق الكوفة بمرحلتَيْن، وقدموا على المعتضد، فخلع عليهم، وأحسن إليهم، وبقي سائر الجنود بمصر على خلافهم ابن خُمارَوَيْه، فسألهم كاتبه عليُّ بن أحمد الماذرائيُّ أن ينصرفوا يومَهم ذلك، فرجعوا، فقتل جَيْشٌ عمّين له، وبكر الجند إليه، فرمى بالرأسين إليهم، فهجم الجند عليه فقتلوه ونهبوا داره، ونهبوا مصر وأحرقوها، وأقعدوا أخاه هارون في الإمرة بعده، فكانت ولايته تسعة أشهر.

ذكر حصر الصَّقالبة القُسطنطينيّة

وفي هذه السنة سارت الصَّقالبة إلى الروم، فحصروا القُسطنطينيّة، وقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً، وخرّبوا البلاد، فلمّا لم يجد ملك الروم منهم خلاصاً (٤٧٩/٧) جمع مَنْ عنده من أسارى المسلمين، وأعطاهم السلاح، وسألهم معونته على الصَّقالبة، ففعلوا وكشفوا الصَّقالبة وأزاحوهم عن القُسطنطينيّة؛ ولمّا رأى ملك الروم ذلك خاف المسلمين على نفسه، فردّهم، وأخذ السلاح منهم، وفرّقهم في البلاد حذراً من جنايتهم عليه.

ذكر الفداء بين المسلمين والروم

في هذه السنة كان الفداء بين المسلمين والروم، فكان جُملة من فُدي به من المسلمين الرجال، والنساء، والصبيان، ألفين وخمسمائة وأربعة أنفس.

ذكر الحرب بين عسكر المعتضد وأولاد أبي دُلَف

وفيها سار عبيد اللّه بن سليمان إلى عمر بن عبد العزيز بن أبي دُلَف بالجبل، فسار عمر إليه بالأمان في شعبان، فأذعن بالطاعة، فخلع عليه وعلى أهل بيته.

وكان قبل ذلك قد دخل بكر بن عبد العزيز بالأمان إلى عبيد اللّه بن سليمان، وبدر، فولّياه عمل أخيه على أن يسير إليه فيحاربه، فلمّا دخل عمر في الأمان قالا لبكر :إنّ أخاك قد دخل في الطاعة، وإنّما ولّيناك عمله على أنّه عاصٍ، والمعتضد يفعل في أمركما ما يراه، فامضيا إلى بابه.

وولّيَ النُّوشريُّ أصبهان، وأظهر أنّه من قِبَل عمر بن عبد العزيز، فهرب (٤٨٠/٧) بكر بن عبد العزيز، فكتب عبيد اللّه إلى المعتضد بذلك، فكتب إلى بدر ليقيم بمكانه إلى أن يعرف حال بكر.

وسار الوزير إلى عليّ بن المعتضد بالرَّيّ، ولحق بكر بن عبد العزيز بالأهواز، فسيّر المعتضد إليه وصيف بن موشكير، فسار إليه، فلحقه بحدود فارس، وباتا متقابلين، وارتحل بكر إلى أصبهان ليلاً، فلم يتبعه وصيف، بل رجع إلى بغداد، وسار بكر إلى أصبهان، فكتب المعتضد إلى بدر يأمره بطلب بكر وحربه، فأمر بدر عيسى النُّوشريَّ بذلك، فقال بكر:

عنّي ملامَك ليس حين مَلامِ ... هيهات أجدبَ زائدُ الأيامِ
طارت عِناياتُ الصِّبا عن مَفرِقي ... ومضى أوانُ شَراستي وغَرامي
ألقى الأحبّةُ بالعراق عِصيّهم ... وبقيتُ نُصبَ حوادثِ الأيّامِ
وتقاذفَتْ بأخي النّوى ورمَتْ به ... رميَ العُبَيْد قطيعةُ الأرحامِ
فلأقرعَنّ صَفاةَ دهرٍ نابهم ... قَرعاً يَهُزّ رواسيَ الأعلامِ
ولأضربنّ الهامَ دون حريمهم ... ضربَ القُدار بقيعةَ القُدّامِ
ولأتركنّ الواردين حياضَهم ... بقرارةٍ لمواطىء الأقدامِ
يا بدرُ إنّك لو شهدتَ مواقفي ... والموتُ يلحظ والسيوفُ دوامي
لذممتَ رأيك في إضاعةِ حُرمتي ... ولضاقَ ذرعُك في اطّراحِ ذمامي

(٤٨١/٧)

حرّكتَني بعدَ السُّكون وإنّما ... حرّكتَ من حِصنٍ جبالَ تِهامِ
وعَجمتَني فعجمتَ منّي مَن حَمَى ... خَشِنَ المناكبِ كلَّ يومِ زِحامِ
قُلْ للأميرِ أبي محمّدٍ الذي ... يَجلو بغُرّتِه دُجى الإظلامِ
أسكنْتَني ظلَّ العُلا فسكنتُهُ ... في عيشةٍ رغدٍ وعزٍّ نامِ
حتّى إذا خُلّيتَ عنّي نابَني ... نُوَبٌ أتَتْ وتنكّرَتْ أيّامي
فلأشكُرنّ جميلَ ما أوليتَني ... ما غرّدتْ في الأيكِ وُرْقُ حَمامِ
هذا أبو حفص يدي وذخيرتي ... للنائبات وعُدّتي وسَنامي
ناديتُهُ فأجابني وهَزَزْتُه ... فهززتُ حدَّ الصّارمِ الصَّمصامِ
من رامَ أن يُغضي الجفونَ على القذى ... أو يستكينَ يرومُ غيرَ مَرامِ
ويخيمُ حينَ يرى الأسنّةَ شُرَّعاً ... والبيضَ مُصْلَتةً لضَربِ الهامِ

ثمّ إنّ النُّوشريَّ انهزم عن بكر، فقال بكر يذكر هربه، ويعيّر

وصيفاً بالإحجام عنه، ويتهدّد بدراً [في أبيات] منها:(٤٨٢/٧)

قد رأى النُّوشريُّ حينَ التقينا ... من إذا أُشرعَ الرِّماحُ يفرُّ
جاء في قسطلٍ لهامٍ فصُلْنا ... صولةً دونها الكُماةُ تهرُّ
ولواءُ النُّوشريِّ آثارُ نارٍ ... رَويت عند ذاك بيضٌ وسُمْرُ
غرَّ بدراً حِلْمي وفضلُ أناتي ... واحتمالي لِلْعِبءِ ممّا يَغُرُّ
سوف يأتيهِ من خيوليَ قُبٌّ ... لاحقاتُ البطونِ جُونٌ وشُقْرُ
يتنادَون كالسَّعالي عليها ... من بني وائلٍ أُسودٌ تكُرُّ
لستُ بكراً إن لم أَدَعْهُمْ حديثاً ... ما سرَى كوكبٌ وما كرَّ دَهرُ

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة أمر المعتضد بالكتابة إلى جميع البلدان أن يُردّ الفاضل من سهام المواريث إلى ذوي الأرحام، وأبطل ديوان المواريث.

وفيها، في شوّال، مات محمّد بن أبي الشوارب القاضي، وكانت ولايته للقضاء بمدينة المنصور ستّة أشهر.(٤٨٣/٧)

وفيها قدم عمر بن عبد العزيز بن أبي دُلَف بغداد، فأمر المعتضد الناس والقوّاد باستقباله، وقعد له المعتضد، فدخل عليه، وأكرمه وخلع عليه.

وفيها، في رمضان، تحارب عمرو بن الليث الصفّار ورافع بن هَرْثمة، فانهزم رافع، وكان سبب ذلك أنّ عَمْراً فارق نَيسابور، فخالفه إليها رافع وملكها وخطب فيها لمحمّد بن زيد العلويّ، فرجع عمرو من مرو إلى نَيسابور فحصرها، فانهزم رافع منها، ووجّه عمرو في طلبه عسكراً فلحقوه بطُوسَ، فانهزم منهم إلى خُوارزم، فلحقوه بها، فقتلوه وأرسلوا رأسه إلى المعتضد، فوصله سنة أربع وثمانين [ومائتين] في المحرّم، فأمر بنصبه ببغداد وخلع على القاصد به.

وفيها مات البُحْتريُّ الشاعر، واسمه الوليد أبو عبادة، بمنبج، أبو حلب، وكان مولده سنة ستّ ومائتين.

وفيها توفّي محمّد بن سليمان أبو بكر المعروف بابن الباغنديّ، وأبو الحسن عليُّ بن العبّاس بن جُريج الشاعر المعروف بابن الروميّ، وقيل: توفّي سنة أربع وثمانين [ومائتين]، وديوانه معروف، رحمه اللّه تعالى.

وفيها توفّي سهل بن عبد اللّه بن يونس بن رُفيع السَّريُّ، ومولده سنة مائتين، وقيل [إحدى] ومائتين.(٤٨٤/٧)

سنة أربع وثمانين ومائتين

في هذه السنة كان فتنة بطَرَسُوس بين راغب مولى الموفّق وبين دميانة.

وكان سبب ذلك أنّ راغباً ترك الدعاء لهارون بن خُمارويه بن أحمد بن طولون، ودعا لبدر مولى المعتضد، واختلف هو وأحمد بن طوغان، فلمّا انصرف أحمد بن طوغان من الفداء سنة ثلاث وثمانين [ومائتين] ركب البحر ومضى، ولم يدخل طَرَسُوس، وخلّف دميانة بها للقيام بأمرها، وأمدّه ابن طوغان، فقوي بذلك، وأنكر ما كان يفعله راغب، فوقعت الفتنة، فظفر بهم راغب، فحمل دميانة إلى بغداد.

وفيها أوقع عيسى بن النُّوشريّ ببكر بن عبد العزيز بن أبي دُلَف بنواحي أصبهان، فقتل رجاله، واستباح عسكره، ونجا بكر في نفر يسيرٍ من أصحابه، فمضى إلى محمّد بن زيد العلويّ بطَبَرستان، وأقام عنده إلى سنة خمس وثمانين [ومائتين] ومات، ولمّا وصل خبر موته إلى المعتضد أعطى القاصد به ألف دينار.

وفيها، في ربيع الأوّل، قُلّد أبو عمر يوسف بن يعقوب القضاء بمدينة المنصور مكان عليّ بن محمّد بن أبي الشوارب.

وفيها أُخذ خادم نصرانيٌّ لغالب النصرانيّ وشُهد عليه أنّه شتم النبيّ، صلّى (٤٨٥/٧) اللّه عليه وسلّم، فاجتمع أهل بغداد وصاحوا بالقاسم بن عُبيد اللّه، وطالبوه بإقامة الحدّ عليه، فلم يفعل، فاجتمعوا على ذلك إلى دار المعتضد، فسُئلوا عن حالهم، فذكروه للمعتضد، فأرسل معهم إلى القاضي أبي عمر، فكادوا يقتلونه من كثرة ازدحامهم، فدخل باباً وأغلقه، ولم يكن بعد ذلك للخادم ذكر، ولا للعامّة ذكر اجتماع في أمره.

وفيها قدم قوم من أهل طَرَسُوس على المعتضد يسألونه أن يُولّيَ عليهم والياً، وكانوا قد أخرجوا عامل ابن طولون، فسيّر إليهم المعتضدُ ابنَ الإخشيد أميراً.

وفيها، في ربيع الآخر، ظهرت بمصر ظلمة وحمرة في السماء شديدة، حتّى كان الرجل ينظر إلى وجه الآخر فيراه أحمر، فمكثوا كذلك من العصر إلى العِشاء الآخرة، وخرج الناس من منازلهم يدعون اللّه تعالى، ويتضرّعون إليه.

وفيها عزم المعتضد على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر، وأمر بإنشاء كتاب يُقرأ على الناس، وهو كتاب طويل قد أحسن كتابته، إلاّ أنّه قد استدلّ فيه بأحاديث كثيرة على وجوب لعنه عن النبيّ ﷺ لا تصحّ، وذكر في الكتاب يزيد وغيره من بني أميّة، وعُملت به نسخ قُرئت بجانبَيْ بغداد، ومنع القضاة والعامّة من القعود بالجامعَين ورحابهما، ونهى عن الاجتماع على قاضٍ لمناظرة، أو جدل في أمر الدين، ونهى الذين (٤٨٦/٧) يسقون الماء في الجامعَين أن يترحّموا على معاوية أو يذكروه، فقال له عبيد اللّه بن سليمان: إنّا نخاف اضطراب العامّة وإثارة الفتنة، فلم

يسمع منه، فقال عُبيد اللّه للقاضي يوسف بن يعقوب ليحتال في منعه عن ذلك، فكلّم يوسف المعتضدَ، وحذّره اضطراب العامّة، فلم يلتفت، فقال :يا أمير المؤمنين ! فما نصنع بالطالبيّين الذين يخرجون من كل ناحية، ويميل إليهم خلق كثير من الناس لقرابتهم من رسول اللّه، ﷺ ؟فإذا سمع الناس ما في هذا الكتاب من إطرائهم كانوا إليهم أميْل، وكانوا هم أبسط السِنةً وأظهر حجّة فيهم اليوم. فأمسك المعتضد، ولم يأمر في الكتاب بعد ذلك بشيء، وكان عُبيد اللّه من المنحرفة عن عليّ، عليه السّلام.

وفيها سيّر المعتضد إلى عمرو بن الليث الخِلَع واللواء بولاية الرَّيّ وهَدايا.

وفيها فُتحت قرّة من بلد الروم على يد راغب مولى الموفّق وابن كلوب في رجب.

وفيها، في شعبان، ظهر بدار المعتضد إنسان بيده سيف، فمضى إليه بعض الخدم لينظر ما هو، فضربه بالسيف فجرحه، وهرب الخادم، ودخل الشخص في زرع في البستان فتوارى فيه، فطُلب باقي ليلته، ومن الغد، فلم يُعرف له خبر، فاستوحش المعتضد، وكثّر الناسُ في أمره بالظنون حتّى قالوا : إنّه من الجنّ، وظهر مراراً كثيرة، حتّى وكّل المعتضد بسور داره، وأحكمه ضبطاً، ثمّ أحضر المجانين والمعزّمين بسبب ذلك الشخص، فسألهم عنه فقال (٤٨٧/٧)المعزّمون: نحن نعزّم على بعض المجانين، فإذا سقط سأل الجنّيّ عنه فأخبره خبره؛ فعزموا على امرأة مجنونة فصُرعت والمعتضد ينظر إليهم، فلمّا صُرعت أمرهم بالانصراف.

وفيها وجّه كرامة بن مرّ من الكوفة بقوم مقيّدين ذكر أنّهم من القَرامطة، فقرّروا بالضرب فأقرّوا على أبي هاشم بن صدقة الكاتب أنّه منهم، فقبض عليه وحبسه.

وفيها وثب الحارث بن عبد العزيز بن أبي دُلَف المعروف بأبي ليلى بشفيع الخادم فقتله، وكان أخوه عمر بن عبد العزيز قد أخذه وقيّده وحبسه في قلعته زر، ووكّل به شفيعاً الخادم، ومعه جماعة من غلمان عمر، فلمّا استأمن عمر إلى المعتضد وهرب بكر بقيت القلعة بما فيها من الأموال بيد شفيع، فكلّمه أبو ليلى في إطلاقه، فلم يفعل، وطلب من غلام كان يخدمه مِبرَداً، فأدخله في الطعام، فبردَ مِسمارَ قَيده.

وكان شفيع في كلّ ليلة يأتي إلى أبي ليلى يفتقده ويمضي ينام وتحت رأسه سيف مسلول، فجاء شفيع في ليلة إليه، فحادثه، فطلب منه أن يشرب معه أقداحاً، ففعل، وقام الخادم لحاجته، فجعل أبو ليلى في فراشه ثياباً تشبه إنساناً نائماً، وغطّاها باللحاف، وقال لجارية كانت تخدمه :إذا عاد شفيع قولي له هو نائم. ومضى أبو ليلى فاختفى ظاهر الدار، وقد أخرج قيده من رجله، فلمّا عاد شفيع قالت له الجارية : هو نائم؛ فأغلق الباب ومشى إلى داره ونام فيها، فخرج أبو ليلى وأخذ السيف من عند شفيع وقتله، فوثب الغلمان، فقال لهم أبو ليلى : قد قتلتُ شفيعاً، ومَنْ تقدّم إليّ قتلتُه، فأنتم آمنون! (٤٨٨/٧) فخرجوا من الدار، واجتمع الناس إليه فكلّمهم، ووعدهم الإحسان، وأخذ عليهم الأيمان، وجميع الأكراد وغيرهم، وخرج مخالفاً على المعتضد، وكان قتلُ شفيع في ذي القعدة.

ولمّا خرج أبو ليلى على السلطان قصده عيسى النّوشريُّ، فاقتتلوا، فأصاب أبا ليلى في حلقه سهم فنحره، فسقط عن دابّته، وانهزم أصحابه، وحُمل رأسه إلى أصبهان ثمّ إلى بغداد.

وفيها كان المنجّمون يُوعدون بغرق أكثر الأقاليم إلاّ إقليم بابل فإنّه يسلم منه اليسير، وأنّ ذلك يكون بكثرة الأمطار، وزيادة الأنهار والعيون.

فقحط الناس، وقلّت الأمطار، وغارت المياه حتّى احتاج الناس إلى الاستسقاء، فاستسقوا ببغداد مرّات؛ [وحجّ بالناس محمّد بن عبد اللّه بن داود الهاشميُّ المعروفة بأترنجة].

وفيها ظهر اختلال حال هارون بن خُمارَوَيْه بن أحمد بن طولون بمصر، واختلفت القوّاد، وطمعوا فانحلّ النظام، وتفرّقت الكلمة، ثمّ اتّفقوا على أن جعلوا مُدبّر دولته أبا جعفر بن أبا، وكان عند والده وجدّه مقدّماً، كبير القدر، فأصلح من الأحوال ما استطاع، وكم جهد الصُّنّاع إذا اتّسع الخرق، وكان [من] بدمشق من الجند قد خالفوا على أخيه جيش كما ذكرنا، فلمّا تولّى أبو جعفر الأمور سيّر جيشاً إلى دمشق عليهم بدر الحماميُّ، والحسين بن أحمد الماذرائيُّ، فأصلحا حالها وقرّرا أمور الشام، واستعملا على دمشق طُغج بن جُفّ واستعملا على سائر الأعمال، ورجعا إلى مصر والأمور فيها اختلال، (٤٨٩/٧) والقوّاد قد استولى كلّ واحد منهم على طائفة من الجند وأخذهم إليه، وهكذا يكون انتقاض الدول، وإذا أراد اللّه أمراً فلا مردّ لحكمه وهو سريع الحساب.

وفيها توفّي إسحاق بن موسى بن عمران أبو يعقوب الأسفراينيُّ، الفقيه الشافعيُّ، والغيانيُّ واسمه عبد العزيز بن معاوية من ولد غياث بن أُسيد، بفتح الهمزة وكسر السين.

وفيها أيضاً توفّي أبو عبد اللّه محمّد بن الوضّاح بن رَبيع الأندلسيُّ، وكان من العلماء المشهورين. (٤٩٠/٧)

سنة خمس وثمانين ومائتين

فيها قطع صالح بن مُدرك الطائيُّ الطريقَ على الحاجّ بالأجفر في المحرّم، فحاربه حُبَى الكبير، وهو أمير القافلة، فلم يقوَ به وبمن

معه من الأعراب، وظفر بالحجّ ومن معه بالقافلة، فأخذوا ما كان فيها من الأموال والتجارات، وأخذوا جماعة من النساء، والجواري، والمماليك، فكانت قيمة ما أخذوه ألفَيْ ألف دينار.

وفيها وليَ عمرو بن الليث ما وراء النهر، وعُزل إسماعيل بن أحمد.

وفيها كان بالكوفة ريح صفراء، فبقيت إلى المغرب ثمّ اسودّت، فتضرّع الناس، ثمّ مُطروا مطراً شديداً برُعود هائلة وبروق متّصلة، ثمّ سقط بعد ساعة بقرية تُعرف بأحمداباذ ونواحيها أحجار بيض وسود مختلفة الألوان، في أوساطها طبق، وحُمل منها إلى بغداد، فرآه الناس.

وفيها سار فاتك مولى المعتضد إلى الموصل لينظر في أعمالها وأعمال الجزيرة.

والثغور الشامية والجزريّة وإصلاحها، مُضافاً إلى ما كان يتقلّده من البريد بها.

وفيها كان بالبصرة ريح صفراء، ثمّ عادت خضراء، ثمّ سوداء، ثمّ تتابعت الأمطار بما لم يروا مثله، ثمّ وقع بَرد كبار، وزن البردة مائة وخمسون درهماً فيما قيل. (٤٩١/٧) وفيها مات الخليل بن رمال بحُلوان.

وفيها ولّى المعتضدُ محمّدَ بن أبي الساج أعمال أذْرَبِيجان وأرمينية، وكان قد تغلّب عليها وخالف؛ وبعث إليه بخلع.

وفيها غزا راغب مولى الموفّق في البحر، فغنم مراكب كثيرة، فضرب أعناق ثلاثة آلاف من الروم كانوا فيها، وأحرق المراكب، وفتح حصوناً كثيرة، وعاد سالماً ومن معه.

وفيها توفّي أحمد بن عيسى بن الشيخ، وقام بعده ابنه محمّد بآمِد وما يليها، على سبيل التغلّب، فسار المعتضد إلى آمِد بالعساكر، ومعه ابْنه أبو محمّد عليٌّ المكتفي في ذي الحجّة، وجعل طريقه على الموصل، فوصل آمِد، وحصرها إلى ربيع الآخر من سنة ستّ وثمانين ومائتين، ونصب عليها المجانيق، فأرسل محمّد بن أحمد بن عيسى يطلب الأمان لنفسه، ولمن معه، ولأهل البلد، فأمّنهم المعتضد، فخرج إليه وسلّم البلد، فخلع عليه المعتضد، وأكرمه، وهدم سورها.

ثمّ بلغه أنّ محمّد بن الشيخ يريد الهرب، فقبض عليه وعلى آله.

وفيها وجّه هارون بن خُمارويه إلى المعتضد ليسأله أن يقاطعه على ما في يده ويد نُوّابه من مصر والشام، ويسلّم أعمال قِنّسرين إلى المعتضد، ويحمل كلّ سنة أربع مائة ألف وخمسين ألف دينار، فأجابه إلى ذلك، وسار من آمِد، واستخلف فيها ابنه المكتفي، ووصل إلى قِنّسرين والعواصم فتسلّمها من أصحاب هارون، وكان ذلك سنة ستّ وثمانين ومائتين.

وفيها غزا ابن الإخشيد بأهل طَرَسُوس، ففتح اللّه على يدَيْه، وبلغ إسكندرون؛ وحج بالناس محمّد بن عبد اللّه بن داود الهاشميُّ. (٤٩٢/٧)

وفيها توفّي إبراهيم بن إسحاق الحربيُّ ببغداد، وهو من أعيان المحدّثين، وإسحاق بن إبراهيم الدبريُّ صاحب عبد الرزّاق بصنعاء، وهو آخر من روى عن عبد الرزّاق.

(الدَّبريّ بفتح الدال المهملة والباء الموحّدة وبعدها راء).

وفيها توفّي أبو العبّاس محمّد بن يزيد الأزديُّ اليمانيُّ الخويُّ، المعروف بالمبرّد، وكان قد أخذ النحو عن أبي عثمان المازنيّ. (٤٩٣/٧)

سنة سِت وثمانين ومائتين

وفي هذه السنة وجّه محمّدُ بن أبي الساج المعروف بأبي المسافر إلى بغداد برهينة بما ضمن من الطاعة والمناصحة، ومعه هدايا جليلة.

وفيها أرسل عمرو بن الليث هدية إلى المعتضد من نَيسابور، فكان قيمتها أربعة آلاف [ألف] درهم.

ذكر ابتداء أمر القرامطة بالبحرين

وفيها ظهر رجل من القرامطة يُعرف بأبي سعيد الجنّابيّ بالبحرين، فاجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة، وقوي أمره، فقتل ما حوله من أهل القرى، ثمّ سار إلى القَطيف فقتل [مَنْ] بها، وأظهر أنّه يريد البصرة، فكتب أحمد بن محمّد بن يحيى الواثقيُّ، وكان متولّي البصرة، إلى المعتضد بذلك، فأمره بعمل سور على البصرة، وكان مبلغ الخرج عليه أربعة عشر ألف دينار.

وكان ابتداء القرامطة بناحية البحرين أنّ رجلاً يُعْرَف بيحيى بن المهديّ (٤٩٤/٧) قصد القَطيف فنزل على رجل يُعْرَف بعليّ بن المعلّى بن حَمدان، مولى الزياديّين، وكان مغالياً في التشيّع، فأظهر له يحيى أنّه رسول المهديّ، وكان ذلك سنة إحدى وثمانين ومائتين، وذكر أنّه خرج إلى شيعته في البلاد يدعوهم إلى أمره، وأنّ ظهوره قد قرب؛ فوجّه عليُّ بن المُعلّى إلى الشيعة من أهل القَطيف فجمعهم، وأقرأهم الكتاب الذي مع يحيى بن المهديّ إليهم من المهديّ، فأجابوه، وأنّهم خارجون معه إذا أظهر أمره، ووجّه إلى سائر قرى البحرين بمثل ذلك فأجابوه.

وكان فيمن أجابه أبو سعيد الجنّابيُّ، وكان يبيع للناس الطعام، ويحسب لهم بيعهم، ثمّ غاب عنهم يحيى بن المهديّ مُدّة، ثمّ رجع ومعه كتاب يزعم أنّه من المهديّ إلى شيعته؛ فيه :قد عرّفني رسولي يحيي بن المهديّ مسارعتكم إلى أمري، فليدفع إليه كلُّ رجل منكم ستّة دنانير وثُلثَيْن؛ ففعلوا ذلك.

ثمّ غاب عنهم وعاد ومعه كتاب فيه أن ادفعوا إلى يحيى خُمس أموالكم، فدفعوا إليه الخمس، وكان يحيى يتردّد في قبائل قيس ويورد إليهم كتباً يزعم أنّها من المهديّ، وأنّه ظاهر، فكونوا على أُهبة.

وحكى إنسان منهم يقال له إبراهيم الصائغ أنّه كان عند أبي سعيد الجنّابي، وأتاه يحيى، فأكلوا طعاماً، فلمّا فرغوا خرج أبو سعيد من بيته، وأمر امرأته أن تدخل إلى يحيى وأن لا تمنعه إن أراد، فانتهى هذا الخبر إلى الوالي، فأخذ (٤٩٥/٧) يحيى فضربه، وحلق رأسه ولحيته، وهرب أبو سعيد الجنّابيُّ إلى جنّابا، وسار يحيى بن المهديّ إلى بني كلاب وعُقيل والخريس، فاجتمعوا معه ومع أبي سعيد، فعظم أمر أبي سعيد وكان منه ما يأتي ذكره.

ذكر عدّة حوادث

وفيها سار المعتضد من آمِد بعد أن ملكها، كما ذكرناه، إلى الرُّقّة، فولّى ابنه عليّاً المكتفي قِنّسرين، والعواصم، والجزيرة، وكاتبه النصرانيّ واسمه الحسين بن عمر، فكان ينظر في الأموال، فقال الخليع في ذلك :

حسينُ بن عمرو عدوّ القرآنِ يصنع في العُرْبِ ما يصنَعُ
يقومُ لهيبتِهِ المسلمون صُفوفاً لفردٍ إذا يَطلَعُ
فإن قيل قد أقبل الجَاثِليق تَحفّى له ومشى يَظلَعُ

وفيها توفّي ابن الإخشيذ أمير طَرَسُوس واستخلف أبا ثابت على طرسوس.

وفيها سار إلى الأنبار جماعة أعراب من بني شيبان، وأغاروا على القرى، وقتلوا من لحقوا من الناس، وأخذوا المواشي، فخرج إليهم أحمد بن محمّد بن كمشجور متولّيها، فلم يطقهم، فكتب إلى المعتضد بذلك، فأمدّه بجيش، فأدركوا الأعراب وقاتلوهم، فهزمهم الأعراب، وقتلوا فيهم، وغرق (٤٩٦/٧) أكثرهم، وتفرّقوا، وعاث الأعراب في تلك الناحية.

وبلغ خبر الهزيمة إلى المعتضد، فسيّر جيشاً آخر، فرحلَ الأعراب إلى عين التمر فأفسدوا وعاثوا، وذلك في شعبان ورمضان، فوجّه إليهم عسكراً آخر إلى عين التمر، فسلكوا البرّيّة إلى نواحي الشام، فعاد العسكر إلى بغداد ولم يلقَهم.

وفيها استدعى المعتضد راغباً مولى الموفّق من طَرَسُوس، فقدم عليه وهو بالرُّقّة، فحبسه وأخذ جميع ما كان له، فمات بعد أيّام من حبسه، وكان ذلك في شعبان، وقبض على بكنون غلام راغب، وأخذ ما له بطرسوس.

وفيها قلّد المعتضد ديوان المشرق محمّدَ بن داود بن الجرّاح، وعزل عنه أحمد بن محمّد بن الفُرات، وقلّد ديوان المغرب عليَّ بن عيسى بن داود بن الجرّاح.

وفيها توفّي أبو جعفر محمّد بن إبراهيم الأنماطيُّ، المعروف بمربع، صاحب يحيى بن مُعين، وكان حافظاً للحديث؛ ومحمّد بن يونس الكديميُّ البصريُّ. (٤٩٧/٧)

سنة سبع وثمانين ومائتين

ذكر قتل أبي ثابت أمير طَرَسُوس وولاية ابن الأعرابيّ

في هذه السنة اجتمعت الروم، وحشدت في ربيع الآخر، ووافت باب قَلَمْيَةَ من طَرَسوس، فنفر أبو ثابت أمير طرسوس بعد موت ابن الإخشيد، وكان استخلفه عند موته، فبلغ أبو ثابت في نفيره إلى نهر الرّجَان في طلبهم، فأُسر أبو ثابت، وأُصيب الناس معه.

وكان ابن كلوب غازياً في درب السلامة، فلمّا عاد جمع مشايخ الثغر ليتراضوا بأمير، فأجمعوا رأيهم على ابن الأعرابيّ، فولّوه أمرهم، وذلك في ربيع الآخر من هذه السنة.

ذكر ظفر المعتضد بوصيف ومن معه

في هذه السنة هرب وصيف خادم محمّد بن أبي الساج من بَرذَعة إلى مَلَطْيَة من أعمال مولاه، وكتب إلى المعتضد يسأله أن يولّيه الثغور، فأخذ رسله وقرّرهم عن سبب مفارقة وصيف مولاه، فذكروا له أنّه فارقه على (٤٩٨/٧) مواطأة منهما أنّه متى وليَ وصيف الثغور سار إليه مولاه، وقصدا ديار مضر وتغلّبا عليها.

فسار المعتضد نحوه، فنزل العين السوداء وأراد الرحيل في طريق المصّيصة، فأتته العيون فأخبروه أنّ وصيفاً يريد عين زَرْبَة، فسأل أهلَ المعرفة بذلك الطريق، وسألهم عن أقرب الطُّرق إلى لقاء وصيف، فأخذوه وساروا به نحوه، وقدّم جمعاً من عسكره بين يديه، فلقوا وصيفاً فقاتلوه، وأخذوه أسيراً، فأحضروه عند المعتضد فحبسه، وأمر فنودي في أصحاب وصيف بالأمان، وأمر العسكر بردّ ما نهبوه منهم، ففعلوا ذلك.

وكانت الوقعة لثلاث عشرة بقيت من ذي القعدة، فلمّا فرغ منه رحل إلى المصّيصة، وأحضر رؤساء طَرَسُوس فقبض عليهم لأنّهم كاتبوا وصيفاً، وأمر بإحراق مراكب طرسوس التي كانوا يغزون

فيها، وجميع آلاتها، وكان من جملتها نحو من خمسين مركباً قديمة قد أنفق عليها من الأموال ما لا يحصى، ولا يمكن عمل مثلها، فاضرّ ذلك بالمسلمين، وفتّ في أعضادهم، وأمر الروم أن يغزوا في البحر، وكان إحراقها بإشارة دميانة غلام بازمار لشيء كان في نفسه على أهل طَرسوس، واستعمل على أهل الثغور الحسن بن عليّ كورة، وسار المعتضد إلى أنطاكية وحلب وغيرهما، وعاد إلى بغداد.

وفيها توفّيت ابنة خُمارويه زوج المعتضد.

ذكر أمر القرامطة وانهزام العبّاس الغنويّ منهم

في هذه السنة، في ربيع الآخر، عظم أمر القرامطة بالبحرين، وأغاروا على نواحي هَجَر، وقرب بعضهم من نواحي البصرة، فكتب أحمد الواثقيُّ يسأل (٤٩٩/٧) المدد، فسيّر إليه سُميريّات فيها ثلاثمائة رجل، وأمر المعتضد باختيار رجل ينفذه إلى البصرة، وعزل العبّاس بن عمرو الغنويّ عن بلاد فارس، وأقطعه اليمامة والبحرين، وأمره بمحاربة القرامطة وضمّ إليه زُهاء ألفَيْ رجل، فسار إلى البصرة، واجتمع إليه جمع كثير من المتطوّعة والجند والخدم.

ثمّ سار منها إلى أبي سعيد الجنّابيّ، فلقوه مساء، وتناوشوا القتال، وحجز بينهم الليل، فلمّا كان الليل انصرف العبّاس من كان معه من أعراب بني ضبّة، وكانوا ثلاثمائة، إلى البصرة، وتبعهم مطوّعة البصرة، فلمّا أصبح العبّاس باكر الحرب، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثمّ حمل نجاح غلام أحمد بن عيسى بن الشيخ بن ميسرة العبّاس في مائة رجل على ميمنة أبي سعيد، فوغلوا فيهم، فقُتلوا عن آخرهم، وحمل الجنّابيُّ ومن معه على أصحاب العبّاس، فانهزموا وأُسر العبّاس، واحتوى الجنّابيُّ على ما كان في عسكره، فلمّا كان من الغد أحضر الجنّابيُّ الأسرى فقتلهم جميعاً وحرقهم، وكانت الوقعة آخر شعبان.

ثمّ سار الجنّابيُّ إلى هَجَر بعد الوقعة، فدخلها وأمّن أهلها، وانصرف من سلم من المنهزمين، وهم قليل، نحو البصرة بغير زاد، فخرج إليهم من البصرة نحو أربعمائة رجل على الرواحل، ومعهم الطعام والكسوة والماء، فلقوا بها المنهزمين، فخرج عليهم بنو أسد وأخذوا الرواحل وما عليها، وقتلوا من سلم من المعركة، فاضطربت البصرة لذلك، وعزم أهلها على الانتقال منها، فمنعهم الواثقيُّ. (٥٠٠/٧)

وبقي العبّاس عند الجنّابيّ أياماً ثمّ أطلقه، وقال له :امضِ إلى صاحبك وعرّفه ما رأيتَ؛ وحمّله على رواحل، فوصل إلى بعض السواحل وركب البحر فوافى الأُبُلّة، ثمّ سار منها إلى بغداد فوصلها في رمضان، فدخل على المعتضد فخلع عليه.

بلغني أنّ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال :عجائب الدنيا ثلاث: جَيْش العبّاس بن عمرو يؤسر وحدَه، وينجو وحده، ويُقتل جميع جيشه؛ وجيش عمرو بن الصفّار يؤسر وحده، ويسلَم جميع جيشه؛ وأنا أنزل في بيتي، وتولّى ابني أبو العبّاس الجسرَيْن ببغداد.

ولمّا أطلق أبو سعيد العبّاسَ أعطاه دُرجاً ملصَقاً وقال له :أوصلْه إلى المعتضد فإنّ لي فيه أسراراً، فلمّا دخل العبّاس على المعتضد عاتبه المعتضد، فأوصل إليه العبّاس الكتاب، فقال : والله ليس فيه شيء، وإنّما أراد أن يُعلمني أنّي أنفذتُك إليه في العدد الكثير، فردّك فرداً؛ وفتح الكتاب وإذ ليس فيه شيء.

وفيها، في ذي القعدة، أوقع بدر غلام الطائيّ بالقَرامطة، على غِرّة منهم، بنواحي مَيسان وغيرهما، وقتل منهم مقتلة، ثمّ تركهم خوفاً أن تخرب السواد، وكانوا فلاحيّة، وطلب رؤساءَهم فقتل من ظفر به منهم.

ذكر أسر عمرو الصَّفّار وملك إسماعيل خُراسان

في هذه السنة، في ربيع الأوّل، أُسر عمرو بن الليث الصَّفّار؛ وكان سبب ذلك أنّ عَمْراً أرسل إلى المعتضد برأس رافع بن هَرثمة، وطلب منه أن (٥٠١/٧) يولّيه ما وراء النهر، فوجّه إليه الخِلَع واللواء بذلك، وهو بنَيسابور، فوجّه لمحاربة إسماعيل بن أحمد السامانيّ، صاحب ما وراء النهر، محمّدَ بن بشير، وكان خليفته وحاجبه، وأخصّ أصحابه بخدمته، وأكبرهم عنده، وغيره من قوّاده إلى آمل، فعبر إليهم إسماعيل جَيحون، فحاربهم، فهزمهم، وقتل محمّد بن بشير في نحو ستّة آلاف رجل.

وبلغ المنهزمون إلى عمرو، وهو بنَيسابور، وعاد إسماعيل إلى بخارى فتجهّز عمرو لقصد إسماعيل، فأشار عليه أصحابه بإنفاذ الجيوش، ولا يخاطر بنفسه، فلم يقبل منهم، وسار عن نَيسابور نحو بَلْخ، فأرسل إليه إسماعيل :إنّك قد وليتَ دنيا عريضة، وإنّما في يدي ما وراء النهر، وأنا في ثغر، فاقنعْ بما في يدك، واتركْني في هذا الثغر. فأبى، فذكر لعمرو وأصحابه شدّة العبور بنهر بلْخ، فقال: لو شئتُ أن أسكّره ببذر الأموال وأعبره لفعلتُ.

فسار إسماعيل نحوه وعبر النهر إلى الجانب الغربيّ، وجاء عمرو فنزل بَلْخ، وأخذ إسماعيل عليه النواحي لكثرة جمْعه، وصار عمرو كالمحاصَر، وندم على ما فعل، وطلب المحاجزة، فأبى إسماعيل عليه، فاقتتلوا، فلم يكن بينهم كثير قتال حتّى انهزم عمرو فولّى هارباً، ومرّ بأجمة في طريقه، فقيل له : إنّها أقرب الطرق، فقال لعامّة من معه : امضوا في الطريق الواضح؛ وسار هو في نفر يسير، فدخل الأجمة، فوحلت به دابّته فلم يكن له في (٥٠٢/٧) نفسه حيلة، ومضى من معه ولم يعرّجوا عليه، وجاء أصحاب

إسماعيل فأخذوه أسيراً، فسيّره إسماعيل إلى سَمَرْقَنْد.

ولمّا وصل الخبر إلى المعتضد ذمّ عَمْراً ومدح إسماعيل، ثمّ إن إسماعيل خيّر عَمْراً بين مقامه عنده، أو إنفاذه إلى المعتضد، فاختار المقام عند المعتضد، فسيّره إليه، فوصل إلى بغداد سنة ثمان وثمانين ومائتين، فلمّا وصل رُكّب على جمل وأُدخل بغداد، ثمّ حُبس، فبقي محبوساً حتّى قُتل سنة تسع وثمانين [ومائتين] على ما نذكره.

وأرسل المعتضد إلى إسماعيل بالخِلَع، وولاّه ما كان بيد عمرو، وخلع على نائبه بالحضرة المعروف بالمَرْزُبانيّ، واستولى إسماعيل على خُراسان وصارت بيده.

وكان عمرو أعور شديد السُّمرة، عظيم السياسة، قد منع أصحابه وقوّاده أن يضرب أحد منهم غلاماً إلا بأمره، أو يتولّى عقوبة الغلام نائبه، أو أحد حجّابه، وكان يشتري المماليك الصغار، ويُربّيهم، ويهبهم لقوّاده ويجري عليهم الجرايات الحسنة سرّاً ليطالعوه بأحوال قوّاده، ولا ينكتم عنه من أخبارهم شيء، ولم يكونوا يعلمون من ينقل إليه عنهم، فكان أحدهم يحذره وهو وحده.

حُكي عنه أنّه كان له عامل بفارس يقال له أبو حُصين، فسخط عليه عمرو، وألزمه أن يبيع أملاكه، ويوصل ثمنها إليه، ففعل ذلك، ثمّ طلب منه مائة (٥٠٣/٧) ألف درهم، فإن أدّاها في ثلاثة أيّام وإلاّ قتله، فلم يقدر على شيء منها، فأرسل إلى أبي سعيد الكاتب يطلب منه أن يجتمع به، فأذن له، فاجتمع به، وعرّفه ضيق يده وسأله أن يضمنه ليخرج من محبسه ويسعى في تحصيل المبلغ المطلوب منه، ففعل وأخرجه، فلم يُفتح عليه بشيء، فعاد إلى أبي سعيد الكاتب، فبلغ خبره عَمْراً، فقال :واللّه ما أدري مِنْ أيّهما أعجب، من أبي سعيد فيما فعل من بذل مائة ألف درهم، أم مِن أبي حُصين كيف عاد وقد علم أنّه القتل! ثمّ أمر بإطلاق ما عليه وردّه إلى منزلته.

وحُكي عنه أنّه كان يحمل أحمالاً كثيرة من الجُربُ، ولا يعلم أحد ما مراده، فاتّفق في بعض السنين أنّه قصد طائفة من العُصاة عليه للإيقاع بهم، فسلك طريقاً لا تظنّ العصاة أنّهم يؤتَون منه، وكان في طريقه وادٍ، فأمر بتلك الجرب فمُلئت تراباً وأحجاراً، ونضد بعضها إلى بعض، وجعلها طريقاً في الوادي، فعبر أصحابه عليه، وأتاهم وهم آمنون فأثخن فيهم وبلغ منهم ما أراد.

وحُكي أيضاً أنّ أكبر حُجّابه كان اسمه محمّد بن بشير، وكان يخلفه في كثير من أموره العظام، فدخل عليه يوماً، وأخذ يعدّد عليه ذنوبه، فحلف محمّد باللّه والطلاق والعَتق أنّه لا يملك إلاّ خمسين بدرة، وهو يحملها إلى الخزانة، ولا يجعل له ذنباً لم يعلمه، فقال عمرو: ما أعقلك من رجل ! احملها إلى الخزانة، فحملها، فرضي عنه، وما أقبح هذا من فعل وشره إلى أموال مَنْ أذهب عمره في خدمته! (٥٠٤/٧)

ذكر قتل محمّد بن زيد العلويّ

في هذه السنة قُتل محمّد بن زيد العلويُّ، صاحب طَبَرِستان والدَّيلم.

وكان سبب قتله أنّه لمّا اتصل به أسر عمرو بن اللّيث الصَّفّار خرج من طَبَرِستان نحو خُراسان ظنّاً منه أنّ إسماعيل السامانيّ لا يتجاوز عمله، ولا يقصد خُراسان، وأنّه لا دافع له عنها.

فلمّا سار إلى جُرجان أرسل إليه إسماعيل، وقد استولى على خُراسان، يقول له : الزمْ عملك، ولا تتجاوزْ عمله، ولا تقصد خُراسان؛ وترك جُرجان له، فأبى ذلك محمّد، فندب إليه إسماعيلُ بن أحمد محمّدَ بن هارون، ومحمّد هذا كان يخلف رافع بن هرثمة أيّام ولايته خُراسان، فجمع محمّد جمعاً كثيراً من فارس وراجل، وسار نحو محمّد بن زيد، فالتقوا على باب جُرجان، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم محمّد بن هارون أوّلاً ثمّ رجع وقد تفرّق أصحاب محمّد بن زيد في الطلب، فلمّا رأوه قد رجع إليهم ولّوا هاربين، وقُتل منهم بشر كثير، وأصابت ابنَ زيد ضربات، وأُسر ابنه زيد، وغنم ابن هارون عسكره وما فيه، ثمّ مات محمّد بن زيد بعد أيّام من جراحاته التي أصابته، فدُفن على باب جُرجان.

وحُمل ابنه زيد بن محمّد إلى إسماعيل بن أحمد، فأكرمه ووسّع في الإنزال عليه، وأنزله بخارى، وسار محمّد بن هارون إلى طَبَرِستان.

وكان محمّد بن زيد فاضلاً، أديباً، شاعراً، عارفاً، حسن السيرة، قال أبو عمر الأَسْتراباذيُّ : كنتُ أُورد على محمّد بن زيد أخبار العبّاسيّين، (٥٠٥/٧) فقلتُ له : إنّهم قد لقّبوا أنفسهم، فإذا ذكرتُهم عندك أسمّيهم أو ألقّبهم ؟ فقال: الأمرُ موسّع عليك، سمّهم ولقّبهم بأحسن ألقابهم وأسمائهم، وأحبّها إليهم.

وقيل: حضر عنده خصمان أحدهما اسمه معاوية والآخر اسمه عليٌّ، فقال: الحكمُ بينكما ظاهر، فقال معاوية :إنّ تحت هذين الاسمين خبراً، قال محمّد: وما هو ؟ إنّ أبي كان من صادقي الشيعة، فسمّاني معاوية لينفي شرّ النواصب، وإنّ أبا هذا كان ناصبيّاً، فسمّاه عليّاً خوفاً من العلويّة والشيعة. فتبسّم إليه محمّد، وأحسن إليه وقرّبه.

وقيل : استأذن عليه جماعة من أضرّاء الشيعة وقُرّائهم، فقال: ادخلوا، فإنّه لا يحبّنا إلاّ كلّ كسير وأعور.